فصل تمهيدي

١ ــ مقدمة عن الشعر ومكانته الإعلامية

٢ ــ مدخل يتناول:

١ ـ جذور تاريخية (خلاصة عداوة اليهود للإسلام)

٢ ـ اليهود والدولة العثمانية

٣ ـ أهم الثورات الفلسطينية في عهد الإنتداب البريطاني

٤ ـ بروز قضية فلسطين في الشعر الحديث

الشعر ومكانته الإعلامية

للشعر العربي وظيفة إعلامية جيدة لها مكانتها المتقدمة عند العرب فلقد شنف الشعر من قبل آذان الإنسان العربي في الجاهلية فاهتز لسماعه وانفعل بكلماته وتأثر ببديع معانيه فجرسه الموسيقي وقوة إيقاعه وبلاغتُه وإيجازُه وإنشادُه وغناؤُه كل ذلك هيأ له المكانة اللائقة في المجتمع العربي ولقد كانت العرب تفاخر بعضَها بعضاً بما عندها من الشعراءِ ومن كان له شاعرٌ فحلٌ لا يَعْدِلُهُ بألف فارس لما له من التأثير في رفع قيمة القبيلة سلماً وحرباً. ولكم سمعنا على مر التاريخ حوادث كثيرة كان سببها قصيدةٌ قيلت في ملأ من الناس أو بيتَ شعرٍ أنشدَه شاعر بمناسبة ما فتناقَلَهُ الركبان في كل مكان.

ثم اعتُبِرَ من الحِكَم التي يُتمثل بها، ففي الشعر الجاهلي مثلاً نطالع قصة الأعشى مع المحلِّق وقد صَنع الأخيرُ طعاماً للأعشى فمدحه الأعشى بقصيدة كانت سبباً في تزويج بناته من عِلْيَةِ القوم وهو الرجل المغمورُ يوم ذاك. وكذلك قصة الخُمُر السود مع الدَّارِمي حينما كسدت، لأن من عادة النساء يوم ذاك وضع الخمر الحمر فلما قيل في الخمر السود شعراً بيعت بين يوم وليلة وكسدت الخمر الحمر ولقد فطن اليهود في المدينة لقيمة الشعر وقوة تأثيره في النفوس فأرسلوا شاعراً لـــهم ينشد الأشعار ويذكر الأوس والخزرج بيوم بعاث، ولم يمر كبير وقت حتى وقع العداء وتنادوا للسلاح رغم تآخيهم في الإسلام.

ولقد اتهم القرشيون النبي ﷺ عنـدما تلا عليهم القرآن بأنه شاعر وما ذلك إلا لأهمية الشعر عندهم وارتفاع منزلته، فلم يجدوا من البيان غير الشعر لينسبوه

إليه زعماً منهم أنه صنو القرآن.

كما استعمل أعداء الإسلام الشعر ضد المسلمين فما كان من الرسول ﷺ إلا أن حاربهم بالسلاح نفسه لقد أهدر الرسول ﷺ دم كعب بن زهير لسلاطة لسانة في الجاهلية ونقده غير الهادف والتهجم على الإسلام ونبي الإسلام، لكنه عاد فخلع عليه بردته الشريفة لما عدل والتزم الصدق وأسلم ـ وعلى هذا فإن الإسلام لم يلغ الشعر وأثره الفعال ولكنه أراد من الشاعر المسلم أن يكون ملتزماً في شعره نابضاً بصفاء عقيدته التي آمن بها فيسخره لخدمتها وبمعنى آخر أن يكون شعره مسخراً لنشر الدعوة الإسلامية وتفنيد دعوى خصومها. ولقد كان الرسول ﷺ يستعين بالشعراء ليردوا على الخصوم قولهم وليعرفوهم حقيقةَ الإسلام وشهد عامُ الوفود نماذج كثيرة من الشعر الإسلامي الملتزم الذي يشرح لتلك الوفود أهداف الإسلام ومزاياه أو يرد عليهم مزاعمهم وباطلهم.. وقصةُ وفدِ بني تميم مشهورةٌ في هذا الصدد فقد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد. وكانوا آذوه بأصواتهم وضجيجهم، فخرج إليهم فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك فائْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا، قال: «قد أذنتُ لخطيبكم فليقل»[1] ولما انتهى خطيبهم قال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: «قم فأجب الرجل في خطبته» ففعل ثابت ثم نهض شاعرهم الزِّبْرِقَان بن بدر فأنشد قصيدة يفتخر بها وكان مطلعها:

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلنا ... منا الملوكُ وفينا تنصبُ البيعُ

فاستدعى رسول الله ﷺ حسان بن ثابت وكان غائباً عن المسجد فاسرع حسان.. فلما انتهى إلى رسول الله قال الزبرقان وأعاد ما أنشد فلما فرغ قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال» فقال حسان قصيدة تفاخر بها ووعد وتوعد كما شرح أسباب نصرتهم للرسول ﷺ وكان مطلعها:

إنّ الذوائبَ من فهرٍ وإخوَتهمْ ... قد بَيَّنُوا سنةً للناسِ تُتَّبَعُ

---

(١) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ جـ ٤ ص

ولما فرغ حسان من قصيدته كان الأقرع بن حابس بين الحضور فقال: وأبي إن هذا الرجل ـ يعني محمداً ـ لمؤتىً، لخطيبُه أخطبُ من خطيبنا ولشاعِرُه أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا. وبعدها أسلم القوم وأحسن إليهم رسول الله.

وقد كان النبي ﷺ يشجع الشعراء بكلماته الندية المحببة إلى النفوس وبأدعيته النبوية التي تملأ نفس الشاعر بهجة وحماسة فتثير شاعريته لينطق بما هو حق وصواب فقد قال مرة لحسان بن ثابت فيما ترويه عائشة رضي الله عنها: (فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان ؛إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله)[1] ومرة أخرى عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «أهجهم أو هاجهم وجبريل معك»[2] وذلك حسب الموقف والمقام على أن الهجاء لم يكن إلا من باب إظهار فضل المسلمين وعزهم مما يوحي أن أولئك لا فضل لهم ولا عز أما أن يفهم من هذه الكلمة السب والشتيمة كعادة أهل الجاهلية فالرسول ﷺ كان خلقه القرآن وحاشاه أن يقصد ذلك كما كان النبي ﷺ يصحح للشعراء بعض العبارات التي قد ينزلق بها لسان الشاعر وتكون فيها شبهة لا يقرها الإسلام وليعلمهم صدق الكلمة وحسن اختيارها لما للكلمة الحسنة البديعة من أثر حميد كما فعل لكعب بن زهير عندما قال:

إنَّ الرسول لسيفٌ يستضاء به مَهنـدٌ من سيـوفِ الهنـدِ مسلول

فقال الرسول ﷺ مهند من سيوف الله مسلول ـ لأن سيف الله هو القاطع والمخيف للمشركين لا سيف الهنود عبادِ البقر وهذه اللفتةُ النبوية الشريفة جديرةٌ بأن يضعها الشعراءُ نُصب أعينهم فلا يتملقون زيداً ولا عمراً بل العون يُستمد من الله وحسبْ ولو تمسكَ الشعراءُ بها لاختفى من شعرهم كثيرٌ من صفات

= ٢٢٤ دار الفكر دون مكان وزمان.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٤٩ مطبعة دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

(٢) السابق جـ ١٦ ص ٤٦.

الدونية التي فشت أخيراً في الشعر المعاصر عند غير الملتزمين إسلامياً والشواهد أكثر من أن تُحصى في هذا المجال.

على أنه يجب علينا أن لا ننسى أن الشعر المعاصر قد أثبت أهميتَهُ الإعلامية في قضايا الأمة المعاصرة وبرزت وظيفتهُ في الميدان العربي كما سنراه في قضية فلسطين من خلالِ هذه الرسالة.

نظرية الشعر الفاعل والشعر المنفعل:

ولقد رأيت أن أُقسِّم الشعر الإسلامي من حيث الوظيفةُ الإعلامية إلى نوعين:

١ ــ النوع الأول سميته الشعر الفاعل المؤثر.
٢ ــ النوع الثاني سميته الشعر المنفعل المتأثر.

أما النوع الأول: فهو الشعرِ الرائد الذي يسبق الحدث أو يهيء له وفيه يخطط الشاعر للأمةِ طريقَها ويوضِّح لها منهاجها فيذكر الوسيلة والغاية ويحدد الهدف والوصول إليه ويميز بدقة بين الصديق والعدو كما يمتاز أيضاً بالتنظير للأمة وبتوقعاتِ المستقبل بناءً على دراساتٍ ملمة ووعي وإشراقة نفس.....

فالشعر من هذا اللون له وضعه الإعلامي البارز من حيث التوعية والتوجيه إلى الهدف المقصود فهو شعر القيادة والثقافة... وقد امتاز شعر الأمثال والحكم بهذه الميزة أيضاً وما تَمثُّلُ شخصٍ ما بيت من الشعر إلا دليلاً على تأثره به وجعله طريقاً له ومنهجاً ومساراً.

لذلك يحتاج هذا النوع من الشعر إلى شعراء لهم حظ وافر ونصيب كبير من العلوم والمعارف ولهم شعور صادق بالقيــادة الواعية المخلصة للجماهير مع أمانة مسؤولةٍ وتحملِ تبعةٍ جادة عن كلماته التي يلفظها وشعرهِ الذي يُطلقه... ولو أخذنا على سبيلِ المثال شعرَ شوقي لرأينا فيه تصعيداً عالياً نحو القيم المنهجية خصوصاً بعد عودته من منفاه في اسبانيا والسبب في ذلك يعود إلى المطالعةِ

الغزيرةِ وكتب الأمهات التي قرأها هناك فعاد أقوى أسلوباً وأكثر منهجيةً مما كان عليه من قبل وتُدولت أبياتٌ من شعره على الألسن فكانت بحق من الشعر الفاعل المؤثر مثال ذلك: ـ

وإنَّمـا الأُمَمُ الأخـلاقُ مـا بقِيتْ ... فـإنْ هُمو ذهبَتْ أخْـلاقُهُم ذهَبـوا
قُـمْ لِلْمُعَلِّمِ وفِّـهِ التبْـجيـلاَ ... كـادَ المعلِّمُ أن يكـونَ رسـولا
الأُمُّ مـدرسـةٌ إذا أعـدَدْتَـهـا ... أعـدَدْتَ شعبـاً طيب الأعـرَاق

ولقد حاولت كثيراً أن آتي بأمثلة أكثر بياناً لأورد نماذج من هذا الشعر في صنع الأحداث أو التوقع لها واستباقها، ولقد حصلت على نماذجَ قليلة في هذه الناحية... لكن القلة لا تعود إلى قلة المحصول بقدر ما تعود إلى إهمال الشعراء في دواوينهم ذكر الأحداث التي تلت أو أعقبت شعرهم المقروء أو المنشور فلقد ذكر التاريخ عن اليهودي الذي أشعل الحرب بين الأوس والخزرج بالشعر ومن حق الشعراء أن يأخذوا من هذا درساً فيذكروا ـ دون خجل ـ أن قصيدتهم ألهبت نفوساً وأججت ثورة أو كان صداها ثورةَ كذا وحادثةَ كذا أو أدت إلى معارضةِ مشروعٍ إستعماري بشكل شعبي أو المطالبة بعودةِ حق سليب أو أكدتْ على ظهور حدثٍ فكانت إرهاصاته وكان ذلك الحدث.... وقد سجلتُ من خلال دراستي لعدد من الشعراء نماذج جيدةً في هذا المجال أوردها لإيضاح معنى الشعر الفاعل المؤثر.

فقد ذكر أحد الباحثين[1] أن مهدي البصير[2] ألقى قصيدة عنوانها لبيك أيها الوطن في حفلة وطنية فكانت بعدها ثورة ٢٠ حزيران ـ يونيو ١٩٢٠ وجاء في أبياتها:

---

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ ص ١٠٢ مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٦٩م.

(٢) الشاعر د. مهدي البصير شاعر عراقي ولد عام ١٨٩٦ م أصيب بالجدري وكف بصره منذ صغر سنه سجن ونفي لمناصبته العداء للإنجليز ـ عين أستاذاً للأدب العربي في جامعة آل البيت حصل على الدكتوراه في الأدب الفرنسي.

إنْ ضـاقَ يـا وطني عليَّ فضـاكـا فلتتسـعْ بي لـلأمـام خـطاكـا
أجْـرى ثراكَ دمي فـإنْ أنـا خُنْتُـهُ فَـلْينبـذْني إنْ ثـويـتُ ثـراكـا
بك همتُ بلْ بالموتِ دونَكَ في الوغى رُوحي فـداكَ متى أكـونُ فـداكـا
ولئن مَزَجْتُ دمي بدمعـكَ سائـلاً فلقـد وَفَيْتُ ومـا عَـدِمتُ وَفَـاكـا

وقد دعا كمال نصرة بعد[1] حادثة هيروشيما العربَ لامتلاك السلاح الذري وها هي العراق تسعى لامتلاكه فقال[2]:

فَتَكْتُمْ بهـروشيمـا فمـا كـان ذَنْبُهـا وَأَعْـدَمتُمُ حقَّ الحياةِ بِهـا الخلقا
وما اسطاعَ للأبطالِ كسـرَ شكيمةٍ رَعَـاديدُ لـولا تكلمُ الذرةُ الحمقى
بني وطني هذا السبيلُ إلى العـلا وهذا مجالُ السبقِ هيا احْرِزُوا السبقا
تـركتمْ مقـاليـدَ الأمـورِ لـدولـةٍ تُريدُ بكم شراً وتنوي لكم سَحقا

قال الشاعر الليبي إبراهيم الأسطة يشرح مطالب الشعب لمندوب هيئة الأمم المتحدة قبل الاستقلال[3]:

إذا «تسمحُ» فـمـطلبُنـا جـديـرٌ بـأنْ يُعـطى انتبـاهـاً واهتمـامـا
يـريـدُ الشعبُ «دستـوراً» كـريمـاً يصـونُ حقـوقَـهُ من أنْ تُضـامـا
يـريـدُ الشعبُ «وحـدَتَـهُ» ففيهـا كـرامَتَـهُ ولا يـرضى انقسـامـا

---

(١) الشاعر كمال نصرة: ولد في بغداد عام ١٩٠٧ تعلم القرآن منذ صغره ودرس العلوم الدينية والعربية على عدد من المشايخ دخل كلية الامام الأعظم وتخرج منها اصدر مجلة (الرصافة) التي تركها لمهدي الجواهري.

(٢) السابق ص ١٩٢.

(٣) ابراهيم الأسطة ولد بدرنه من ولاية برقه عام ١٩٠٧ شب عصامياً هاجر إلى مصر والشام والعراق وفلسطين ثم عاد إلى ليبيا واشترك في جيش السنوسي عمل قاضياً مات غريقاً عام ١٩٥٠ وشعره من النوع الحسن... جزم «تسمح» لايجوز في اللغة

يـريـدُ الشعبُ تمثيـلاً صحيحـاً ليحكمَ نفسـه حكمـاً قَـوَامـ
يـريـدُ مَليكَـهُ (الادريسَ) رمـزاً كـريمـاً يحكُم القَـوم الكـرامـا[1]

قال الرصافي مخاطباً الزعيم الهندي المسلم محمد علي يذكره بربط قضية العرب بقضية المسلمين في الهند[2]:

إذا ما سمعتُ الهندَ في قولِ قائلٍ تَخَيلْتُ فيـلاً بـالحـديـدِ مكبـلا
واني أظنُّ الفيـلَ صـاحبَ قـوةٍ تكونُ له لـو شاءَ من ذاكَ مـوئلا
فلو قامَ هذا الفيلُ واسْتجمعَ القُوى لهـزَّ بهـا شُمَّ الجبـالِ وقلقـلا
ولو لم تكنْ بالفيلِ عندي عَـلاَقَةٌ لما رُمْتُ عن هذا جـواباً مفصـلا
لنـا حمـلٌ وهـو العـراقُ نـظُنُّـهُ غدا مِنْ وراءِ الفيلِ للذئبِ مأكلا
فان ينجُ هذا الفيلُ من قيدِ أسرِهِ نجونا وإلاَّ أصبحَ الأمرُ مُعضلا[3]

فقد استقلت بعدها باكستان ووقفت من قضايا العرب وقفات مشرفة ـ وقال الشاعر اليمني عبد الله البردوني[4] مبشراً بالعمل الفدائي الفلسطيني قبل مولده الحقيقي بعشر سنوات تقريباً[5]:

يا أَخي يابنَ الفدى فيما التمادي وفـلسـطيـنُ تُـنَـادي وَتُـنَـادي
ضَجَّتِ المعـركـةُ الحمـرا فَـقُمْ نلتهبْ فـالنـورُ من نـارِ الجهـاد

---

(١) محمد الصادق عفيفي ـ الشعر والشعراء في ليبيا ص ١١٩ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥.

(٢) معروف الرصافي ولد ببغداد ١٨٧٥ تتلمذ على يد محمود شكري الألوسي في علوم العربية اشتغل بالتعليم وكان نائباً عن المنتفق في مجلس المبعوثان التركي عمل في التدريس بالقدس ثم رجع إلى العراق توفي عام ١٩٤٥.

(٣) ديوان الرصافي مصطفى السقا ـ جـ ١ ـ ٢ ص ٤٤٣ ـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر طبعة ١٩٥٩/٦.

(٤) عبد الله البردوني شاعر يمني ولد بالحداء عام ١٣٤٨ درس في دار العلوم والآداب بصنعاء وهو كفيف البصر (له ديوان في طريق الفجر).

(٥) عبد العزيز المقالح الشعر المعاصر في اليمن ص ٢٤٧ دار العودة بيروت ١٩٧٤.

ودعـا داعـي الفـدا فـلنحتـرقْ في الوغى أو يحترقْ فيها الأعادي
يـا أخي يـابن فـلسـطينَ الـتي لم تزلْ تدعوكَ من خلفِ الحداد
عُـدْ إليهـا لا تَقُـلْ لم يقتـربْ يـومُ عودي قـلْ: أنا يـومُ المعـاد

ولما لمح الشاعر الفلسطيني برهان الدين العبوشي المستعمرات اليهودية تحيط ببيسان أنذر أهلها وقد كان ما توقع فقال[1]:

بيسانُ قد سَدَّتْ طريقَـكِ دوننا مستعمـراتُ الخُبثِ والبـهتـانِ
حَجَبَتْكِ عَنْ عينِ المحبِ وطوّقتْ أرجـائَـكِ الفينـاءَ بـالأكفـانِ
يـا حسـرةً للحي ينـظرُ قبـرَهُ ويتيـهُ حـافـرُ قبـرِهِ بـأمـان
يا ساكني بيسـان من بدو ومن حضـر ومن شيب ومن شبـان
أضحتْ مـدينَتُكمْ يُهدِدُهَـا الفنا ومصيـرُكُمْ فيها إلى خُسـران[2]
فاستيقظوا قبلَ الفناءِ فمـا لكم واللهِ غـيـرُ دقـائـقٍ وثـوان

ولقد كانت بيسان من أوائل المدن التي سقطت عام ١٩٤٨ بيد اليهود كما أن الشاعر عبد الرحيم محمود وصف مصرعه قبل ذلك بعشر سنوات فكتب القصيدة في نهاية الثلاثينات واستشهد عام ١٩٤٨ فقال:[3]

لَعَمْـرُكَ إني أرى مصـرعي ولكنْ أُغُـذُّ إليـه الخـطى
أرى مَقْتَلي دونَ حقي السليبِ ودونَ بـلادي هـو المبتغى

---

(١) الشاعر برهان الدين العبوشي ولد في جنين بفلسطين وعاصر القضية زمن الانتداب البريطاني على فلسطين له عدة دواوين منها مسرحية شعرية وطن الشهيد طبعت في القدس عام ١٩٤٧ اعتقل من قبل سلطات الاحتلال هاجر إلى العراق ثم عاد إلى فلسطين ليجاهد فيها..

(٢) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٨٣ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥.

(٣) الشاعر عبد الرحيم محمود ولد عام ١٩١٣ بطولكرم بفلسطين اشترك في معركة بيار عدس ورأس العين.. وكان صريحاً للغاية تقياً درس العلوم العسكرية في العراق انتقد الرؤوساء بصراحة له ديوان جمع بعد وفاته استشهد في معركة الشجرة في ١٣ تموز يوليو ١٩٤٨م.

يَلذُّ لِأُذْني سماعُ الصليلِ يُهَيِّجُ نفسي مسيل الدما
لَعَمْرُكَ هذا مماتُ الرجالِ وَمَنْ رامَ موتاً شريفاً فَدَى[1]

وقال الشاعر إبراهيم طوقان متوقعاً[2] ما سيفعله رؤساء الأحزاب في فلسطين وما سيحيق بالبلاد بسببهم فكان ما توقع إذ قضي على جزء من البلاد عام ١٩٤٨ ثم بسبب حزب البعث فيما بعد ذهبت البقية عام ١٩٦٧ ـ فقال عام ١٩٣٥ :

أيها المخلصونَ للوطنية أنتُم الحاملونَ عبءَ القضية
أنتُم العاملونَ من غيرِ قولٍ بارك اللهُ في الزنودِ القوية
وبيانٌ منكم يُعَادِلُ جيشاً بمعداتِ زحفِهِ الحربية
واجتماعٌ منكم يَرُدُّ علينا غابرَ المجدِ من فتوحِ أُمية
وخلاصُ البلادِ صارَ على البا بِ وجاءت أعيادُهُ الوردية[3]
ما جَحَدْنَا فضلَكُمْ غيرَ أَنَّا لم نَزَلْ في نفوسِنا أُمنيّة
في يدينا بقيةٌ من بلادٍ فاستريحوا كيلا تطيرَ البقية

كما توقع حرب عام ١٩٤٨ وأهوالها فقال: [4]

لنا خَصِمَانِ ذو حولٍ وَطَوْلٍ وآخَرُ ذو اهتبالٍ واقتناصِ
تواصوا بينهم فأتى وَبَالا وإذلالاً لنا ذاكَ التواصي

---

(١) اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين ديوان عبد الرحيم محمود ص ١٢٠ دار العودة بيروت ١٩٧٤ جمع وقدم للديوان كامل السوافيري.

(٢) الشاعر ابراهيم طوقان ولد في نابلس فلسطين عام ١٩٠٥ درس في مدارسها ثم درس في الجامعة الأمريكية ببيروت عاد وعمل مدرساً وفي الاذاعة في القدس مرض وتوفي عام ١٩٤١ ـ جمع ديوانه بعد وفاته كان وطنياً شن حملاته على السماسرة وبيع الأراضي لليهود وانتقد الاحتلال بصراحة دون خوف.

(٣) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ص ١١٣ دار الشرق الجديد بيروت ١٩٥٥.

(٤) السابق ص ٨٨ ديوان ابراهيم طوقان.

مناهِجُ للإبادَةِ واضحاتٌ وبالحُسْنَى تُنَفَّذُ والرصاصِ
أمامَك أيُّها العربيُّ يومٌ تشيبُ لهوله سودُ النواصي

فقد توقع هذا اليوم علماً بأنه توفي عام ١٩٤١م.

قال الشاعر بدر الدين الحامد[١] عام ١٩٤٨ متوقعاً أن العالم سيكون قوتين لا حياد عنهما ومبشراً بسقوط دعوى عدم الإنحياز قبل قيامها . . وكيف تكون غير منحازة وزعيمتها ـ يوغسلافيا . . مع الهند . . وكوبا . .

كرةُ الأرضِ في السياسةِ أضحتْ ذاتُ لونين رغبةً ونُزُوعاً[٢]
كلُّ مَنْ قالَ بالحيادِ غريرٌ ربما كان في الحياة رَقيعاً

أما الشاعر هاشم الرفاعي[٣] ـ رحمه الله ـ فقد توقع لمصر هزيمتي ١٩٥٦، ١٩٦٧ حين قال عام ١٩٥٥ قصيدة جلاد الكنانة :

شَغَلَ الكماةُ العزُّ كلَّ وظيفةٍ وتسلموا في النيلِ كلَّ عِنَانِ
حتى كأنَّ بمصرَ كلَّ كفاءةٍ قُصِرتْ على أبطالِها الفرسانِ
وأرَى العدوَّ ببابنا متربصاً ويكادُ أنْ ينقضَّ كالعقبان
كم شنَّ عند حدودِنا من غارةٍ قد قُوبلت بالصفحِ والغفران
والجيشُ مشغولٌ بإذلالِ الحمى هل خوضُ معركتينِ بالإمكانِ

---

(١) الشاعر بدر الدين الحامد ـ ولد في حماة سورية عام ١٩٠١ . عمل مدرساً للغة العربية في مدارس حماة كما كان على صلة وثيقة بالحركات الوطنية وزعمائها أمثال هاشم الأتاسي وسعد الله الجابري . . لذلك كانت له خبرة بالسياسة والاعيبها فكتب عنها وصورها في أسلوب صادق توفي في حماة عام ١٩٦١ . . وقد لقب بشاعر العاصي نسبة إلى نهر العاصي الذي يمر بمدينة حماة.

(٢) ديوان بدر الدين الحامد ـ شاعر العاصي جـ ٢ ص ٣٤٧ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٧٥م.

(٣) ولد هاشم الرفاعي في بلدة انشاص بمحافظة الشرقية بمصر عام ١٩٣٥ . عرف بالتدين حيث كان يدرس في المعاهد الدينية وله شعر جيد اشتهر بالصراحة والثورة على الظلم وقد فاز بمسابقات الشعر وحاز على جوائز. اغتيل بمصر عام ١٩٥٩م.

يكفيهِ عرضُ الجندِ في حَفَلاتِهِ والكشفُ عمنْ فيهِ من شُجْعَانِ
لن نُدركَ النصرَ المرادَ إذا التقى يوماً بإسرائيلِ في الميدانِ
أتريد من جيشٍ هزيلٍ قادَهُ صاغٌ دفاعاً ساعة العدوانِ[1]

أما **النوع الثاني** من الشعر أي الشعر المنفعل المتأثر ـ فهو الشعر الذي يقوم على وصف الحدث الحاصل ويختلف هذا من شاعر إلى آخر حسب شاعرية الشاعر وأسلوبه فمنهم من يختصر ومنهم من يطنب ويكثر في وصف الحدث ومنهم من يتأثر بعمق فتهتز أعماقه وبالتالي يخرج شعراً يظهر فيه روعة الحدث فيطيل بالوصف ويحلق بما يقول حتى ينقل سامعه أو قارئه في رحلة الى جو ذلك الحدث ويكثر هذا النوع من الشعر عند الشعراء العاطفيين الذين يتأثرون وينفعلون سريعاً بالأحداث فيجدون في ذلك فرصة سانحة أمامهم لاقتناص المادة الشعرية الجاهزة في اللوحة المرسومة وما عليهم إلا أن يصوغوها ويضعوها في إطارها الشعري المناسب ولا يشترط لهذا النوع من الشعر أن يتمتع شعراؤه بالصفات القيادية والعقل المبدع الوقاد وإنما يكفيهم التمكن من اللغة ومحسناتها البلاغية واللفظية والجزالة في الأسلوب المرصوف بالمعاني المثيرة وأداة الشعر العروضية ـ وقد يكون هذا النوع من الشعر أكثر سيولة وسهولة وأكثر جماهيرية من النوع السابق وقد يتفوق عليه أدبياً ولكن لا يمكن الجزم بذلك بأي حال من الأحوال إلا أنه على العموم شعر متفوق أدبياً وذلك لوجود اللوحة الجاهزة التي لا يجد الفكر عناء في ابتكار صورها وما على الشاعر إلا أن يسخر شاعريته لوضعها في الإطار المناسب البديع بينما يحتاج النوع الأول كما ذكرنا الى فكر وقاد ونبوغ لاستنباط المنهج أو في إخراج اللوحة من عالم الفكر إلى عالم الحس والواقع وهذا الجهد يقابله تراجع في براعة التصوير على حساب التركيز على المنهج والفكرة لأن التركيز كله ينصب على الوسيلة والغاية والطريق الأفضل ومن نماذج هذا النوع سينية البحتري عنوانها إيوان كسرى ومطلعها:

---

(١) تحقيق محمد حسن بريغش ـ ديوان هاشم الرفاعي ص ٤١٢ مكتبة الحرمين ـ الرياض ١٩٨٠.

صنتُ نفسي عما يدنسُ نفسي وترفقتُ عن جِدَا كل جبسِ

وفيها:

وتماسكتُ حيث زعزعني الدهـ ـرُ التماساً منهُ لِتَعْسي وَنُكْسِي
فإذا ما رأيتُ صورة إنطا كِيَّة ارتعتُ بينَ رومٍ وفرس
في اخضرار من اللباس على أصفـ ـرَ يختالُ في صبيغةِ ورس
وعراكُ الرجالِ بين يديه في خفوتٍ منهم وإغماضِ جرسِ
من مشيحٍ يهوي بعاملِ رمحٍ ومليحٍ من السنانِ بترس[1]

وقصيدة شوقي في وصف نكبة دمشق عام ١٩٢٥ التي مطلعها:

سلامٌ من صبا بردى أرقُ ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دمشقُ
وبي مما رمتكِ به الليالي جراحاتٌ لها في القلب عمقُ[2]

وقول الشاعر الكرمي يصفُ الشهيد فرحان السعدي[3]:

قوموا اشْهَدُوا فرحانَ فو قَ جبينِهِ أثَرُ السجودْ
يمشي الى حبلِ الشهادَةِ صائماً مَشيَ الأسودْ
سبعونَ عاماً في سبيلِ اللهِ والحقِ التليد
خَجِلَ الشبابُ من المشيبِ بل السنونُ من العقود[4]

---

(١) ديوان البحتري جـ ١ ص ١٩٠ دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت ١٩٦٢.

(٢) أحمد شوقي ـ الشوقيات جـ ٢ ص ٧٣ مطبعة الاستقامة القاهرة ـ بلا تاريخ الشاعر أحمد شوقي ولد عام ١٨٦٨ في قصر الخديوي اسماعيل يجمع بين الدم التركي واليوناني والشركسي بويع بامارة الشعر العربي الحديث عام ١٩٢٧ توفي في ١٤ اكتوبر تشرين الأول ١٩٣٢.م.

(٣) الشاعر عبد الكريم الكرمي ـ الملقب بأبي سلمى هو ابن الشيخ سعيد الكرمي الشاعر والمفتي المشهور ولد بفلسطين عام ١٩٠٠ م هاجر إلى سورية بعد النكبة وتوفي فيها عام ١٩٨٠م.

(٤) الشيخ فرحان السعدي ـ من قرية المزار بفلسطين كان من اتباع القسام تابع الجهاد عام ١٩٣٦ وهو أول من بدأ الثورة في ١٥ نيسان ١٩٣٦ حيث قتل ثلاثة من اليهود وبعدها قامت ثورة عموم فلسطين الا أن السلطات البريطانية قبضت عليه وحكم عليه بالموت شنقاً وكان عمره ثمانين سنة والظاهر أن الشاعر قد ذكر أن عمره سبعون عاماً لضرورة الوزن..
عبد الكريم الكرمي ديوان ابي سلمى ص ٢٣ دار العودة بيروت ١٩٧٨.

ولقد قصدت في النوعين من الشعر أن أورد شواهد من شعر شوقي لأقول: إنه لا مانع من أن يتدفق الشعر من كلا النوعين على لسان شاعر واحد في قصيدتين منفصلتين أو حتى في قصيدة واحدة لأن الشعراء غالباً يبتدئون حياتهم الشعرية بالنوع الثاني خصوصاً إذا قرض الشاعر شعره في سن مبكرة فلا يقول إلا وصفاً لسهولته أولاً ولعدم تبلور قضايا أمته ومنهجهم في هذه السن المبكرة ثانياً .

أما وجود النوعين في قصيدة واحدة فهذا يعود الى مقدرة الشاعر في كلا النوعين أو إلى مرحلة انتقالية يكون فيها الشاعر في مرحلة المخاض محاولاً تصعيد أفكاره الى النوع الأول الإبـــداعي وتكون القصيدة التي تجمع النوعين إما مبتدئة بالوصف بحيث يصف الشاعر وقع حدث معين مثير ثم يستجمع منه عبراً ليخرج بنتيجة تساعده على الولوج في قضية معينة فيعمقها في النفوس وتكون مطلباً للجماهير أو مسعى ينبغي له التحقيق أو خطة سير لمستقبل مرموق .

وإما مبتدئة بخطة معينة ونهج معين فيرسم ويخطط أو يستطلع المستقبل ليوعد أو ينذر ثم بعد ذلك يلجأ الى التاريخ للاستشهاد بحوادثه أو بحادثة معينة فيفيض بوصفها ليدلل أو يؤكد على ما اختط أو نهج .

شعر المدينة ووظيفته الإعلامية:

وإذا كنا سنذكر فيما بعد بداية تسجيل الصراع في الشعر بين المسلمين واليهود ومكان ذلك في المدينة المنورة وزمانه بعد هجرة الرسول محمد ﷺ إليها مباشرة فينبغي ألا يفوتنا هنا في هذا المقام إجراءُ مقارنة بين شعر الأمس وشعر اليوم من حيث الوظيفة الإعلامية والحرية في التعبير والعقيدة .

١ ـ أما من حيث الوظيفة الإعلامية: فلنا أن نقول بشيء من الإطمئنان أن للشعر الإسلامي أَثَرهُ الكامل في هذه الناحية وكان جله من النوع المنفعل المتأثر لا لسبب قلة إدراك المنهج وبراعة الشاعر في التخطيط والتوقع المدروس المبني على استقراء الأحداث كما ذكرنا من صفات هذا النوع من الشعر فهذا لا يخطر

ببالنا أبداً وإنما لجأ الشعراء الى هذا النوع لأن الرسول ﷺ قد كفاهم هذه المهام فهو المخطط والمشرع بإذن ربه وهو الذي يرسم المنهجَ وطريق الإسلام ومستقبَلهُ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فمن التجاوز بحق التشريع أن يستبق الشعراء الأحداث أو يخططوا وينظروا للمستقبل والوحي ما زال ينزل . . . لذلك ما كان أمامهم إلا وصفُ ما يشاهدون ثم يصوغون ما شاهدوه في إطار شعري بديع .

أما القليل الذي ورد مما يدل على النوع الأول فإنما هو موافقة لآية أو حديث أو استنباطٌ لما في الآيات أو الأحاديث من أخبار عن أمور ستحدث في المستقبل أو تقريرُ أمرٍ أو السيرُ في خط ما . . . . وذلك لأن الوحي كان يخبر عن أشياء ستقع فإن صاغوا هذا الخبر الذي بلغهم شعراً فليس الفضل لما قالوا وإنما هو منقول عن ذلك الخبر . . . . أو هو استنباطُ شاعرٍ ذكي ربط ما توقع بحدث مشابه من قبل فقد قال قيس بن بحر الأشجعي[1] متوقعاً غارة على غطفان لمساندتها اليهود ضد المسلمين:

فإنْ يكُ ظني صادقاً بمحمدٍ ... تروا خيلَهُ بين الصِلا وَيَرَمْرَمِ
يؤم بها عمروَ بنَ بهثةَ إنَّهم ... عدوٌ وما حَيٌّ صديقٌ كمجرمِ
عليهنَّ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى ... يهزون أطرافَ الوشيج المقومِ

٢ ـ أما المقارنة من حيث الحرية في التعبير: فقد كان الشعر في الصدر الأول من الإسلام يتمتع بحرية الكلمة ضمن الخط الإسلامي الواضح وعلى هذا فقد صدر عن الشعراء الإسلاميين وعن الشعراء الخصوم على حد سواء شعر جياش لما في الصدور من حيث النقد والفكر والمواقف فكان شعرهم واضحاً لا رمز فيه ولا خفاء ولا تورية بعيدة المنال فذُكِرْت أسماءُ المسيئين وغيرهم . . بينما نجد الشعر الإسلامي المعاصر يفتقر الى حرية الكلمة ولقد

---

(١) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد جـ ٣ ص ١٩٨ ـ دار الفكر ـ دون تاريخ.

لوحق الشعراء المعاصرون فهاجروا وتشردوا ومن يقرأ تاريخ الأعلام منهم يجد أن أغلبهم قد نفي أو شرد سواء أكان ذلك في عهد العثمانيين المتأخرين أو المستعمرين الغربيين أو بعض الحكام المحليين لذلك لجأ كثير منهم إلى الشعر الرمزي أو إلى العموميات التي لا يفهم منها مقصد خاص وابتعدوا ما أمكن عن ذكر الأسماء ليتاح لقصائدهم فرصةُ النشر أو الإلقاء في المحافل وإلا بقيت أشعارهم مخفاةً مكممةً ولماتت خنقاً دون أن ترى النور وعندها تفقد سبقها وقيمتها وتبقى للذكرى لا للإعلام . .

وهذا النوع من الشعر الرمزي يؤدي جزءاً من الغرض الإعلامي لا بأس به وإن كان فهمه يحتاج إلى خلفية من الإدراك والإحاطة بما يجري على الساحة، وهو بهذا لا يستعصي على من عاصره وإن كان يحتاج فيما بعد لشروح وضيئة تستنير بها الأجيال اللاحقة . .

وقد يكون الإيحاء أو الرمز أبلغ من التصريح في بلد كثرت فيه العيون والسجون، ولنا في القرآن الكريم المثل الأعلى في قضية الرمز والتصريح فاستعمل القرآن كلا الأسلوبين . . إستعمل الرمز المقرون بالقرائن لحله دون تعقيد كما ورد في القرآن في رؤيا يوسف ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحد عشر كَوْكَباً والشَّمْسَ والقَمَر رأيتهم لي سَاجِدِيْن﴾ والقرينة أن أخوة يوسف كانوا أحد عشر . . وكذلك رؤيا الملك للبقرات السمان . . الخ لكن كانت هناك رؤيا في غاية الوضوح وهي رؤيا إبراهيم عليه السلام ﴿يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى في المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُك﴾ .

٣ ـ أما المقارنة الثالثة من حيث إسلاميةُ الشعر: فإنه مما لا شك فيه أن الشعر الإسلامي في الصدر الأول قد امتاز بإسلاميته الخالصة فلم يتطرق لقومية ولا لعصبية بمديح أو إيثار لها من دون الإسلام وإنما كان يحمل راية الإسلام كما دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

بينما تخبط الشعر المعاصر في بداية القرن العشرين بحيث شجع كل شاعر قوميته بل وحتى قطره وسنذكر فيما بعد مدى الإهمال الذي لحق بفلسطين من

قبل الشعراء المعاصرين الأول ومدى تخلف شعرهم عن مواكبة القضية الفلسطينية من البداية بينما كان الشعر الإسلامي الأول إسلامي الأهداف والغايات مواكباً لسير الأحداث لا ينفك عنها قيد ساعة.

تطور الشعر المعاصر:

والشيء المثلج للصدر أن الشعر الإسلامي المعاصر قد تطور في خلال قرن من الزمان تطوراً نحو الأفضل من حيث الإلتزامُ الفكري. فبينما نرى شعراء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قلةً تكتب في كل ما تهوى وما تريد بحيث عددت الشعر ونوعته وبالتالي يتردد الحكم على الشاعر من خلال شعره المتنوع فلا نستطيع أن نطلق على واحد منهم بأنه شاعر الوطنية أو شاعر الغزل أو شاعر الإجتماع أو القومية فلكل واحد منهم باع طويلة في كل هذه الأمور وحين نقرأ لشاعر منهم شعراً وطنياً في غاية الجودة والإرتقاء ونجد بين قوافيه ما يجعله يعلو ويحلق بحيث نخاله قمةً في الإخلاص والوطنية ونحكم عليه بأنه قد وقف نفسه لأمته ونسي لذات عيشه ومشاغلَ دنياه ونذر نفسه لأمته مكافحاً ومناضلاً عنها وإذا شدنا الشوق لمزيد من الإطلاع والإستزادة من هذا الشعر الفياض إذا بنا نفاجأ بطفوليته أمام إمرأة أو كأس خمر أو بمدحه لوطني مزيف لا يستحق إلا الذم والطرد وكشفه للأمة.. فيسقط هذا الشاعر من عيوننا على أم رأسه وننسخه من مخيلتنا وخاطرنا ونذهب لنفتش عن آخر علنا نجد عنده ضالتنا المنشودة لكي ننسبه الى الإلتزام فننكص على أعقابنا بعد تعب وجهد مهمومين آسفين..

وَمَنْ تَتَبَّعَ شعرَ أولئك السابقين في هذا القرن وجده من لون واحد وسمة واحدة أقول هذا من حيث الإلتزام والوظيفة الإعلامية دون النظر الى النواحي اللفظية والمحسنات البلاغية لأن لكل شاعر من هذه النواحي فطرةً وسليقةً ومقدرةً لا يستطيع أن يتجاوزها بسهولة أو ربما توقف عندها فميزت شعره عن شعر غيره..

لكن مقصدي هو تسخير الشعر لأهداف الأمة ووقفه عليها في محنها التي بلغت بها من الهوان كل مبلغ حيث لا وقت لشاعر مخلص أن يشغل نفسه بغير ذلك أما شعراؤنا فقد درجوا على إعطاء الأمة شطراً يسيراً من وقتهم وتخصيص الباقي لذاتهم ونعيمهم وأترابهم ونسوا بأن الإنسان المسلم ملك لأمته وكذلك وقته وماله وما ملكت جوانحه..

ولقد سار الشعراء جميعهم على نهج واحد فقلد منهم اللاحقُ السابقَ وكأن أحدهم كان يتوجس نقداً أو هجاء إن لم يسر في ذات الطريق من حيث التغزل والإفتتان بالخمر والنساء وما شابه ذلك فلقد ألح أصدقاء إبراهيم طوقان عليه في الجامعة بأن يُسيّر شعره في هذا الطريق وإذا علمنا أن من بين هؤلاء الأصدقاء الشاعر وجيه البارودي من سورية الذي لقب نفسه (ديك الجن) و(دنجوان حماة) فلا نستغرب من مطلبهم ومحاولتهم إغراء طوقان للإنحراف بشعره فقالوا له وعلى الدوام «أنت شاعر ولكن بلا شعور أين وحي المرأة في شعرك..؟»[1] وكان لهم ما أرادوا «ولما بلغ الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل وهنا مس الحب قلبه ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً..؟ كلا بل كان مساً عنيفاً ملهباً أشعل روحه وأيقظ حسه وأرهف نفسه..»[1] وهكذا نجد أن لغة ذلك العصر تركز على هذا النوع من الشعر ليرهف الحس.. ألخ وكل هذا للإيقاع بالشعراء الملتزمين المتدينين من أجل أن يسقطوا في هذه المستنقعات وبالتالي تخسر الأمة صوتهم..

وقد يعجب الإنسان أشد العجب من شاعر درس القرآن منذ صغره وتعلم الفقه ومارس التدريس الديني واللغوي أو انتسب للأزهر ثم بعد ذلك يذكر الخمر في شعره ويعلن بكل وقاحة عن مقارفته لشربها وقد روى الرصافي بلسانه شربه للخمر في مقابلة معه نشرها أحد الباحثين[2].

---

(١) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ـ ص ١٨ ـ دار الشرق الجديد بيروت ١٩٥٥.

(٢) د. أحمد يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩.

وكذلك أحمد شوقي الذي قال:

رمضان ولى هاتها يا ساق مشتاقة تسعى إلى مشتاق

وحف كأسها الحبب . . . علماً بأن جيد شعره يشيد بالإسلام وأهله . . ثم إرتقى الشعر الإسلامي بعد هذا الجيل حتى بدت ملامح الإلتزام وكانت هذه النهضة الشعرية جزءاً من نهضة إسلامية أصيلة تبناها مصلحون وعلماء وتبنتها مؤسسات وجمعيات وحركات إسلامية واعية ناضجة وما إن وصلنا إلى الثلث الثاني من القرن العشرين حتى كان لدى الأمة عدد ضخم من شعرائها الملتزمين الذين وقفوا حياتهم وشعرهم لأمتهم لا يشغلهم عن مهمتهم ما كان يشغل سابقيهم وأصبحنا نقرأ في دواوينهم أو منشوراتهم الشعرية قصائد ثرة تفيض بآمال الأمة وآلامها فقد التزموا بقول رسولهم ﷺ (من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم)[1] لذلك أقبلت هذه السنوات الأخيرة فخورة بشعرائها الإسلاميين وازداد بسبب ذلك النضج والوعي بين شباب الأمة مما أدى إلى نهضة إسلامية واعية وإلى شباب منفتح عرف الطريق الصواب وتطلع الى تحقيق أهداف أمته فعاد إلى قلبه اليقين يعززه عزة بإسلامه أبية، يؤمن بالحرية الجادة للمسلمين ويعشق الجهاد الذي يصونهم من خطر المعتدين لا يأبهون لدمهم المهدر طالما آمنوا عن يقين وعرفوا أن للشهداء والمتقين عقبى الدار.

---

(١) رواه البيهقي عن أنس رفعه بلفظ (من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم) وهو عند الطبراني وأبي نعيم ـ كشف الخفاء ج ـ ٢ ص ٤٧٩ الطبعة الثالثة ١٣٥٢ هـ ـ مطبعة بيروت ـ لبنان.

جذور تاريخية (خلاصة عداوة اليهود للإسلام)
بداية الصراع بين المسلمين واليهود

جولة تاريخية

قبل أن نتكلم عن الصراع العقدي بين المسلمين واليهود وقبل أن نبحث في أسباب هذا الصراع ودوافعه.. لا بد لنا من جولة سريعة عبر تاريخ اليهود الطويل لنقف على العقيدة اليهودية التي صاغوها من أنفسهم وكتبوها بأيديهم مدعين زوراً وبهتاناً أنها عقيدتهم الإلهية التي أمرهم بها موسى صلوات الله عليه والأنبياء الذين أتوا من بعده... وبعد ذلك نستجلي الدوافع العدوانية بكل وضوح. لقد كان للعقائد اليهودية الضالة الأثرُ الكبير في صراعهم مع البشرية لأنهم جعلوا لشعبهم اليهودي المكانة الأولى على البشر واعتبروه الصفوة المختارة التي تعلو على كل المخلوقات فأحلوا لأنفسهم ـ بهذا الإدعاء ـ ما حرموه على غيرهم وتجاوزوا في التعدي واستباحة المحرمات كل حد، واستعملوا المكر والخديعة والغش والسرقة وكل قبيح وسيلة لتحقيق أغراضهم والوصول إلى مبتغاهم كما أنهم جعلوا النبوة والرسالة حكراً عليهم مدعين أنه ليس لغيرهم من البشر أيةُ قيمةٍ إنسانية تؤهلهم لأن تكون النبوةُ فيهم..

وعلى الرغم من ادعاءاتهم الكثيرة بأنهم أصحاب عقيدة سماوية إلا أن جميع تصرفاتهم تدل دلالة لا مرية فيها ولا شبهة بأن رسالتهم التي يزعمونها ويسيرون وفق تعاليمها هي من وحي شياطينهم وأنهم أعداء الله ورسله والناس أجمعين..

من كتبهم نديهم:

فمن قولنا أنهم أعداء الله . . نقرأ في كتبهم الموثقة لديهم ما يؤكد لنا ذلك فلقد ابتعدوا أشد البعد عن تنزيه الله فجسدوه وشبهوه ووصفوه بالصفات التي لا تليق بكماله وعظمته ثم تجرأوا أكثر فأكثر حتى وصفوه بالعنف والقسوة وانعدام الرحمة والعداء للشعوب والندم على ما يفعل . . وهذه الصفات لا يرضاها لنفسه الرجل العادي من الناس فضلاً عن أن تكون هذه صفات للخالق المبدع تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وقد جاء في سفر الخروج ما يؤكد لنا الصورة المشوهة والمنسوخة عن اعتقادهم الإلهي وذلك حين أراد الرب أن ينتقم من بني إسرائيل لصناعهتم العجل وسجودهم له . . قال الرب لموسى: «الآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهـــم، فلم يتركه موسى بل تضرع أمامه وراجعه قائلاً: لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، إرجع عن حقو غضبك واندم على الشر بشعبك، إذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيده الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد فندم الرب على الشر الذي قاله إنه يفعله لشعبه . .)[1].

هذا ما وصفوا به الإله في شريعتهم.

وأما بالنسبة لعدائهم للأنبياء: فقد نزعوا من قلوبهم كل معاني الإحترام لهم واتهموهم بما لا يتهم به إلا أحط الناس وأسافلهم وخطؤوهم وعاندوهم وقتلوا كثيراً منهم فهم الأعداء الألداء للأنبياء وبالتالي أعداء أهل الحق والخير، ولقد كان لهم هدف بعيد الغاية من تشويه سمعة الأنبياء واتهامهم بالأعمال

---

(١) سفر الخروج أصحاح ٣٢ فقرات ١٠ ـ ١٤ ـ عن مذكرة طبعت في المعهد العالي للدعوة أعداد/د. عمارة نجيب.

المنحطة وذلك ليبرروا أعمالهم الدنيئة ويستبيحوا ما شاؤوا من المحرمات.. فنسجوا القصص الخيالية حولهم مما يأباه عقل كل إنسان سوي .. لقد اتهموا هارون النبي بصناعة العجل لهم ليعبدوه وبالتالي ليكون العجل مدخلاً لهم لعبادة الذهب .. كما اتهموا لوطاً بالزنا ببناته .. كما جاء في سفر التكوين وذلك بعد أن دمر الله قوم لوط ونجا مع ابنتيه وباتوا في مغارة .. قالت البكر للصغيرة : (أبونا شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كعادة كل أهل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.. وفعلت مثلها الصغيرة ـ فحبلت أبنتا لوط من أبيهما كل منهما بغلام ومن هذين الغلامين تفرع شعبان هما شعب المؤابيين وشعب العمونيين)[1].

وهذا الإتهام خطير جداً خصوصاً إذا كان المتهم نبياً مرسلاً ليؤكدوا على مشروعية شعارهم «الغاية تبرر الوسيلة» .. فخوفاً على انقطاع النسل لا مانع عندهم من اقتراف جريمة الزنا، وإن كانت الفاحشة المرتكبة مع أقرب المحارم .. فقدوتهم على حسب افترائهم النبي لوط وبناته ..

وأما بالنسبة لعدائهم للشعوب: فقد جعلوا كل شعوب الأرض في المكانة الدنيا بل اعتبروهم أقل من الحيوانات شأناً يقتلون منهم من شاءوا ويسترقون من شاءوا.. فهم في نظرهم أحقر من ذبابة وهذا التلمود يقول: (وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الإبن جزء من أبيه ومن ثم كانت أرواح اليهود أعز على الله من باقي الأرواح لأن أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات).. ولقد زعمت كتبهم أن إسرائيل (يعقوب) سأل إلهه قائلاً: (لِمَ خلقت خلقاً سوى شعبك المختار؟ فأجابه:

---

(١) سفر التكوين أصحاح ١٩ فقرات ٣٠ ـ ٣٩ عن السابق.

لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتمحقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم)[1].

وعلى هذا فقد استندوا الى أقوال مقدسة ـ عند زعمهم ـ في إيذاء بني البشر من غير اليهود . . ومما تقدم نجد أن اليهود قد سلكوا منذ القديم منهج التفكير الخاطىء لذلك جاءت نتائج أعمالهم خاطئة طبقاً لمنهج تفكيرهم وأن هذا التفكير الخاطىء قد جرهم إلى عداء الشعوب الأخرى بحيث لا يمكن التوفيق بين ما يعتقدون وبين تعايشهم مع الشعوب الأخرى على أساس المحبة والسلام . . لذلك نرى من خلال أحداث التاريخ أنهم عندما يتمكنون من الشعوب الأخرى يبيدونها عن بكرة أبيها كما جاء في الإصحاح السادس حول فتح مدينة أريحا (وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف).

وكان من الطبيعي أن ترد الشعوب الأخرى على العنف بالعنف خصوصاً الشعوب التي ذاقت الأمرين من مكرهم وخداعهم وظلمهم وطغيانهم . . فكان الغزو البابلي الماحق لهم وسوق من عاش منهم أسارى وعبيداً إلى بابل . . ثم جاء الغزو الرومي ووقع اليهود تحت سيطرة الرومان ولما أرادوا أن يثوروا ضدهم قمع الرومان ثورتهم بكل قسوة ووحشية فكان عقابهم هذا جزاء وفاقاً . . ثم كتب عليهم التشريد في البلاد.

المسلمون واليهود في المدينة:

عاش اليهود في يثرب قبل الإسلام معيشة ترف ورفاهية، معتمدين بذلك على سذاجة العرب سكان يثرب الذين كانوا يناوىء بعضهم بعضاً ويكن كل فريق للآخر العداوة والبغضاء . . فاستغل اليهود نقطة الضعف هذه وحالف كل رهط منهم قبيلة من عرب الأوس أو الخزرج، وعاشوا على أشلاء الفرقة

(١) السابق من مذكرة المعهد العالي للدعوة.

العربية فبنوا في يثرب القلاع والقصور وملكوا الآبار وأشجار النخيل والبساتين واستفادوا من حاجة العرب إليهم في الزراعة والصناعة . . فأسلمهم العرب أمرهم في هذا الشأن، فما كان من يهود إلا أن استغلوا هذه الطيبة الفطرية فعاملوهم بالغش والخداع وأقرضوهم الأموال بالربا حتى أثرى اليهود وكثرت ثرواتهم، وأقنعوا العرب بأنهم أصحاب ديانة سماوية منزهة وأنهم ينتظرون قدوم النبي الخاتَم ليؤمنوا به ويحاربوا أهل الكفر والضلال . .

ومرت الأيام وظهر النبي الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه في مكة، ثم هاجر الى المدينة فاستقبله الأنصار فيها استقبالاً حافلاً . . وتقاعس يهود عن المجيء إليه والقدوم لإعلان الإسلام أمامه كما كانوا يزعمون من قبل وقد كان من المفروض أن يكونوا أول المؤمنين به بل كان عليهم باعتبارهم يعرفون حقيقة أمره أن يناصروه منذ بدء دعوته في مكة المكرمة وأن يكونوا له حماة يمنعون عنه أذى أهل مكة من المشركين . . لكننا نجد العكس من ذلك فقد كان دخوله الى يثرب سبباً في وجوم القوم واجتماعهم على العداوة له . . وقد ذكرت ذلك صفية بنت حيي بن أخطب وهي تصف حالة أبيها وعمها وما أضمراه من العداء للرسول ﷺ عندما دخل المدينة فقالت: (كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حي بن أخطب: أهو هـو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت)[1]. ولقد حثهم عبد الله بن سلام الحبر اليهودي على الدخول في الإسلام

---

(١) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ جـ ٢ ص ١٤٠ ـ مطبعة دار الفكر.

لما عرف الحق فقال لهم كما روي لابن عباس: «يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه. فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي، فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بهت أهل غدر وكذب وفجور؟»[1].

من هذه الشواهد نعلم أن اليهود قد ناصبوا الإسلام ونبي الإسلام كل عداء رغم علمهم بصدقه وصحة ما جاء به من عند الله . . لكن الرسول ﷺ لم يشأ أن يصطدم معهم رغم علمه بنواياهم الخبيثة المبيتة وذلك لحداثة أمره في المدينة من طرف ولوجود أحلاف لهم مع الأوس والخزرج من طرف آخر . . . فنجده يغضي الطرف عنهم ويدعوهم الى الإسـلام كما فعل مع كافة الناس ثم يعطيهم الشخصية الإعتبارية والإعتراف بهم عندما «كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعـاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم»[2].

إلا أن كل هذا التسامح من جانب المسلمين لم ينفع معهم بل ظلوا على عنادهم وكفرهم وعداوتهم الشديدة للمسلمين ونبيهم وكشفت الأيام يوماً بعد يوم ما كان يحيكه اليهود من مؤامرات ودسائس وكيد وحقد . . فقد جذبوا الى صفهم فئة المنافقين الذين أظهـروا إسلامهم ومـا تخفي قلوبهم من الكفر أكبر . . . . أمثال عبد الله بن أبي بن سلول ومن سار في ركابه واقتفى آثاره .

القرآن يكشف خفايا اليهود:

وبعد وصول النبي محمد ﷺ إلى المدينة تغير أسلوب القرآن في الخطاب عما كان عليه في مكة المكرمة . . فبعد أن كان يخاطب قريشاً في مسائل الإنقياد لله

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٣٩.

(٢) السيرة النبوية ـ المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٩ ـ دار الفكر.

تعالى وإفراده بالعبادة وحده وترك الأصنام، وبالبعث والنشور.. أصبح يخاطب أهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود في المدينة فنزلت الآيات تترى تحكي خبر المنافقين وتكشف مؤامراتهم مع اليهود للنيل من المسلمين ولقد كانت سورة البقرة من أوائل السور المدنية التي نزلت بهذا الخصوص ونزل فيها مائة آية[1] دفعة واحدة فصلت فيها أخبار المنافقين واليهود وأعطت هذه الآيات انطباعاً كاملاً وصورة حية صادقة عن كل ما يتعلق بتاريخ اليهود فأماطت الخفاء عن سيرة حياتهم بحيث يستطيع كل مسلم قرأ هذه الآيات وألم بتفسيرها أن يحيط بأخلاقيات يهود وخطرهم.. لأن هذه الآيات وثيقة ربانية ناطقة بالصدق والحق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فهي الأساس السليم لكل دارس أو متتبع للتاريخ اليهودي قديمه وحديثه...

وعلى مدى التنزيل في المدينة المنورة تكون لدى المسلمين حقائق ناضجة الفهم عن اليهود لا يرقى اليها الشك مطلقاً مهما نثر فوقها من ضباب التمويه ومهما حاول المنافقون من تعتيم عن حقيقة أصدقائهم المكرة.. ولقد دمغهم الله تعالى بما وصفهم به من صفات منحطة إلى يوم القيامة ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾[2].. فليس هنا أثر للتراجع عما بدأوا به وإن كان يبدو ذلك أحياناً لمن كان في عينه رمد..

إن ما فطر عليه اليهود من كذب وغش وخداع ونقض للمواثيق وقتل للأنبياء وأكل للربا والمال الحرام والجبن والخوف والإدعاء بدخول الجنة دون سواهم والتفاخر بالمال والسلطان، جعلهم كالطفيليات التي لا تستطيع العيش بسلام مع الجسم السليم المحصن بالإيمان البعيد كل البعد عن صفات الدناءة فكان التمحيص ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة**﴾[3].

---

(١) قال ابن هشام يروي عن ابن اسحق: «ففي هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر من سورة البقرة إلى المائة منها فيما بلغني والله أعلم.
المرجع السابق جـ ٢ ص ١٥٢.

(٢) التوبة ـ ٧٧.

(٣) الأنفال آية ٤٢.

فليس هناك من حلول وسط بين الكفر والإيمان فكان لا بد من الصراع أو التدافع لقوله تعالى: ﴿**ولولا دَفَعَ اللهُ النَّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[1].

بداية الصراع:

حز في نفس اليهود أن ينتشر الإسلام في المدينة كالمسك الفواح وأن يدخل الى كل قلب وبيت، وهالهم أن يجدوا العرب المسلمين وحدة أخوية متحابة متناسية ما كان بينها من أحقاد.. فصمموا على العدوان وأعدوا للشر عدته من وسائل الهدم والتفريق.. ليعيدوا من جديد سياسة (فرق تسد) في مجتمع المدينة لترجع لهم السيادة على أشلاء العرب المتناحرين..

فقال كبيرهم شاس بن قيس في حقد وحسد: (قد اجتمع ملأ بني قيلة ـ يعني الأنصار ـ بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال له: أعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار)[2].

فقام هذا اليهودي الماكر وأنشد أشد ما قيل من الشعر في هذه الموقعة وغيرها حتى أشعل الفتيل.. وكاد الحيان من الأوس والخزرج أن يقتتلا وتنبعث فتن الكراهية والحروب من جديد ولكن هذه المرة في ظل الإسلام... هكذا أرادها يهود ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾[3].

ولما سمع الرسولُ محمد ﷺ سارع ووقف بين الحيين وقال: «يا معشر

---

(١) البقرة آية ٢٥١.

(٢) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ جـ ٢ ص ٧٨٣. مطبعة دار الفكر.

(٣) سورة الصف آية ٨.

المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام . . »[1] .

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين . .

وفطن المسلمون بعد هذه الحادثة الى هؤلاء المفسدين في الأرض، فوقفوا منهم موقف الحذر والتربص حتى إذا حان الوقت ودنت ساعة الخلاص منهم قاتلهم المسلمون على قلب رجل واحد، فكان جلاء بني قينقاع وبني النضير ثم بني قريظة فقد أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة»[2] الذين خانوا العهد ونقضوا الأيمان بعد توثيقها في غزوة الخندق. . فكان قتالهم وجلاؤهم ثم توجه الجيش بقيادة الرسول ﷺ الى خيبر وحاصرها الى أن سقطت في أيديهم، وهنا سكن اليهود قليلاً ريثما يستردون أنفاسهم ليقدموا على عمل خطير فيما بعد إلا أن الرسول ﷺ أوصى قبل انتقاله للرفيق الأعلى المسلمين فقال « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[3] . وبعد أن تثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه من صحة الحديث أرسل الى بقايا يهود خيبر يأمرهم بالجلاء إلا من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ . . وهكذا تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود المتآمرين.

الشعر الإسلامي يدخل المعركة:

ولقد ذكر القرآن الكريم هذه الوقائع وما صاحبها فكانت آيات تتلى حتى

---

(١) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محي الدين عبد الحميد ـ جـ ٢ ص ١٨٤ ـ دار الفكر.

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٥٢.

(٣) عن مالك عن ابن شهاب أن الرسول ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» موطأ ص ٥٥٦ كتاب الشعب بدون تاريخ.

قيام الساعة وفي خضم هذا الصراع أخذ الشعر الإسلامي وظيفته في المعركة فصور تلك الوقائع أجمل تصوير وأبرز من خلال إبداعه المشاهد والوقائع والحالات الإنفعالية والنفسية لليهود، فكان بمثابة لوحة بارعة التصوير أعطت الإنطباع الواقعي لتلك الأحداث فأغنت بالبيان عن المشاهدة، زد على ذلك حب العرب للشعر وانفعالهم بسماعه وتعلقهم الشديد به وتداوله بينهم وانتقاله السريع بين الحواضر والبوادي، على الرغم من فقده المكانة الأولى التي كان يحتلها في النفوس قبل الإسلام . . . ومنذ أن ظهر الإسلام وبدا للناس بلاغة القرآن وعلو بيان التنزيل الحكيم الذي علا كلامه كل كلام وأخذت فصاحته بالألباب فكان الشعر بالنسبة إليه حقيراً لا يذكر واعتبر من لغو الكلام لذلك خبت لحين قيمة الشعر في النفوس وانطفأت جذوته من القلوب لأن القرآن الكريم قد ملأها وملك عليها سمعها وبصرها . . .

ولولا أن الرسول الكريم ﷺ قد شجع الشعراء لأتى على الشعر حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . . لذلك لم يخفَ على الرسول ﷺ أهمية الشعر في المعركة فكان يقابل الشعراء بالشعراء وهو القائل «أهجو قريشاً فإنه أشد عليها من رشق بالنبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت» . .[1] حتى أن القرآن الكريم لما ذم الشعر وذكر أن أتباع الشعراء من الغاوين استثنى منهم الذين آمنوا . . فأعطى هذا الإستثناء الضوء الأخضر للشعر الإسلامي بالسير إلى الأمام وفق نهج سوي . . ولقد تألق الشعر الإسلامي وارتفع على ما عداه من الشعر عندما استمد أصوله من قواعد الدين الحنيف فكان مسايراً في تفكيره لما يقره الإسلام مبتعداً عن طريقة أهل الجاهلية في الإسفاف والجهل في التفكير . . فبرزت الخصائص الجديدة الأصيلة للشعر الإسلامي من حيث سلامة المنهج وأصالة التفكير وصدق القول، فأصبح للشعر وظيفةٌ إعلامية بارزة واكبت المسيرة في

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - جـ ١٦ ص ٤٨ - مطبعة دار الفكر بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

معارك الإسلام الخالدة، يبرز المشاهد والوقائع ويهاجم المعتدين ويقرع الضالين ويفيض بثنائه على المؤمنين المخلصين.

وقد كان من أوائل بدايات الصراع الشعري بين المسلمين واليهود ما حدث بعد انتصار المسلمين على المشركين في بدر إذ سارع كبير رؤوس اليهود كعب بن الأشرف الى مكة لتعزية المشركين وتحريضهم على قتال المسلمين فبكى أصحابَ القليب ليثير قريشاً في قصيدة له إذ قال:

طحنتْ رحى بـدرٍ لـمَهْـلكِ أهلهِ ولمثـلِ بـدرٍ تَسْتَهـلُّ وتَـدْمـعُ[1]
قُتلت سراةُ الناس حـول حياضِهم لا تُـبْعِـدوا إنَّ الـملوكَ تُصـرَّع
صـارَ الذي أثَـرَ الحديثَ بـطعنـةٍ أو عـاشَ أعمىً مرعشـاً لا يسمع

وهذا البيت دعاء على من نقل خبر النصر الى المدينة وهما زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ثم حرّض على غزو المدينة حين قال:

نُبِّئتُ أنَّ الحـارثَ بنَ هشـامِهم في الناسِ يَبْني الصالحاتِ ويجمعُ
ليـزورَ يثـربَ بـالجمـوعِ وإنمـا يحمي على الحسب الكريمُ الأروع

فتصدى له حسان بن ثابت لما سمع شعره ورد عليه قوله ليبوء بالحسرة والندامة فقال:

فابكي فقد أبكيتَ عبـداً راضعـاً شَبَـهَ الكُليبِ الى الكُليبـةِ يَتْبَعُ[2]
ولقـد شَفَى الـرحمنُ منـا سيـداً وأهـانَ قـومـاً قـاتلوه وصُرِّعـوا
ونـجـا وأفلِتَ منهـمُ مَنْ قَـلْبُـهُ سَعَفٌ يَـظَلُ لخـوفـهِ يتـصـدعُ

ولما عجز كعب بن الأشرف عن خوض المعركة الشعرية وما رأى من هجاء حسان وغيره من شعراء المسلمين أخذ يسلك طريقة أخرى في إيذاء المسلمين

---

(١) ابن هشام: أبي محمد عبد الملك ـ سيرة النبي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ جـ٢ ص ٤٣١ ـ دار الفكر.

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٣٣.

فشبب بنسائهم وأثقل فكان الأمر الرادع من الرسول ﷺ لأصحابه بقتل كعب وأمثاله ثم جاء بعده الشعر الذي أرعد له يهود ونزل عليهم أقوى من الصاعقة فقال حسان:

لـلهِ دَرُّ عـصـابـةٍ لاقـيـتَـهُـمْ ... ياابنَ الحقيقِ وأنتَ ياابنَ الأشرفِ[1]
يَسْرُون بالبيضِ الخفاف إليكمُ ... مَرَحاً كـأُسْدٍ في عَـرِينٍ مُعْزِفِ
مستنصـرين لنصـرِ دين نبيهم ... مستصغِـرينَ لكلِّ أمـرٍ مجحِفِ

وتتوالى المسيرة الشعرية لتسجل مراحل الصراع في المدينة بين المسلمين واليهود فمن جلاء بني النضير نذكر قصيدة قيس بن بحر الأشجعي الذي يصور فيها تبدل معيشة بني النضير من معيشة فارهة الى ضيق وكرب بعد رحيلهم حين قال[2]:

أُهيلي فداءٌ لامرىءٍ غيرِ هالكٍ ... أَحَـلَّ يـهوداً بـالحشي المُـزَنِّمِ
يَقِيلونَ في جمر الغضاة وبُدِّلوا ... أُهيضبَ عودي بالوديِّ المكمم
فإن يكُ ظنِّي صادقاً بمحمدٍ ... تروا خيلهُ بين الصلا ويـرمرمِ
عليهُنَّ أبطالُ مساعير في الوغى ... يهزُّونَ أَطْراف الوشيجِ المقوَّمِ

ثم أتبعهم كعب بن مالك بما يحبط لهم أي أمل في حربهم مع الإسلام وأنهم منهزمون لكفرهم بالله ورسوله حين قال:

وذلـكَ أنَّهم كفـروا بـربٍ ... عـزيـزٍ أمـرُهُ أمـرٌ كبيـرُ[3]
وقد أُوتوا معـاً فهماً وعلمـاً ... وجـاءهُمُ مِنَ اللهِ النَّـذيـرُ
فقالوا مـا أتيتَ بأمـرِ صدقٍ ... وأنتَ بمنكـرٍ منـا جـديـرُ
فـأيَّـده وسـلطهُ عـليـهـم ... وكـانَ نصيـرَهُ نعمَ النصيـرُ
فَغُـوْدِرَ منهمُ كعبٌ صـريعـاً ... فذلَّتْ بعد مصـرَعِهِ النضيـرُ

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٤٠.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ١٩٧.
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٠٥.

ولقد دخل بعض العرب الذين أحبوا أن ينافقوا أو يداهنوا مع اليهود المعركة الشعرية، فهذا العباس بن مرداس يمدح اليهود ـ وكان ذلك قبل أن يسلم ـ فقال:

ولو أنَّ أهلَ الدارِ لم يَتَصَدَّعوا رأيتَ خلالَ الدارِ ملهىً وملعبا[1]
إذا جاءَ باغي الخيرِ قُلْنَ فُجَاءَةً له بوجوهٍ كالدنانيرِ مرحبا
وأهلاً فلا ممنوعَ خيرٍ طلبتَهُ ولا أنتَ تخشى عندنا أنْ تُؤَنَّبا
فلا تَحْسَبَنّي كنتُ مولى ابن مِشْكَمٍ سلامٍ ولا مولى حيي ابنِ أخْطَبَا

وهنا انبرى له خوات[2] بن جبير ليقرعه على مدحه لليهود أحط الأقوام ويلومه على هذه المداهنة التي أتت في غير موضعها وكان أحرى له أن يكون مع بني قومه إذاً لعذره الناس ولكن أي عذر له وهو يمتدح اليهود وهذا عار سيُطبع فوق جبينه فقال خوات:

تَبْكي على قتلى يهودٍ وقد تَرَى من الشجو لو تبكي أَحَبَّ وأَقْربا[3]
فإنَّكَ لما أنْ كَلِفْتَ تَمَدُّحاً لمن كان عيباً مدحُهُ وَتَكَذُّبا
فهلا إلى قومٍ ملوكٍ مَدَحْتَهُمْ تَبَنُّوا من العزِّ المؤثَّلِ منصبا
أولئك أحرى من يهودٍ بمدحَةٍ تراهُم وفيهُم عِزَّةُ المجدِ تُرْتَبَا

وعندما نقضت قريظة عهدها مع الرسول ﷺ وألبت على المسلمين الأحزاب قاتلهم الرسول ﷺ حتى استسلموا ونزلوا على حكمة . . وحكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فأصابهم من ذلك ذل كبير جزاء نقضهم للعهود وغدرهم بالمسلمين وقت المحنة ولقد زاد من همهم تعنيفُ الشعراء لهم فكان وقعه كبيراً عليهم فقال حسان:

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٠٨.

(٢) خوات بن جبير بن أمية بن امرىء القيس وهو أحد فرسان الرسول ﷺ شهد بدراً هو وأخوه عبد الله بن جبير توفي بالمدينة سنة أربعين وعمره أربع وتسعون سنة. ص ١٧٨ تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢٠٨.

لقد لقيتْ قريظةُ ما سآها ... وما وجدت لذلٍ من نصيرِ[1]
أصابهمُ بلاءٌ كانَ فيهِ ... سوى ما قد أصابَ بني النضيرِ
غداة أتاهُمُ يهوي إليهم ... رسولُ اللهِ كالقمرِ المنيرِ
لهُ خيلٌ مُجنبَةٌ تَعَادَىٰ ... بِفُرسانٍ عليها كالصُقُورِ
فهم صرعى تحومُ الطيرُ فيهم ... كذاكَ يُدانُ ذو العندِ الفَخُورِ

ويتابع الشعر تسجيل المشاهد والوقائع وينتقل الى فتح خيبر فقد غزاهم رسول الله ﷺ وسجل عليهم نصراً حاسماً فذلت يهود وفتح الله للمسلمين حصون خيبر وقد قال حسان قصيدة سجل فيها هذا النصر العظيم بلغة الشامت المقرع:

بئسَ ما قاتلتْ خيابرُ عَمَّا ... جَمَعُوا من مزارعٍ ونخيلِ[2]
كَرِهُوا الموتَ فاسْتُبِيْحَ حِمَاهم ... وَأَقَرُّوا فعلَ اللئيمِ الذليلِ
أمِنَ الموتِ تهربُونَ فإنَّ الـ ... ـموتَ موتُ الهُزالِ غيرُ جميلِ

وقال كعب بن مالك قصيدة يصف بها قوة الجيش الإسلامي الذي حارب في خيبر ويظهر الغاية التي حارب المسلمون من أجلها فقال:

ونحن مددنا خيبراً وفروضَهُ ... بكلِّ فتىً عاري الأشاجعِ مُذْوِدِ[3]
يرى القتل مدحاً إنْ أَصَاب شهادةً ... من الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
يذودُ ويحمي عن ذمارِ محمدٍ ... ويدفَعُ عنهُ باللسانِ وباليدِ
يصدقُ بالأنباءِ بالغيبِ مخلصاً ... يريدُ بذاكَ الفوزَ والعزَّ في غَدِ

ومن هذه النماذج التي تقدمت نرى أن الشعر الإسلامي قد دخل حلبة الصراع وأخذ مكانه في المعركة منعطفاً ذلك الإنعطاف الخطير تاركاً أوهام

---

(١) المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٠٩. ـ سآها: بمعنى ساءها بحيث قدم الهمزة على الألف ـ سيرة ابن هشام.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٠١.
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٠٣.

الجاهلية الحمقاء ملبياً حاجات الرسالة الإسلامية ليحمل على عاتقه جزءاً من الوظيفة الإعلامية الهادفة .

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه طرد اليهود من جزيرة العرب لتبقى للمسلمين وحدهم وذلك بناء على وصية الرسول ﷺ[1] فرحل اليهود الى بلاد الشام وغيرها حتى تفرقوا في البلاد جزاء ما اقترفت أيديهم من ضلال.

اليهود في التاريخ الإسلامي وحتى دخول فلسطين:

لم ييأس اليهود من الكيد للإسلام بعد خروجهم من جزيرة العرب فأعدوا خطة جديدة غادرة يخربون بواسطتها من داخل البناء الإسلامي فكان أن أسلم عدد منهم في عهد الخلفاء الراشدين وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي الماكر الذي كان سبب أكبر فتنة وقعت في تاريخ المسلمين، فقد استطاع بكيده الخفي وبطيب قلوب المسلمين واستسلامهم لكل من أسلم دون النظر الى فعله وما يصدر عنه من أمور مطابقة أو منافية للإسلام أن يُسَعِّرَ الفتنة . . وهكذا مشى بينهم ابن السوداء باعتباره فرداً من المجتمع الإسلامي ليخطط ويكيد للإسلام حتى شبت الفتنة وأكلت بنيرانها خيار القوم . .

وكان هذا الماكر قد ألف جمعية سرية بث فروعها في مختلف أقطار البلاد الإسلامي فعملت على التأثير في الفكر الإسلامي محاولة تشويهه لكي يحل به ما حل بالمسيحية قبله . . .

فجاءت الفتن الكبرى بسببهم تترى في عصور الإسلام المتتالية، فكانوا سبب البلاء في ظهور الفرق الضالة كالجبرية والباطنية والمعتزلة ثم فيما بعد القاديانية والبابية والبهائية .

---

(١) عن جابر بن عبد الله . . يقول: أخبرني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» صحيح مسلم بشرح النووي - مجلد ٦ ج ١٢ ص ٩٢ - مطبعة دار الفكر ببيروت ط-٢/ - ١٩٧٢ .

فهم الذين بثوا فكرة الرجعية وتقديس الإمام علي الذي تعتقد به الباطنية فقد قال الشعبي لمالك بن معاوية «أحذرك الأهواء المضلة وشر الرافضة فإنهم يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتاً لأهل الإسلام ونعياً عليهم» وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وقالت اليهود لا يكون جهاد حتى يخرج المهدي . .[1]

كما كانوا المؤسسين لفرقة الإسماعيلية « ومن أخطر تلك الحركات، الإسماعيلية التي بدأت جمعية سرية على غرار جمعيات اليهود السرية لا يعرف أغراضها ودستورها إلا زعماؤها الأقلون وقادة أفكارها المقربون الى رئيسها، وكان أول مؤسس لها هو اليهودي عبد الله بن ميمون القداح، ونسب هذا اليهودي حركته إلى إسماعيل بن جعفر **الصادق**»[2].

« وأنجبت الإسماعيلية حركة هدامة أخرى هي حركة القرامطة التي قامت لهدم الخلافة العباسية . . وقاد رئيسهم سليمان بن طاهر جيشاً غزا مكة المكرمة سنة ٣١٧هـ وهتك حرمة بيت الله الحرام وفتك بالحجاج المحرمين الآمنين وقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً ونهب الأموال وردم بئر زمزم واقتلع الحجر الأسود ونقله مع قواته المنسحبة للجنوب»[3].

«ولقد كان الأصبع اليهودي في حركة القرامطة متستراً الى أن كشفه الخليفة المعتضد حين ضيق الخناق على عزرا بن صمويل كبير تجار اليهود في بغداد واعترف عزرا بأن اليهود قد مدوا يد العون المالي الى القرامطة وحركات بابك الخزمي والسبئيين وميمون القداح»[4].

وهم الذين تكلموا بخلق القرآن . . فقد كان لبيد بن الأعصم يمهد لذلك

---

(١) أنور الجندي ـ المؤامرة على الاسلام ـ ص ٩٩ ـ مطبعة دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٩٧٨.
(٢) عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١٦٥ ـ المكتب الاسلامي دمشق بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٨.
(٤) المرجع السابق ص ١٦٩.

بقوله بخلق التوراة ثم انتشر هذا الأمر ليشمل القرآن على لسان الجهم بن صفوان الذي نقله عن الجعد بن درهم وهذا بدوره نقله عن أبان بن سمعان وأخذه أبان عن طالوت بن أعصم اليهودي»[1].

وقد أدنى المأمون منه رجلين عمل بمشورتهما وهما بشر المريسي وأحمد بن داود، أما بشر المريسي فكان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة.. وذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد فقال: «حدثني صالح العجلي حدثني أبي قال: رأيت بشر المريسي مرة واحدة شيخاً قصيراً دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود.. وكان بشر يقول بخلق القرآن إبان حكم الرشيد الذي توعده وقال بلغني أن بشراً يقول: القرآنُ مخلوق، والله إن أظفرني الله به لأقتلنه فاختفى بشر حتى ظهر في أيام المأمون»[2].

ويقول صاحب كتاب المؤامرة على الإسلام: «ولا ريب أن عبد الله بن سبأ هو مؤسس هذا المذهب الباطني الذي استمده من المجوسية لإفساد الإسلام وإزالة ملك دعاته من العرب، ومن هذا المذهب تفرعت كل النحل المارقة الهدامة كالقاديانية والبابية والبهائية.. ولقد وضع عبد الله بن سبأ تعالم هذه الفرقة وألف تلك الجمعية السرية التي بثها في مختلف أقطار البلاد الإسلامية والعربية وهو أول من طرح هذه المفاهيم في أفق الفكر الإسلامي فأنشأ جماعة السبئية الخطيرة التي تولاها من بعده عبد الله بن المقفع ثم كانت تلك الجماعات الخطيرة التي حملت لواء تنفيذ مخطط المؤامرة: كإخوان الصفا والقرامطة والزنج»..

وعاش اليهود في ديار الإسلام يتنقلون بين مشرقها ومغربها وينعمون من خيراتها ويحققون مكاسب كبيرة باستغلال ذوي النفوذ والسلطان والتقرب إليهم عن طريق المعرفة بالطب والصيدلة والحساب.. فكان نفوذهم يقوى ويشتد

---

(١) عن كتاب المؤامرة على الاسلام ص ٢٩ ـ أنور الجندي.

(٢) عن أنور الجندي ـ المؤامرة على الاسلام ـ ص ٢٩ ـ مطبعة الاعتصام ط ٢ ـ ١٩٧٨.

ويعتمد عليهم الخلفاء والسلاطين الذين لا يميزون بين مسلم وغير مسلم بقدر ما يريدون تحقيق أغراضهم بأية وسيلة، فالتقت بذلك مطامع المسؤولين مع مطامع اليهود وتقاسم الطرفان خيرات المسلمين إلا أن الحكام المسلمين كانت نظرتهم محدودة وهي التسلط وبقاء الحكم في أيديهم بينما كانت نظرة اليهود هي السيطرة على المدى الطويل والانتفاع الى أقصى الحدود بإجهاض المسلمين وجعل المجتمع المسلم في اضطراب وتنازع ليبقى ضعيفاً غير متماسك ويروي ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ[1] حادثة طريفة حدثت في عهد الخليفة الفاطمي العزيز تدل على ذلك حيث قرب منه اليهود والنصارى واعتمد عليهم فصنع له المصريون ـ على ما عرفوا به من حب للنكتة السياسية اللاذعة التي يقابلون بها جور الحكام ـ دمية ألبسوها لباس إمرأة وحمّلوها رسالة ووضعوها في طريق العزيز . . ومر العزيز وتناول الرسالة من المرأة ولما قرأها وجد فيها (أسألك بالذي أعز اليهود بمنشا وأعز النصارى بعيسى وأذل المسلمين بك إلا قضيت ظلامتي) فغضب العزيز وعاد للمرأة ليعاقبها فوجدها دمية . .

ولقد مر بمصر في ذلك العصر الشاعر الدمشقي الحسن بن بشر ورأى تسلط اليهود والنصارى على المسلمين بسبب تقريب العزيز لهم فأنشد يقول بحسرة:

تَنَصَّرْ فالتنصُر دينُ حقٍ عليه زماننا هذا يَدُلُّ[2]
وقلْ بثلاثةٍ عَزّوا وَجَلّوا وعطلْ ما سواهم فهو عطلُ
فيعقوبُ الوزيرُ أبٌ وهذا العزيز ابنٌ ورُوحُ القدسِ فضلُ

ويعقوب المذكور هو وزير العزيز يعقوب بن كلسّ اليهودي . .

ولقد سار حكام الفاطميين كلهم على نهج واحد في تقريب اليهود منهم مما يدل على صدق القول بأن أصل الفاطميين من اليهود، فقد كان جدهم عبيد حداداً يهودياً نشأ في سلمية بالشام ثم هاجر الى المغرب وتسمى عبيد الله وادعى

(١) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ جـ ٩ ص ١١٦ ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٩٦٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٧ .

أنه شريف علوي وقال عن نفسه أنه المهدي . . كما ادعى من بعده من أحفاده بالألوهية أمثال الحاكم بأمر الله الذي قلد اليهود عندما نسخوا التوراة وكتبوها بأيديهم . . فقد ألف الحاكم أو ألفت له رسائل أحلها محل القرآن والسنة،تنطق كلها بتأليه الحاكم بأمر الله . . .

مؤامرة اليهود في العصر الحديث:

وهكذا ظل اليهود ينتقلون في ديار الإسلام ويكيدون له الى أن أُخرجوا من بلاد الأندلس بعد أن احتلها النصارى فاضُطهدوا وعُذبوا بعد أن كانوا في أمن وسلام أيام حكم المسلمين وقصدوا ديار الإسلام مرة ثانية ليعيشوا في ظل وحماية الدولة العثمانية أقوى دولة في ذلك الوقت وتمركزوا في سالونيك ومن هناك خططوا من جديد للقضاء على الإسلام ـ كما سيأتي تفصيله ـ وبعد ذلك وجد اليهود أن سيطرتهم على العالم لن تقوم إلا بإيجاد تجمع لهم وعودة إلى أرض الميعاد ومنها ينطلقون ليمدوا أذرعتهم نحو بقية العالم وهنا تركز عملهم ودأبهم للحصول على أرض فلسطين مهما كلفهم ذلك من جهد ومشقة ووجدوا أن هذا لن يتم إلا بالتعاون مع الصليبية الغربية الحاقدة على الإسلام والمسلمين فاتصلوا بنابليون بونابرت وأغروه بقوة اليهود وما سوف يناله من خير حين يستعين بهم في حروبه ومقابل المعونة التي سيقدمونها الى نابليون في حروبه في الشرق يُمنحون منطقة محاذية لقناة السويس تمهيداً لاحتلالهم فلسطين وإقامة دولة يهودية على أرضها بعد أن يحتلها الجيش الفرنسي بقيادة نابليون . .

وقد جاء في خطاب أحد حكماء اليهود في هذا الشأن ما يلي:

(أما البلاد التي ننوي قَبُولها باتفاقٍ مع فرنسا فهي إقليم الوجه البحري من مصر[1] مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر الى البحر الأحمر فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز

(١) عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١٤٤ ـ المكتب الاسلامي ـ ط ٢ ـ ١٩٧٨.

آخر في العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية.. ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا..).

ثم التجأ اليهود الى بريطانيا وأججوا حركة فكرية استعمارية قامت في منتصف القرن التاسع عشر تدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين من أجل خدمة المصالح الإستعمارية البريطانية..

وادعى الكتاب الإنجليز في هذه الحركة أنهم يدافعون عن الشعوب الصغيرة والأقليات المضطهدة في الشرق وهم في الحقيقة لا يخدمون إلا الصهيونية ولقد ظهر اتجاه اليهود نحو بريطانيا عندما اتجه هرتزل الى بريطانيا واتصل بالمستر تشمبرلن الذي عرض عليه قبرص وبوغندا ليختار إحداهما، ورفض اليهود العرض وطلبوا سيناء فكتبت الحكومة البريطانية الى ممثلها في مصر (كرومر) ثم صرف النظر عن سيناء نظراً لاستحالة استيطانها من غير مياه النيل التي طلب اليهود أن يسحبوا جزءاً منها لإرواء سيناء وطنهم الجديد... وقد أصر هرتزل وقومُه اليهود على فلسطين متكلين على عون دول أوروبا المسيحية الماسونية وعلى رأسها بريطانيا..

وقد ذكرت مجلة حضارة الإسلام[1] نقلاً عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية (أن بطرس غالي جد وزير الدولة للشؤون الخارجية الحالي كان قد أعطى تعهدات بالسماح لليهود بالاستيطان في العريش وفي شبه جزيرة سيناء منذ عام ١٩٠٢ حين أرسل هرتزل مساعده ـ ليوبولد جرين بيرج ـ الى مصر للتباحث مع القنصل البريطاني في مصر اللورد كرومر ومع رئيس الوزراء المصري آنذاك

(١) حضارة الاسلام العدد الثاني لسنة ١٤٠٠ هـ ربيع الآخر.
يعضد هذا القول أن الحادثة ثبتت تاريخياً وقد أورد عبد الله التل في جذور البلاء ما يلي: «ورفض اليهود العرض وطلبوا سيناء فكتبت الحكومة البريطانية إلى ممثلها في مصر (كرومر) وبعد جدل وأخذ ورد صرف النظر عن هذه الفكرة نظراً لاستحالة تنفيذها من غير مياه النيل التي طلب اليهود أن يسحبوا جزءاً منها لارواء وطنهم الجديد سيناء..».
عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١٥١ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨.

بطرس غالي حول مشروع استيطان يهودي في العريش وفي عام ١٩٠٣ سافر هرتزل الى مصر والتقى مع رئيس الوزراء المصري ـ بطرس غالي ـ حيث حصل على موافقته في إقامة مستوطنات يهودية في سيناء ومدها بمياه النيل لكن المشروع لم يخرج الى حيز الوجود بسبب معارضة اللورد كرومر التي تعود لعدم قدرة بريطانيا على نقل مياه النيل الى سيناء).

وقد ظلت الصهيونية تعمل بالتعاون مع بريطانيا وبتوسيط من آل روتشيلد اليهود الأغنياء إلى أن وعدت اليهود بإعطائهم فلسطين بعد أن تحتلها من تركة «الرجل المريض» تركيا فكان نهاية المطاف لمساعي اليهود مع بريطانيا وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وذلك عام ١٩١٧ . . .

٢ ـ اليهود والدولة العثمانية

تعرضت الدولة العثمانية لمؤامرات اليهود منذ أوائل عهدها، خصوصاً بعد أن فتحت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وبدأ نجمها بعد ذلك يسطع في الإنتصارات الحربية ضد نصارى أوروبا، فلقد أصبحت قوةً إسلامية يحسب حسابها إذ التزمت بمبدأ الجهاد وأخذت على عاتقها حماية المسلمين ونشر دعوتهم وقد كان شرفاً كبيراً للسلطان العثماني آنذاك أن يقود قواته بنفسه لكي يحصل على لقب (الغازي) بحق وجدارة . .

وقد وجدت اليهودية فرصتها سانحة للعمل ضد الإسلام والمسلمين مستعينة بأوروبا الصليبية ومستغلة حقدها على الدولة العثمانية بسبب انتشارها السريع في أوروبا فركز اليهود خططهم واستعدوا بكل ما لديهم من مكر ودهاء لدخول الصراع مع المسلمين الممثلين بالدولة العثمانية حاملة لواء المسلمين آنذاك . . .

ولقد تميز هذا الصراع بطول مدته وسرعة لدغاته القاتلة وبث السموم المميتة وذلك قبل عشرات السنين من ظهور هرتزل المخطط لليهود والصهيونية الحديثة وكانت أولى حلقات التآمر «قتل السلطان محمد الفاتح عام ١٤٨١م ـ بالسم على يد طبيبه اليهودي يعقوب باشا، كما ثبت أن اغتيال أولاد السلطان سليمان القانوني وأحفاده الصغار قد دبرته خليلة سليم الثاني نوربانو اليهودية»[١]

ثم كانت الطامة الكبرى يوم سمحت الدولة العثمانية لأعداد كبيرة من اليهود النازحين من أسبانيا بدخول البلاد والإستقرار في مدينة سالونيك كبرى الولايات العثمانية في أوروبا. . وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم يهود

(١) عبد الله التل ـ الأفعى الصهيونية في معاقل الاسلام ص ٧٥ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية دون تاريخ.

الدونمة[1]. وقد تمتع هؤلاء اليهود بالحرية في الإعتقاد وعاشوا بأمن في ظل الحماية العثمانية ليتفرغوا لحبك المؤامرات ضدها . . لقد قابلوا الإحسان بالإساءة وساروا عامدين ضمن المخطط المرسوم لتقويض الدولة العثمانية، والمسلمون الأتراك يحسنون اليهم ويظنون بهم الخير ولكن كان إحسانهم إليهم كمن يحسن إلى الأفعى ويغتر بنعومتها وطراوتها ثم يلفها حول عنقه فتنقض عليه عندما تعلم أن هذه هي فرصتها وأن هذا هو المكان القاتل . .

لقد ظهرت في الدولة العثمانية حركات يهودية خطيرة كانت مؤشراً كبيراً يدل على خطرهم وينبه الغافل الى اتساع كيدهم ووجوب كبح جماحهم وإعادتهم الى حجمهم الطبيعي، لكن ما ندري لماذا لقي هؤلاء المنشقون الغرباء عن كيان الأمة كل تسامح وتساهل . . . !؟ فنعموا بالحرية التامة من حيث الإعتقاد والتنقل والإجتماعات، فكانت لهم هيئاتهم واجتماعاتهم التي يعقدونها وكانت غالبية تجمعاتهم في استنبول وأزمير، ولا أدل على هذه الحرية الممنوحة لهم من وجود المجمع اليهودي العالي في الآستانة، «فقد كتب حاخام مدينة أرل من أعمال مقاطعة بروفنس في فرنسا رسالة الى هذا المجمع يشكو إليه ظلم الفرنسيين وذلك عام ١٤٨٩م[2]. وماذا يفعل إزاء هذا الظلم . .

وفي عام ١٦٦٦م ظهر في مدينة أزمير اليهودي سباتاي زفي وادعى أنه المسيح الموعود وتكلم وادعى وكذب ما شاء له أن يكذب حتى أن جماعة من قومه أحلوا دمه لكثرة ما أساء في دعوته وخلق في أرجاء الدولة العثمانية جواً من الإضطراب والبلبلة، فقد أتى بما يخالف الإسلام وعاث في الأرض فساداً

---

(١) الدونمة: كلمة تركية تعني العودة أو الرجوع وقد أطلقت هذه الكلمة على فئة من اليهود الذين تبنوا دعوى سبتاي زفي ثم أصبحت تعني المسلم ظاهراً اليهودي فعلاً وباطناً (بتصرف عن حضارة الاسلام العدد الثاني لسنة ١٤٠٠ هـ).
يراجع كتاب يهود الدونمة (د. محمد عمر).

(٢) د. علي محمد جريشة. محمد شريف الزيبق ـ أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي ص ١٥٣ ـ دار الاعتصام ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨م بتصرف.

وحملت دعوته معاني دينية مخالفة للإسلام فضلاً عما فيها من تحد سياسي خطير لدولة الخلافة فقد أطلق شعارات كثيرة تدل جميعها على ثورته ضد دولة الخلافة فقد قال لليهود «جاء عام تخليصي لكم» وأنه سيزور الأرض الموعودة مركز سلطة المسيح مستقبلاً»[1]. وغير هذا كثير وكثير . .

ولكن ماذا فعلت الدولة العثمانية معه . .؟ أحيل الى المحاكمة وأنكر أنه المسيح فصدقت الدولة ذلك رغم آلاف الشهود الذين سمعوا دعواه المزيفة وما كان من السلطان الرحيم إلا أن اقترح عليه بأن يسلم . . فأسلم . . وانخدع السلطان الطيب القلب به فجعله رئيس البوابين في القصر وهكذا دخلت الأفعى من باب السلطان المتسامح . . ولما تساءل أتباعه عن كيفية إسلامه وتراجعه عن دعواه أقنعهم أخوه وقال لهم: «كيان ساباتاي القديم صعد الى السماء وبأمر من الله ترك ملكاً يستمر في كونه المسيح ولكن تحت جبة وعمامة»[2].

كما أنه طلب من أتباعه أن يرتدوا مثله . . ثم سمحت الدولة العثمانية له بحرية الحركة مما سهل له حرية الإتصال بأتباعه، ولما قدمت شكوى ضده واتهم بأنه يقيم طقوسه الدينية مع مريديه، نفته الحكومة الى ألبانيا . . وهكذا نجد تساهل الحكومة الى حد الضعف في مثل هذه الأمور الهامة مع اليهود مما أغراهم على السير قدماً في القضاء على الدولة العثمانية فقد تظاهر يهود الدونمة ـ كما فعل معلمهم ـ بالإسلام وتسموا بأسماء إسلامية «ومن أشهر يهود الدونمة الذين وصلوا إلى أعلى المناصب قبل مصطفى كمال، مدحت باشا الذي أصبح الصدر الأعظم وتنقل في حكم ولايات عثمانية عديدة منها سورية ثم دبر مؤامرة خلع السلطان عبد العزيز ومؤامرة اغتياله بعد ستة أيام من خلعه وهو ابن حاخام مجري اشتهر بالمكر والخداع والدهاء فوصل الى أعلى

(١) د. محمد عمر ـ يهود الدونمة ـ ص ٢١ ـ مؤسسة الدراسات التاريخية ـ بدون تاريخ. . بتصرف. .
(٢) د. محمد عمر ـ يهود الدونمة ص ٢٨ ـ مؤسسة الدراسات التاريخية بدون تاريخ.

مناصب الدولة ليكون أقوى يهودي يتمكن من بذر الفتن في الدولة العثمانية»[1].

وحين تسلم السلطان عبد الحميد السلطة وجد أن مدحت باشا ورفاقه من يهود الدونمة قد دبروا خضوع الخلافة والدولة العثمانية الى حكومات أوروبا بحجة الإصلاح وحماية الرعايا من غير المسلمين، ولما كان السلطان عبد الحميد حراً أبياً فقد امتنع عن مجاراة مدحت باشا في استخذائه للغرب المستعمر الطامع في الدولة الإسلامية العظيمة . . وأن دعوته الى الحرية خادعة ومضللة وأنه يطالب بالحرية لنفسه ولبني قومه من اليهود وعبيدهم من النصارى ويمنعها عن الآخرين»[2]. «ومن أجل هذا عزل السلطان عبد الحميد مدحت باشا في فبراير ١٨٧٧م ثم نفاه الى أوروبا ثم أعاده والياً على سوريا وصدر حكم الإعدام عليه ورفاقه فخففه السلطان واكتفى بنفي مدحت الى الطائف حيث توفي في سجنه مخنوقاً كما تشير أغلب الروايات وبعد زوال نفوذ مدحت باشا وتسلطه لم تضعف حركات اليهود ودسائسهم لتخريب الدولة العثمانية»[3].

وبعد مشكلات مدحت باشا ابتليت الدولة العثمانية بتآمر جديد فقد ظهر هرتزل من بين الأوساط اليهودية ليتبنى عبء الدفاع عن اليهود فأصدر كتابه «الدولة اليهودية» عام ١٨٩٥م الذي خطط فيه لقيام دولة يهودية فاتصل بالجمعيات اليهودية وبكبار أثرياء يهود الى أن عقد مؤتمره الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وقد اتخذت في هذا المؤتمر مقررات سرية وأخرى علنية.

أما السرية فقد كشفت فيما بعد ونشرت باسم بروتوكولات حكماء صهيون وأما العلنية فكانت خلاصتها «العمل على تأسيس دولة لليهود في فلسطين

---

(١) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ـ ص ٧٦ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ.

(٢) المرجع السابق ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٨٤.

ويمهد لذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأراضي لليهود في فلسطين وتنمية موارد اليهود المالية وإنعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جمع اليهود»[1]. ثم كلف اليهود المجتمعون في المؤتمر رئيسه هرتزل بالتفاوض مع السلطان عبد الحميد وهنا باشر هرتزل عمله على وجه السرعة فاتصل بالسلطان عبد الحميد وزاره مرتين الأولى عام ١٩٠١م فلقي هرتزل الرفض والصدود من السلطان ثم إن هرتزل لم ييأس مما لقي في المرة الأولى فعاود الزيارة مرة ثانية عام ١٩٠٢م بعد أن قدم الرشوة لأعوان السلطان ولما دخل على السلطان عبد الحميد فوجىء بدخوله لأنه كان قد نبه على رئيس ديوانه بعدم السماح له بالدخول.. وهنا طرد السلطان هرتزل شر طردة عندما قال له: «إن فلسطين ليست ملكاً لي وإنما هي ملك لشعبي لا يحق لي التصرف بها ولا أستطيع أن أتخلى عن شبرٍ واحد من أرض فلسطين التي قاتلت أمتي في سبيلها وروت تربتها بدماء المسلمين، أسمح لكم بالهجرة الى أي جزء من السلطنة باستثناء فلسطين»[2].

وعلى أية حال فقد نجح اليهود في عزل السلطان عبد الحميد الثاني في آذار مارس ١٩٠٩م وقد كان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني قره صو وذلك لكيد السلطان وإفهامه أن عزله كان من تدبير اليهود لأنه لم يمنحهم فلسطين وقد أكد السلطان ذلك بعد عزله وهو في المنفى في رسالة بعث بها الى الشيخ محمود أبو الشامات جاء فيها: «إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الإتحاد والترقي المعروفة باسم (جون ترك). وبتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة».

ثم حيكت المؤامرة اليهودية الخبيثة لفصل باقي الولايات عن تركيا وجعل تركيا أمة قائمة بذاتها لا تمت الى غيرها بأية وشيجة فشجعت على فكرة الدعوة

(١) عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١٥٢ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ.
(٢) المرجع السابق ص ١٥٠

الطورانية وإذكائها بشدة حتى تبنتها جمعية الإتحاد والترقي وعملت جاهدة وبالقوة على نشر اللغة التركية بين جميع الشعوب التابعة للدولة العثمانية، مما أدى الى ثورة تلك الشعوب وردت على هذه الدعوة بإحياء قومياتها.

ويعترف مؤرخو العرب من النصارى بأن الرواد الأوائل لحركة القومية العربية كانوا من النصارى وأنهم تعاونوا مع الماسونية الأوروبية وفروعها ومحافلها في المشرق العربي . . . وأسهم أدباء النصارى وشعراؤهم في نشر الأفكار القومية منددين بالحكم التركي ومتغنين بأمجاد العرب فقد قال شاعرهم إبراهيم اليازجي:

تنبَّهوا واستفيقوا أيُّها العربُ ... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ
كم تُظْلمون ولستمْ تشتَكون وكمْ ... تُستغضبونَ فلا يبدو لكم غضبُ
أقداركمْ في عيونِ الترك نازلةٌ ... وحقُكم بين أيدي التركِ مغتصبُ
فشمِّروا وانهضوا للأمر وابتدروا ... من دهركم فرصةً ضنّتْ بها الحقبُ[1]

وهكذا استطاع شياطين اليهود أن يبذروا بذور الفتنة والكراهية بين الترك والعرب عندما ابتدعوا القومية التركية أولاً ثم القومية العربية اقتداء بها ونكاية لها . . .

وبعد أن عملت جمعية الإتحاد والترقي على خلق الفوضى والإضطرابات في أرجاء الدولة العثمانية وبعد أن بثت بذور الفرقة بالدعوة الى التتريك وبعد أن سلخت منها أجزاء هامة من أفريقيا وأوروبا أرادت القوى الخفية فيها أن تصفي تركة الرجل المريض ـ كما أسماها الأوروبيون ـ فحملوها كرهاً على دخول الحرب العالمية الأولى التي لا ناقة لها فيها ولا جمل . . فخاضت حرباً خاسرة أدت الى ضياع جميع ولاياتها خارج الحدود التركية.

---

(١) عبد الله التل ـ الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ـ ص ٨٠ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ١٩٧١.

ففي أول نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٢٢ ألغى أتاتورك السلطنة وأبقى الخلافة وفي ١٨ نوفمبر خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة وبويع عبد المجيد بدلاً عنه.

وفي آب ـ أغسطس ١٩٢٣ أنشأ حزب الشعب الجمهوري وأغلب أقطابه من يهود الدونمة والماسون وفي ٢٠ اكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٢٣ أعلنت الجمهورية التركية وانتخبت الجمعية الوطنية مصطفى كمال رئيساً للجمهورية وفي مارس ـ آذار ١٩٢٤ ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجراً في صدر أعداء الإسلام[١].

وتقول دائرة المعارف الماسونية كما نقل عنها عبد الله التل في كتابه «الأفعى اليهودية»[٢] «أن الإنقلاب التركي عام ١٩١٨ الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة، فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة وأبطل المحاكم الشرعية وألغى دين الدولة الإسلام، وألغى وزارة الأوقاف أليس هذا الإصلاح هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة؟ فمن يماثل أتاتورك من رجالات السياسة سابقاً ولاحقاً . . .».

وقد سيطرت اليهودية العالمية على الإعلام في تركيا لتساعد في تخريب تركيا من الداخل ولتبث السموم القاتلة بين جميع طبقات الشعب بعد أن سيطرت على الطبقة الحاكمة ويورد صاحب كتيب يهود الدونمة[٣] أسماء ثلاث دور للنشر في تركيا تعتبر من أكبر دور النشر الموجودة فيها يمتلكها يهود الدونمة.

١ ـ جريدة حريت وتعتبر أكبر دار نشر في تركيا ويقرب توزيعها من المليون نسخة وتتبع جريدة حريت داراً راقية للطباعة والنشر. . ومن هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

(٣) د. محمد عمر ـ يهود الدونمة ـ ص ٥١ ـ مؤسسة الدراسات التاريخية بدون تاريخ. . بتصرف. .

الدار تصدر مجلات أسبوعية وشهرية منها مجلة حيات ومجلة التاريخ. . وتملك هذه الدار وتديرها أسرة من يهود الدونمة وتحتضن هذه المؤسسة الصحفية الضخمة كبار كتاب اليسار التركي . .

٢ ـ جريدة مليت وهي الثانية من حيث الإنتشار والتوزيع بعد جريدة حريت وتصدر سلاسل كتب مختلفة. . وتمتلكها وتديرها أسرة من يهود الدونمة هي عائلة (أيبكجي) ويكتب فيها كتاب اليسار التركي مع أقلام يهودية معروفة مثل (سامي كوهين).

٣ ـ جريدة جمهوريت . . أسسها (بوني نادي) وهي جريدة اليسار المتطرف كان يرأسها يهودي الدونمة (نوري تورن) ثم اليهودي المحامي (رشاد أتابك) وهي ثالثة صحف تركيا توزيعاً.

وأما نفوذ الدونمة في الإعلام، فقد توصلوا الى تعيين الكاتب اليهودي من الدونمة إسماعيل جم ايبكجي في منصب المدير العام للإذاعات والتلفزيون التركي وظل كذلك حتى قامت حكومة الإئتلاف في أوائل عام ١٩٧٥ واشترك فيها الدكتور نجم الدين أرباكان وكان نائباً لرئيس الوزراء حيث سعى الى عزله بعد جهد ومشقة.

أهم الثورات الفلسطينية في عهد الإنتداب البريطاني (من عام ١٩١٩ ـ ١٩٤٦ م):

مقدمة تاريخية:

في معرض حديثنا عن أهم الثورات الفلسطينية لا بد لنا من ذكر تسلسل مختصر للتطورات التي حصلت في فلسطين لكي نتابع دون انقطاع تسلسل الأحداث والمسار الذي سلكته الصهيونية للاستيلاء على فلسطين بعد أن أخرجتها من يد الدولة العثمانية.

وذكرنا سابقاً أن نوايا اليهود الإستيطانية تجاه فلسطين كانت سابقة لمؤتمر بال المنعقد عام ١٨٩٧م، فقد دخلها اليهود فرادى أو جماعات صغيرة وأقاموا في أماكن يعتبرونها مقدسة بالنسبة لهم إلا أنهم لم يكونوا ليثيروا حفيظة العرب سكان فلسطين في ذلك الوقت لعدم مرافقة ذلك الإستيطان أية نوايا أو مظاهر سياسية، ولعل العرب أيضاً كانوا يعتبرونهم أقلية ضئيلة لا خوف منهم ولا خطر.. لذلك نجدهم يشكلون جماعات قليلة العدد في القدس وطبرية وصفد التي يعتبرونها من المدن المقدسة «ولقد كانت هجرة أول فوج الى فلسطين من هؤلاء عام ١٨٥٥م حيث دخلوا بشكل تجار ومزارعين»[١].

كما كان المساهم الرئيسي في دعم هؤلاء اليهود جمعية بناي برث (أبناء العهد). «وقد كانت هذه الجمعية تنفث سمومها وتغرس بذور الشر الصهيوني

---

(١) ع ـ م عبد الرزاق الأسود ـ الموسوعة الفلسطينية ـ المجلد الأول ـ ص ١٩. الدار العربية للموسوعات ١٩٧٨.

منذ سنة ١٨٦٥م وفي سنة ١٨٨٨م أنشأت في فلسطين أول محفل ماسوني للجمعية ثم أسهمت في تأسيس بعض المستعمرات الصغيرة خالقة بذلك نواة الوطن القومي اليهودي»[١].

ولكن الحال تبدل في عهد السلطان عبد الحميد، وذلك أنه اعتباراً من عام ١٨٨١ شهد ميناء حيفا نزول مئات من مهاجري اليهود وشهد عام ١٨٨٣ نشأة المستعمرات اليهودية الزراعية الأولى وتضاعفت في السنوات التالية في ضواحي يافا وحيفا ومنطقة الجليل وفي عام ١٨٩٢ عاين الباب العالي الخطر الصهيوني فارتأى منع اليهود من دخول فلسطين واتصل هرتزل نفسه بالسلطان عبد الحميد ـ على ما سبق أن بيناه ـ ١٩٠١ ملتمساً منح اليهود امتياز بإنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين واعداً في مقابل ذلك بدفع أتاوة مالية سنوية وبحمل بنك الإستعمار اليهودي على تقديم قروض الى الباب العالي.

«ولعل أقوى خطوة سجلها اليهود قبل الحرب العالمية الأولى هي موافقتهم في المؤتمر الصهيوني المنعقد في لاهاي عام ١٩٠٨م على تأسيس شركة للأراضي الفلسطينية وتخصيص قرض يقدمه البنك الوطني اليهودي لبناء حي عصري للمهاجرين قرب يافا (نواة مدينة تل أبيب)»[٢].

ولقد جهدت الصهيونية في اقتفاء أثر هرتزل وتتبع وصاياه خصوصاً عندما قرر الاعتماد على بريطانيا للحصول على الوطن القومي في فلسطين، فقام زعيم صهيوني اسمه جابوتينسكي وعرض استعداده لتأليف فرقة تدعم الحلفاء في المجهود الحربي كما دعا أن تعمل الصهيونية على أن تثير لعاب بريطانيا في فلسطين، لكن فرنسا كانت تكرر أن سورية تقع في منطقة نفوذها وأطماعها،

---

(١) عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١٥٥ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
(٢) المرجع السابق ص ٢٣.

صرح بذلك بوانكاريه عام ١٩١٢م وقال: إن حليفة انكلترا لا تعارض بذلك ومدلول سورية في نظر فرنسا وجميع الدول كان يشتمل على فلسطين ويمتد من طوروس الى رفح وألفت الحكومة البريطانية لجنة بريطانيـة هي لجنة بنس لوضع توصيات تتعلق بالسياسة التي يجب اتباعها في الشرق فأوصت اللجنة في يونيه ١٩١٥م بأن ترفض مطالب الفرنسيين في فلسطين لاعتبارات حربية وسياسية مترتبة على مجاورة فلسطين لقناة السويس، قبلت الحكومة البريطانية بهـذه التوصية وعقد مندوبا بريطانيا وفرنسا سايكس وبيكو اجتماعاً لبحث الخـلاف والنظر في مصـير البلاد العـربية التي سـوف تنفصل عن الـدولة العثمانية»[1].

وفي الوقت الذي كان يجتمع فيه وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا ـ سايكس وبيكو.. كان السير هنري مكماهون المندوب البريـطاني في مصر يـراسل الشريف حسين أمير وشريف مكة للقيام بثورة عربية ضد تركيا ليساعد الحلفاء على إلحاق الهزيمة بها واعداً إياه بجعله ملكاً على الأرض العربية المحررة من طوروس شمالاً وحتى البحر العربي جنوباً ومن جبال زاغروس في الشرق وحتى البحـر المتوسط في الغـرب مع استثنـاء بعض الأماكن التي ذكـرتهـا المراسلات صراحة، أما فلسطين فلم تستثن من هذه الدولة لا تصريحاً ولا تلميحاً.. وقد جاء ذلك ـ بعد الإطلاع على المراسلات ـ في الحجج التي قدمها المندوبون العرب لبريطانيا وشرحوها في مذكرتهم المؤرخة في ٢٣ فبراير ـ شباط عام ١٩٣٩م.

فقد ورد في البند «أ»:

ـ لا محالة للشك في ان فلسطين كانت داخلة في الواقع في منطقـة

(١) ص ٢٣ المصدر السابق.

الإستقلال العربي وكان الفريقان المشتركان في مكاتبات (مكماهون ـ حسين) يعنيان في أن تكون داخلة وهذا واضح وضوحاً كافياً من نصوص المكاتبات نفسها . .

وورد في البند «هـ»:

ـ لا سبيل إلى المنازعة ـ ولم يحصل هذا قط ـ في أن فلسطين داخلة في المنطقة التي طلب الشريف حسين أن تكون هي منطقة الإستقلال العربي في المستقبل وقد قبل السير هنري مكماهون هذه المنطقة في جملتها فيما عدا بعض التحفظات ولم يرد ذكر لفلسطين في هذه التحفظات، وتتلخص حجج البريطانيين فيما يلي:

«كانت فلسطين في مركز خاص جداً في الوقت الذي دارت فيه المكاتبات نظراً لكونها بلاداً مقدسة لديانات ثلاث كبرى ولاهتمام المسيحيين والمسلمين واليهود بها في العالم كله ولكثرة عدد المباني الدينية وغيرها فيها، والمعاهد التابعة لغير العرب وللمصالح العملية الواضحة لبريطانيا العظمى في بلاد مثلها مجاورة لمصر وقناة السويس . . ويذهب مندوبو المملكة المتحدة أيضاً إلى أن فلسطين ليست بلاداً عربية صرفاً»[1].

وقال السير هنري مكماهون في شهادة كاذبة بعد أن أثر عليه الصهاينة في عام ١٩٣٧ «أشعر بأن من واجبي أن أقول ـ وأنا أقول بلهجة التأكيد ـ أني لم أقصد حين قطعت العهد للملك حسين أن تكون فلسطين داخلة في المنطقة التي وعد العرب فيها بالإستقلال»[2].

---

(١) عن الأمانة العامة ادارة فلسطين ـ الشعبة العامة ـ الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ـ المجموعة الأولى ـ ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ـ ص ٣٣ ـ ٣٤. مطابع جريدة الصباح ـ القاهرة ـ ١٩٥٧م.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥.

«وفي سنة ١٩٢٣ قال السير جلبرت كليتون الذي كان من معاوني السير هنري مكماهون في سنتي ١٩١٥ ـ ١٩١٦: «كنت على اتصال يومي بالسير هنري مكماهون في أثناء المفاوضات مع الملك حسين ووضعت الصيغة الإبتدائية لجميع المكالمات وفي وسعي أن أؤيد القول بأنه لم يكن في النية قط أن تكون فلسطين داخلة في التعهد العام المعطى للملك حسين.. وفي ظني أنه كان من البديهي أن المصالح الخاصة المرتبطة بفلسطين تمنع بذل أي تعهد نهائي خاص بمستقبلها في تلك المرحلة المبكرة..»[١].

وهكذا بدأ تفسير النصوص التي لا غموض فيها تفسيراً يتناسب مع الأهداف والميول الإستعمارية والصهيونية.. وكان على المفاوض الملك حسين أن يعلم ما يدور في العقل الباطن والنوايا الخفية حتى يستنتج أن فلسطين كانت مستثناة من الدولة العربية الموحدة الموعودة..! ولكن ماذا يفعل المفاوض الضعيف إذ أن عدوه الخصم والحكم.. كما يعتبر هذا درساً رادعاً لكل من يمد يده الى أعداء الله.. هذا وسنشهد من مثل هذه التفسيرات المراوغة الكثير والكثير بدءا من هذه المراسلات وحتى القرار رقم ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧م.

اليهود يسخرون بريطانيا لمصالحهم:

ومما تقدم نعلم أن بريطانيا كانت قد وقعت في حبائل الصهيونية ووعدتهم بالعمل على تسهيل استيطانهم في فلسطين ويؤكد ما نقوله ما كتبه هربرت صموئيل أول مندوب سام في فلسطين عن مسألة فلسطين ٩١٤ ـ ٩٢٠ في كتابة المسمى (ذكرى) صدر عام ١٩٤٥ جاء فيه: «إنني تكلمت مع السير أدوارد غراي ـ وزير

(١) المصدر السابق ص ٣٥.

الخارجية ـ اليوم حول مستقبل فلسطين وقد ذكرت خلال الحديث أن تركيا قد ألقت بنفسها في الحرب الأوروبية وأن من المحتمل أن تتمزق امبراطوريتها وأن موضوع السيطرة على فلسطين قد يثار وأن اختلافات الدول الأوروبية الكبرى قد يجعل من الصعب تخصيص فلسطين لواحدة منها ولعل الفرصة قد سنحت لتنفيذ أماني الشعب اليهودي القديمة وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها»[1]. وكان هذا الحديث يوم ٩ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩١٤م.

ثم يستطرد صموئيل: «لقد قال لي غراي أن للفكرة دوماً تأثيراً عاطفياً قوياً عليه وأن الإنجذاب التاريخي كان قوياً جداً . . لقد كان موقف غراي مشجعاً للإقتراح وأنه على استعداد للعمل من أجله إذا ما سنحت الفرصة وإذا تقدمت فرنسا أو أي دولة أخرى باقتراحات بشأن سورية فإن من المهم عدم الموافقة على أي مشروع قد يتعارض مع إيجاد الدولة اليهودية في فلسطين»[2].

ثم يقول «وقد سألني عما إذا كنت أعتقد أن سورية يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة فأجبته: إن الأمر على العكس فليس من حكمة الرأي إدخال أمكنة كبيروت ودمشق لأنها تحتوي على عدد كبير من السكان . . وبعد أسابيع قلائل وضعت الأفكار التي شرحتها الى غراي بمشروع مذكرة الى الوزارة وبعد أن قدمت موجزاً بالوقائع وناقشت التغيرات الممكنة التي تطرأ على مستقبل فلسطين ختمت المذكرة بأن ضم فلسطين الى الامبراطورية البريطانية مع تشجيع الإستعمار اليهودي والتقدم الثقافي عملياً هو أحسن حل . .»[3].

ثم قدم هربرت صموئيل مذكرة لأسكويث ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ تناولت التغيرات الممكنة في فلسطين بعد تجريدها من تركيا ـ وتصور حالات خمس:

١ ـ الضم من قبل فرنسا. ٢ ـ إبقاء فلسطين تركية. ٣ ـ تدويلها. ٤ ـ

---

(١) المصدر السابق ص ٩٠.
(٢) المصدر السابق ص ٩١.
(٣) المصدر السابق ص ٩٢.

إنشاء دولة يهودية مستقلة. ٥ ـ فرض حماية بريطانية مع تشجيع استقرار اليهود. .

وكان حماس صموئيل للبند الأخير. .

وقد سجل أسكويث تعليقاً على ذلك في ١٣ مارس ـ آذار ١٩١٥م جاء فيه: «أظن أنني كنت أشرت الى مذكرة هربرت صموئيل المغرقة في الحماس والتي تلح على أنه لدى فصل أملاك تركيا الآسيوية علينا أن نأخذ فلسطين وأن نحشد فيها في وقت معين جميع اليهود المشتتين في أنحاء الأرض حيث يتاح لهم الحصول على الحكم الذاتي في الوقت المناسب ومما يدعو الى الغرابة حقاً أن المؤيد الوحيد الآخر لهذا الإقتراح هو لويد جورج الذي لا حاجة بي الى القول بأنه لا يهتم مثقال ذرة لليهود أو ماضيهم أو مستقبلهم بل يعتقد أن الأماكن المقدسة ستنتهك حرمتها إذا ما سمح لفرنسا الملحدة الأغنوسطية[١] أن تتملكها أو أن تضعها تحت رقابتها»[٢].

ثم بدأت الإتصالات المكثفة والحثيثة بكبار المسؤولين المتعاطفين مع اليهود مستغلين نشاط الجمعيات الماسونية «التي انتشرت في بريطانيا منذ عام ١٧١٧»[٣]. وقد كان من أكثر المتحمسين للصهيونية المستر بلفور وعن بداية التعرف على بلفور يقول هربرت صموئيل: «إن الدكتور وايزمن الذي كان منذ سنوات أستاذاً معيداً للكيمياء في جامعة مانشستر قد تعرف هناك بالمستر بلفور وكان إذ ذاك أحد أعضاء مجلس النواب ممثلاً للمدينة وفي سياق كتاب أرسله لي من مدينة مانشستر مؤرخاً في ٢١ مارس ـ آذار ١٩١٥ قال: «لقد سنحت لي الفرصة للحديث الى مستر بلفور وسيساعدنا إذا كانت الأمور قد وضحت بالنسبة لفرنسا» . . وهكذا بدأ الإتصال بين بلفور والصهيونية»[٤].

---

(١) الأغنوسطية: القائلة بعدم كفاية العقل لفهم الوحي الالهي. (المرجع نفسه).

(٢) المرجع السابق ص ٩٣.

(٣) عبد الله التل ـ جذور البلاء ـ ص ١١٨ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧١م.

(٤) الأمانة العامة ادارة فلسطين الشعبة العامة ـ الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ٩٤ ـ مطابع جريدة الصباح ـ القاهرة ـ ١٩٥٧.

«وبحلول شهر اكتوبر ـ تشرين الأول ـ عندما كان جيش اللنبي يقف أمام القدس / ١٩١٧/م كانت الوزارة البريطانية مستعدة للوصول الى قرار فبدلاً من جعل فلسطين «دولة يهودية» فان الفكرة كانت تتخذ شكل «وطن قومي يهودي في فلسطين»... وأرسل الى عدد من كبار زعماء الطائفة اليهودية للإعراب عن آرائهم... وأن ثلاثة ممن استشارتهم الحكومة أخيراً كانوا معادين للسياسة وأربعة يوافقون عليها وهم د. هرتز رئيس الحاخامين واللورد روتشيلد وأخي ستيوارت ـ المتكلم هربرت صموئيل ـ الذي كان في حينها رئيساً لمجلس اليهود المفوضين.. وشخصي وقد أضيف اليهم المتكلمان باسم الصهيونيين د. حاييم وايزمن ومستر سوكولوف.

إنهم قبلوا الإقتراح «مع السرور العميق والإرتياح» ولم يثيروا موضوع الدولة اليهودية»[1].

ويقول حاييم وايزمن في كتابه (تجربة وخطأ) الذي صدر عام ١٩٤٧: «إن الصهيونية كانت تمر بسرعة من طور الدعاية الأولية والبحث النظري الى الحقائق العملية لقد توثقت عرى اتصالاتنا وتهيأ الرأي العام للتحول وقطعنا شوطاً بعيداً في الدور المبني على التحسن والعطف الفردي المبعثر كما كان الحال في سنة ١٩١٤.. لقد وضح موقف القوى التي تعمل لنا أو تقاومنا وعرفنا من كان معنا ومن كان ضدنا في العالم اليهودي واكتشفنا في عالم السياسة الانكليزية أرجحية في الرأي لصالحنا ومنذ عام ١٩١٦ كان الموضوع بين أخذ ورد في وزارات أوروبا»[2].

وفي ١٨ يوليو ـ تموز ١٩١٧ عرضت صيغة الوعد على وايزمن فوافق عليها وكانت على النحو التالي: «ان حكومة صاحب الجلالة بعد أن قدرت أهداف المنظمة الصهيونية تقبل مبدأ الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي

---

(١) السابق ص ـ ٩٥ ـ ٩٦...

(٢) السابق ص ـ ١٠٠.

ويحق للشعب اليهودي في أن ينشىء حياته الوطنية في ظل حماية ستؤسس حالما يعقد صلح بعد النتيجة الناجحة في الحرب»[1].

ثم عدل النص هذا الى نص آخر وضعت فيه بعض الإحترازات الخادعة تجاه سكان فلسطين فكان النص كالتالي: «إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرعاية الى إنشاء وطن قومي للعنصر اليهودي وستبذل أقصى جهودها لتسهيل الوصول الى هذه الغاية على أن يفهم بجلاء بأن لا يعمل شيء يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين أو الحقوق والمركز السياسي اللذين يتمتع بهما هذا النوع من اليهود الذين اطمأنوا تماماً لقوميتهم وجنسيتهم الحالية في أي بلد آخر»[2].

وكانت المباحثات النهائية في هذا الشأن تجري في وزارة المستعمرات وكان وايزمن يرقب هذه المباحثات بفارغ الصبر وهو يتجول وراء الكواليس في هذه الوزارة . . وفجأة خرج سايكس ومعه الوثيقة هاتفاً لوايزمن: «إنه غلام يا دكتور وايزمن» وقد كانت هذه الوثيقة موجهة من وزير الخارجية بلفور الى اللورد روتشيلد بوصفه رئيساً للإتحاد الصهيوني وهي مؤرخة في ٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩١٧م . .

ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الوعد المشؤوم ديناً والتزاماً تعمل على تنفيذه كل الوزارات البريطانية المتعاقبة الى أن وفوا بما وعدوا . . . !

ثورة القدس الأولى:

وأزاء هذه البوادر العدوانية التي تستهدف الأرض والشعب كان لا بد لأهل فلسطين من أن يتحركوا ليقابلوا المخطط الصهيوني ـ البريطاني ـ فحصلت (اضطرابات في القدس في ٢٠ نيسان ابريل ١٩٢٠ فقد قام الثائرون من العرب

---

(١) السابق ص ١٠٧.
(٢) السابق ص ١١٠

في مدينة القدس بهجوم وحشي على اليهود وأموالهم وقد قتل خمسة من اليهود وجرح ٢١١ وقد أعيد الأمن الى نصابه بتدخل كتائب الجيش البريطاني وكان عدد القتلى من العرب أربعة والجرحى ٢١) واحداً وعشرين.

وقد قررت لجنة التحقيق أن أسباب الإضطرابات ما يلي:

أ ـ خيبة أمل العرب لعدم تنفيذ الوعود باستقلالهم التي يدّعون بأنها منحت لهم أثناء الحرب.

ب ـ اعتقاد العرب بأن وعد بلفور يتضمن إنكاراً لحق مصيرهم وخوفهم من أن إنشاء الوطن القومي يعني الزيادة الهائلة في الهجرة اليهودية التي ستؤدي الى إخضاعهم لسيطرة اليهود الإقتصادية والسياسية.

ج ـ ازدياد وحدة الشعور بسبب الدعاية التي تُبث من خارج فلسطين مصحوبة بإعلان الأمير فيصل ملكاً على سورية التي أعيدت لها وحدتها وبنمو فكرة الإتحاد العربي والإتحاد الإسلامي من ناحية وبسبب نشاط اللجنة الصهيونية مؤيدة بموارد ونفوذ اليهود في أنحاء العالم من الناحية الأخرى[1].

ثورة يافا:

ثم حصلت في يافا اضطرابات كان سببها احتفال اليهود بعيد العمال وتحرشهم بالعرب المسلمين فرد عليهم العرب بثورة مضادة واستمرت الإضطرابات اسبوعين تدخل الجيش بعد أن عجز البوليس عن قمعها.

وتألفت لذلك لجنة للتحقيق برئاسة (توماس هيركرافت) وجاء في تقريرها عن حوادث يافا ١/أيار ـ مايو ١٩٢١م ما يلي:

«إن الشغب الحقيقي الذي نبحث عنه ليس شغباً اعتيادياً لأنه دام عدة أيام

---

(١) الأمانة العامة ادارة فلسطين ـ الشعبة العامة ـ الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ـ المجموعة الأولى ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ـ ص ١٢٣ ـ مطابع جريدة الصباح ـ القاهرة ـ ١٩٥٧م.

وقد ازداد يوماً بعد يوم الى أن عم قضاء يافا بأجمعه وهوجمت المستعمرات اليهودية بشدة والحقيقة أن مظاهرة البولشفيك كانت الشرارة التي أشعلت حنق العرب القابل للإنفجار.. ونحن متيقنون بأن ليس هناك دافع لوقوع الإضطرابات غير الشعور السائد في البلاد ضد اليهود وهو ناشىء عن خطة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي..»[1].

ومن هذا المنطلق تنادى زعماء العرب في فلسطين لبحث الموقف الخطر والتداول بشأنه «فعقدوا في أواخر مايو أيار ١٩٢١ المؤتمر الرابع في القدس وفيه أكد العرب أمانيهم الوطنية من رفض تصريح بلفور الى التمسك بالوحدة السورية والمطالبة بقيام حكم وطني في فلسطين»[2].

وبعد صدور صك الإنتداب من عصبة الأمم عاد المؤتمر في القدس للإجتماع في ٢٥ أغسطس ١٩٢٢م اتخذ المؤتمر قرارات منها الإعتراف لسوريا ولبنان وفلسطين بحق الإتحاد وتأليف حكومة مشتركة مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب.. «وإلغاء الإنتداب فوراً وجلاء الجيوش البريطانية والفرنسية وإلغاء تصريح بلفور كما قرر المؤتمر رفض الدستور الجديد لفلسطين بمقاطعة الإنتخابات المقبلة للمجلس التشريعي لأنه وجد بعد البحث الدقيق أن الإشتراك في تلك الإنتخابات إنما هو قبول محسوس بالإنتداب وبتصريح وعد بلفور»[3].

«ومضت فترة هدوء وسكون نسبي امتدت حتى ١٩٢٩م ولعل أهم ما وقع في هذه الفترة من اضطرابات كان في يافا (١٩٢٤م) خلال احتفال اليهود بعيد المساخر (بوريم) وتزيي بعضهم بزي رجال الدين الإسلامي مما استنفر العرب

---

(١) السابق ص ١٢٤.

(٢) د. أحمد طربين ـ محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية ـ ص ٩٢ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ ١٩٥٩.

(٣) د. أحمد طربين ـ تاريخ القضية الفلسطينية ـ ملخص عن صفحات ص ٩٣ ـ ٩٦ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٥٩.

وأدى الى صدام دموي كما أن البلاد أضربت اضراباً عاماً لدى زيارة اللورد بلفور للقدس لافتتاح الجامعة العبرية في مارس ـ آذار ١٩٢٥ وغادر بلفور فلسطين الى دمشق فقامت فيها مظاهرات ضخمة ضده مما حمل السلطات الفرنسية يومذاك على إخراجه مخفوراً الى بيروت حيث ركب الباخرة ليعود الى بلاده. . . وفي سبتمبر ـ أيلول ١٩٢٥ وقعت ثورة أخرى صدر على أثرها قرار حظر فيه على اليهود أن يجلبوا الى حائط المبكى (البراق) كراسي ومقاعد»[1].

ويقول بعض المؤرخين ان حجج اليهود بالمطالبة بوطن قومي يهودي في فلسطين كانت قد قويت في هذه الفترة لأنهم بنوها على وعد بلفور واعتراف عصبة الأمم به ضمن صك الإنتداب وكذلك على اعتراف فيصل بن الحسين بالإضافة الى الحق التاريخي ووعد الله لهم بفلسطين. . فما هي حقيقة اعتراف الأمير فيصل بالوطن اليهودي القومي في فلسطين. . ؟

ففي أوائل سنة ١٩١٩م كان فيصل بن الحسين يتنقل في عواصم الدول الأوروبية المتحالفة حاملاً معه تفويضاً من المؤتمر السوري ليشرح لهذه الدول مطالب سورية بالاستقلال والوحدة. . وهناك وقع في شرك الصهيونية العالمية فجرى اتصال بينه وبين وايزمن رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين وتوصل الطرفان الى التوقيع على اتفاقية عرفت باتفاقية (فيصل ـ وايزمن) هذا نصها: «إن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين. . فقد اتفقا على المواد التالية:

١ ـ يجب أن يسود علاقات والتزامات الدول العربية وفلسطين أقصى النوايا

---

(١) السابق ص ١٠٩.

الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول الى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما.

٢ ـ تحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣ ـ عند إنشاء دستور وإدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧م.

٤ ـ يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الإقتصادي.

٥ ـ يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية.

٦ ـ إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين..

وقع في لندن انجلترا في اليوم الثالث من شهر يناير ١٩١٩م».

وهناك تحفظ من الأمير فيصل وجد نصه على هامش المذكرة بخط عربي يقول: «يجب أن أوافق على المواد المذكورة أعلاه.. بشرط أن يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير سنة ١٩١٩ المرسلة الى وزارة خارجية بريطانيا العظمى لكن إذا وقع أقل تعديل أو تحويل (يقصد بما يتعلق بالمطالب الواردة في المذكرة) فيجب أن لا أكون عندها مقيداً بأي كلمة

وردت في هذه الإتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب أن لا أكون مسؤولاً بأية طريقة مهما كانت »[1].

فيصل بن حسين ـ حاييم وايزمن[1].

ولم ينفع هذا التحفظ مع الصهيونية بل كانت تبني ادعاءاتها على الأصل وقد أحببت أن أورد هذه الإتفاقية لأضع نموذجاً للتورط العربي مع الخصوم في اتفاقيات يعرف سلفاً أنها لن تنفذ لأن مطامع الصهيونية أكبر من ذلك ولكنها استدراج لاعترافات تعتبرها مهمة لتضمها الى حججها ودعاويها ولتكسب منها شرعية في الإغتصاب.. ! ثم من يضمن تنفيذ هذه الإتفاقية..؟

ومن يضمن ألا تتلاعب الصهيونية بتفسيرها كأن تقول مثلاً في تفسير البند /٦/ الذي جاء بصيغة عامة أن حائط البراق هو تاريخياً حائط المبكى لليهود ومسجد الصخرة هو هيكل سليمان.. وبالتالي هذه مقدسات يهودية وليست إسلامية.. وعليه فلا توضع تحت رقابة المسلمين.. ويذهب أمام جدال اليهود وتعنتهم ما كان يظن أنها مادة لصالح المسلمين.. !

«وفي يوم ١٥ أغسطس سارت حشود اليهود في موكب نحو البراق حيث رفعوا العلم اليهودي وهتفوا: الحائط حائطنا وأنشدوا النشيد الوطني (هاتيكفا) واخترقوا بعض الأحياء العربية متحدين شعورها».

ويوم ١٦ أغسطس يوم الجمعة ويوم المولد النبوي خرج المسلمون بعد صلاة الجمعة من الحرم في مظاهرة نحو البراق حيث قلبوا منصة الشماس اليهودي وحرقوا الاسترحامات التي اعتاد اليهود أن يدسوها في ثقوب الحائط..

وفي يوم الجمعة التالي ٢٣ أغسطس ـ آب ـ قامت الجموع الهائجة بهجوم

---

(١) الأمانة العامة ادارة فلسطين ـ الشعبة العامة ـ وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ مطابع جريدة الصباح القاهرة ـ ١٩٥٧ ـ الاتفاقية مترجمة عن النص الأصلي المكتوب باللغة الانكليزية.

على اليهود امتد الى ضواحي المدينة وقامت مظاهرة كبرى أطلق البوليس عليها النار ففرقها وحدثت مظاهرات مماثلة في المدن نابلس والخليل.

«وفي صباح ٢٤ أغسطس يشن العرب هجوماً في الخليل على الحي اليهودي ويقتلون فيه ستين يهودياً ويشنون هجوماً آخر في نابلس وبيسان. وتستمر الإضطرابات ويهجم اليهود على يافا فيقتلون إمام جامع ويمثلون بأفراد أسرته الستة»

«وفي ١٣ سبتمبر ـ أيلول ـ عينت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برئاسة قاضي كبير هو السير ولتر شو وعضوية ثلاثة نواب عن البرلمان البريطاني»[١].

وقد اطلعت اللجنة على تقرير حكومة الإنتداب بشأن الخسائر في الأرواح فكانت مروعة «فقد قتل من اليهود/١٢٣/ مائة وثلاثة وعشرون شخصاً وجرح/٣٣٩/ ثلاثمائة وتسعة وثلاثون وقتل من العرب/١١٦/ مائة وستة عشر شخصاً وجرح/٢٣٢/مئتان واثنان وثلاثون ومعظم الإصابات في العرب أوقعها الجيش والبوليس»[٢].

الهوى يشتت الوحدة:

وبعد الإنتصارات الباهرة التي حققها العرب في فلسطين أثناء وبعد ثورة عام ١٩٢٩م عادوا من جديد الى النوم والسبات ظناً منهم أن بريطانيا قد فهمت موقفهم وأنهم بما قدموا من ضحايا في هذه الثورة ـ تكفيهم لنيل وتحقيق مطالبهم فعادوا وانشغلوا بالخلافات فيما بينهم وتنافسوا على الزعامة وتهيأوا لاستلام دفة الحكم في البلاد وغاب عن ظنهم أن هذا ما يزال بعيد المنال.. وكان للدسائس الانكليزية والصهيونية الأثر الكبير «على زرع الفرقة بين العرب لتفتيت الصف العربي حتى يسهل عليها القيام بإنشاء الوطن القومي في فلسطين فأهاجوا

---

(١) السابق ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) السابق ص ١٦٠.

الطائفية لإفساد ما بين المسلمين والنصارى وطابع التميز بين القرية والمدينة.. أو ما بين الفلاحين وأهل المدن.. ونشأ حزب الزراع العرب الذي قام بإيقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح أزاء أخيه المدني... وأهاجوا أهل نابلس ضد الحركة الوطنية وشغلوهم بتوافه الأمور.. على أن جانباً من القرويين النابهين عاينوا الصلات الوطيدة بين رجال الحزب الزراعي واليهود وتبينوا الخطر الناجم عن هذه الحركة الخبيثة التي كان يغذيها الإستعمار بالرشاوى والأموال والهدايا.. فتعاونوا مع الجمعيات الإسلامية العربية تعاوناً وثيقاً كان من نتيجته تضاؤل هذا الحزب»[1].

كما أن الإنكليز وعلى رأسهم كلايتون ـ السكرتير العام في حكومة فلسطين ـ وهو الخبير بالشؤون العربية قد أجرى اتصالات مع الوصوليين البارزين من العرب وشجعهم على الأخذ بسياسة ايجابية تبرزهم على المسرح السياسي وتقوم على سياسة «خذ وطالب».. واعتنى الإنكليز برؤساء البلديات لما يعرفونه من طبيعة اتصالهم بالأوساط والمصالح الشعبية[2].

«وكان الحزب الآخر المشبوه هو الحزب الوطني وكان ظهور هذا الحزب في المعترك السياسي انحرافاً صريحاً عن وحدة الصف العربي الفلسطيني فسرعان ما دفع بالوصولية والتساهل مع الأجنبي بعد أن بدت صلات نفر من أقطابه بالحكومة واليهود وخاصة بعد أن توسطوا في بيع الأراضي للصهيونيين»[3].

وقد استمر هذا التشتت والضياع عدة سنوات طفت على السطح خلالها العصبيات المحلية والزعامات الوصولية حتى مل شعب فلسطين من زعمائه فقد كان ينظر الى عدوه الغاصب وهو يرص صفوفه بالغيرة والإعجاب ويتمنى لو أن زعماء البلاد الوطنيين فعلوا مثله وقلدوه ونبذوا خلافاتهم الشخصية والوصولية لصالح تحرير الوطن.. ولكن الزعماء لم يقتنعوا بذلك إلا بعد أن وجدوا تيار

---

(١) عن السابق ص ١١٠ ـ ١١١.
(٢) السابق ص ١١١.
(٣) السابق ص ١١٢.

الهجرة العارم يتتابع دون توقف وتبدو مع الأفق البعيد سحائب سوداء مروعة تنذر بعاصفة هوجاء تقتلع العرب بعيداً عن ديارهم وأمام هذه الصورة القاتمة وبدافع من حب البقاء في الأوطان «اجتمع الزعماء على شكل مؤتمر وطني عام في بيت المقدس في ٢٤/فبراير ـ شباط ـ ١٩٣٣ ـ ورأى المؤتمرون أن لا علاج لحالة الهلع التي يعيش في ظلها عرب فلسطين نتيجة فتح باب البلاد أمام المهاجرة الصهيونية إلا حماية العرب حماية قانونية وذلك بمنع انتقال الأرض العربية الى اليهود منعاً باتاً وبإغلاق باب البلاد دون المهاجرة اليهودية وقرروا أن يطلبوا ذلك من السلطة بكل إصرار وحزم»[١].

وتوجه وفد الى المندوب السامي البريطاني وشرحوا له الموقف وقدموا له مطالبهم التي اتفقوا عليها.. لكن زيارة المندوب السامي لم تؤد الى غرضها فعقد المؤتمر الثاني في مدينة يافا/٢٦مارس ـ آذار ـ وتقرر ما يلي:

١ ـ تقرير مبدأ اللاتعاون والمباشرة بتنفيذ أول درجاته منذ الآن كمقاطعة الحفلات ـ أنظر إلى هذه المقاطعة الواهية ـ والمجاملات مع الحكومة ومقاطعة لجان الحكومة والبضائع الانكليزية والبضائع والمصنوعات والمتاجر الصهيونية.

٢ ـ تأليف لجنة من أعضاء مكتب الجمعية التنفيذية وعضو يمثل كل حزب من الأحزاب لأجل اتخاذ الطرق الموصلة الى تنفيذ فترة اللاتعاون.

٣ ـ أن تطوف لجنة صندوق الأمة العليا برفقة عدد من التجار الموثوقين والوجهاء أنحاء فلسطين لحض الأهلين على شراء أسهم شركة إنقاذ الأراضي وبذل المجهود لإنجاح مشروع صندوق الأمة...

٤ ـ أن يكون سلاح الأهلين ضد المهاجرة اليهودية المقاطعة التامة[٢].

وفي هذه الفترة ازداد عدد المهاجرين بشكل ملموس مما شجع الصحف

(١) السابق ص ١٥٦.
(٢) السابق ص ١٥٨.

العربية على شن حملات جريئة على حكومة الإنتداب وأصبحت لهجتها قاسية على الرغم من استخدام سلاح التعطيل ضدها فقد اتهمت الحكومة صراحة بالعمل على إزاحة الشعب العربي وإحلال شعب غريب محله..

«وكَلَّ عربُ فلسطين السياسة الإيجابية التي درج عليها بعض القادة في تعاملهم مع حكومة فلسطين واجتروا الآلام في صمت وهم يرقبون سفن المهاجرين تتوارد خلال الأفق القريب ولم تجد اللجنة التنفيذية العربية بُدّاً من الاجتماع في ٨ أكتوبر تشرين الأول.. فدعت الى الإضراب العام براً وبحراً في يوم الجمعة ١٣ أكتوبر ١٩٣٣م والى تنظيم مظاهرة كبرى في القدس يشترك فيها رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية بعد صلاة الجمعة وأن المظاهرات ستقوم مهما كلف الأمر.. وأن عرب فلسطين قد يئسوا يأساً تاماً من الحكومة فهم لا يخاطبونها في شيء ولا يطلبون منها شيئاً وسيعدلون عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية»[1].

ثورة ١٩٣٦ م:

ونجحت مظاهرة القدس في تحدي السلطة ولكن بعد أن جرح /٣٥/ خمسة وثلاثون من المتظاهرين و/٥/ خمسة من جنود الإحتلال..

ثم أعلنت اللجنة عن مظاهرة في يافا يوم ٢٧ أكتوبر، وقامت المظاهرة من الجامع الكبير وانضم اليها أعداد كبيرة لكن الانكليز قمعوها بوحشية مما أدى الى استشهاد /٣٠/ ثلاثين شخصاً ثم اعتقلت السلطات أعضاء اللجنة التنفيذية مما زاد في غليان الشعب حتى أفرجوا عنهم.. وهنا عين وزير المستعمرات لجنة للتحقيق لكن العرب قاطعوها فاعتبرتهم مسؤولين عن الشغب...

وفي عام ١٩٣٤ توفي رئيس اللجنة التنفيذية بعد أن أصيب بعدة كدمات في أثناء المظاهرات.. فكانت هذه الكدمات مع عامل السن السبب في وفاته.. ثم

(١) السابق ص ١٥٩.

اختلف الزعماء على تعيين خلف له ودبت الفوضى في الصفوف ومرت على فلسطين فترة انعدمت فيها القيادة الوطنية الحكيمة مما أدى الى ركود الثورات العربية في البلاد.

ثم عقد مؤتمر علماء فلسطين الأول عام ١٩٣٥ (٢٥ يناير ـ كانون الثاني) للبحث في ما يجب عمله لحماية البلاد المقدسة من أخطار تسرب الأراضي العربية الى اليهود بواسطة السماسرة والخونة من الوسطاء... وكان المؤتمر برئاسة المفتي محمد أمين الحسيني.. واتخذ المؤتمر ما يلي:

١ ـ إصدار فتوى بتحريم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود واعتبار البائع والسمسار والوسيط المستحل للبيع مارقين من الدين...

٢ ـ مطالبة الحكومة باسم المؤتمر بوقف الهجرة وبيع الأراضي لليهود..

٣ ـ أن يذيع المؤتمر نداء الى ملوك المسلمين والعرب وأمرائهم وزعمائهم عن حالة فلسطين وبيان ما يحيط بأهلها[1].

ثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥:

ولكن شيخاً لم تعجبه المؤتمرات التي اشتهر العرب بعقدها وتدبيجها وكان هذا الشيخ لا يعرف للخلاص من الغاصبين إلا طريقاً واحداً هو الجهاد في سبيل الله.. لقد كان الشيخ عز الدين القسام يهيء النفوس ويعد العدة لذلك منذ أمد بعيد حين كان خطيباً لجامع الإستقلال في حيفا منذ عام ١٩٢٢م...

«وفي ليلة ١٢ تشرين الثاني من عام ١٩٣٥ غادر الشيخ القسام ومعه أكثر من خمسة وعشرين من إخوانه مدينة حيفا الى قرى قضاء جنين لدعوة الشعب على نطاق واسع للاشتراك بالثورة.. وكانت الرصاصة الأولى في ١٩٣٥/١١/١٤ باشتباك في قرية (البارو) أسفر عن استشهاد البطل الشيخ

---

(١) السابق ص ١٦٦.

محمد الحلموني.. واستمرت الدعوة العلنية للجهاد في القرى حتى ١٩٣٥/١١/١٩ حيث جرت معركة في أحراج يعبد قضاء جنين أسفرت عن استشهاد القسام. بعد أن طوقت قوات انكليزية عددها بين ٤٠٠ ـ ٦٠٠ رجل الشيخ القسام ومعه أحد عشر من إخوانه.. وكان قتالاً فدائياً لأن كل مجاهد كان يحارب نحواً من أربعين انجليزياً بكامل أسلحتهم ومع ذلك استمرت المعركة من الصباح حتى الظهر»[١].

لقد نال القسام مع رفاقه الشهادة وخط بنفسه الطريق ايذاناً بإعلان الجهاد في فلسطين..

«وخرجت مظاهرات في يافا/١٧ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٣٦ تحتج وتستنكر ـ على تصرفات الاحتلال ـ وحدث ما كان متوقعاً إذ اصطدم اليهود بالعرب على حدود يافا ـ تل أبيب فقتل من اليهود /٧/ سبعة وجرح /٣٠/ ثلاثون واستشهد من العرب /٢/ إثنان وجرح /١٥/ خمسة عشر وكان هذا الحادث سبباً في الثورة الكبرى ١٩٣٦م»[٢].

«وأعلن الأضراب ـ العام ـ في ٢٥ ابريل نيسان ١٩٣٦ واجتمعت اللجنة العربية العليا وأصدرت قراراً باستمرار الاضراب العام الى أن تبدل الحكومة سياستها المتبعة في فلسطين تبديلاً أساسياً وتنفيذ المطالب الآتية:

١ ـ منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً.

٢ ـ منع انتقال الأراضي العربية الى اليهود.

٣ ـ إنشاء حركة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي، كما أبرقت اللجنة الى الملوك

---

(١) شوقي أبو خليل ـ الاسلام وحركات التحرير العربية ـ ص ٢٠٦ ـ دار الرشيد ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٦م. بتصرف..

(٢) د. أحمد طربين ـ محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية ص ١٧٦ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ـ ١٩٥٩.

والأمراء العرب والمسلمين تهيب بهم أن ينقذوا البلاد المقدسة ويعملوا على تحقيق مطالبها»[1].

«وبالمقابل فقد أعلنت حكومة الإنتداب قانون الطوارىء وعمم الاضراب منذ ٢٠ أبريل ١٩٣٦ لمدة ستة أشهر وأعطيت للمحاكم العسكرية صلاحيات كبيرة فتم اعدام /٣٠٠/ ثلاثمائة شهيد منهم المجاهد الكبير الشيخ فرحان السعدي، وكان عمره /٨٠/ ثمانين سنة»[2].

ودلل الاضراب الشامل على تضامن رائع وتضحيات كبيرة قدمها عرب فلسطين من أجل نيل حقوقهم فقد انصرف الناس لتنظيم الاضراب وتفننوا فيه وبرعوا ورأت بريطانيا أن إجابة مطالب العرب معناها الإعتراف بالفشل ولم تجد إلا خطة القهر والعسف..

«ومن وقائع الثورة ما اتخذ بشكل حرب العصابات ونسف الجسور والقطارات والهجوم على المستعمرات اليهودية ومنها ما اتخذ شكل المعارك الحربية كمعركة نور شمس وعين حارود ووادي عزون وباب الواد التي وقعت كلها في شهر يونيه ومنها ما اتخذ طابع الاغتيالات السياسية»[3].

واهتمت الحكومات العربية بهذه الثورة فعقد اجتماع في العراق برئاسة الملك غازي حضره رئيس الوزراء والسفير البريطاني لبحث قضية فلسطين وعلى أثر الإجتماع حضر نوري السعيد وزير خارجية العراق الى القدس حيث قابل المندوب السامي وأعضاء اللجنة العربية العليا ووافق الزعماء الفلسطينيون على قبول وساطة الوزير العراقي بالشروط التالية:[4]

---

(١) السابق ص ١٧٩.

(٢) شوقي أبو خليل ـ الاسلام وحركات التحرير العربية ـ ص ٢١٠ ـ دار الرشيد ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

(٣) د. أحمد طربين ـ محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية ص ١٨٢ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٥٩.

(٤) السابق ص ١٨٤.

١ ـ تصدر اللجنة بياناً يوقف الاضراب وأعمال العنف.
٢ ـ توقف الحكومة الهجرة اليهودية مؤقتاً حتى تأتي اللجنة الملكية وتضع تقريرها.
٣ ـ تقوم حكومة العراق بالسعي لدى بريطانيا لإنجاز مطالب فلسطين المشروعة سواء ما كان منها يتعلق بأساس القضية وما كان منها ناشئاً عن تلك الاضطرابات.
٤ ـ تصفية الثورة على أساس[١]:

أ ـ إلغاء الغرامات.
ب ـ وقف عمليات التفتيش.
جـ ـ إطلاق سراح المعتقلين.
د ـ العفو التام عن المتهمين بحوادث الثورة.

أمل الناس خيراً بالوساطة العراقية لكن هذا الأمل لم تطل أيامه لأن الحكومة البريطانية لم تقبل بهذه الوساطة ولا بأسسها.. كما وصلت نداءات من ملوك العرب الى اللجنة العربية العليا من كل من الملك ابن سعود[٢] والملك غازي والأمير عبد الله في ٨ أكتوبر تشرين الأول ١٩٣٦.. الى أبنائنا عرب فلسطين (خطاباتهم في صيغة واحدة) هي:

«لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد الى السكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ـ سبب البلاء في فلسطين ـ ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم»[٣].

وفي صباح ١٢ أكتوبر ١٩٣٦م أنهي الإضراب بناء على نداء اللجنة العربية العليا.

---

(١) السابق ص ١٨٥.
(٢) الملك عبد العزيز آل سعود.
(٣) السابق ص ١٨٦.

موقف بريطانيا ١٩٣٩:

وإزاء موقف الطرفين صدر بيان الخطة السياسية عن حكومة جلالته في ١٧ أيار ـ مايو ١٩٣٩ خولت فيه الحكومة البريطانية نفسها العمل بما تراه مناسباً وفق قرارات سابقة وكان أهم ما في البيان ما يلي:

«إن الطرفين العرب واليهود قد رفضوا مشروع التقسيم لذلك ترى حكومة جلالته نفسها حرة في وضع سياستها الخاصة.. والعمل بموجب صك الإنتداب على فلسطين الذي أقره مجلس عصبة الأمم ١٩٣٢م».

كما وضح من جديد موقف الحكومة حيث قال:

«لقد قيلت أقوال غير مصرح بها مؤداها أن الغاية التي يرمي إليها هذا التصريح هي خلق فلسطين يهودية برمتها واستعملت عبارات كمثل القول بأن فلسطين ستصبح يهودية كما أن إنجلترا إنجليزية وحكومة جلالته تعتبر أن كل أمل كهذا غير ممكن التحقيق وهي لا ترمي الى مثل هذا الهدف كما أنه لم يخطر في بالها في أي وقت من الأوقات... أن يزول الشعب العربي أو اللغة أو الثقافة العربية في فلسطين.. وهي تود أن تلفت النظر الى أن نص التصريح المشار اليه (أي تصريح بلفور) لا يرمي الى تحويل فلسطين بكليتها الى وطن قومي يهودي بل إلى أن وطناً كهذا سيؤسس في فلسطين.. غير أن هذا البيان لم يزل الشكوك ولذلك فان حكومة جلالته تصرح الآن ـ بعبارة لا لبس فيها ولا إبهام أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية..»[1].

---

(١) عبد العزيز الشناوي ـ جلال يحيى ـ وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ـ ص ٣١٩ ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٩.

إنعطاف اليهود نحو الولايات المتحدة:

وبعد هذه التصريحات خاف اليهود من أن يؤدي الاعتماد على بريطانيا الى التأجيل والتطويل في الأمد المقرر لاغتصاب فلسطين ـ وهي خمسين سنة بعد مؤتمر بال كما صرح هرتزل ـ التي شارفت عملية ابتلاعها على الإنتهاء وهي الآن تحت منظار اليهود وهم يضعون عليها اللمسات الأخيرة. . لذلك رأوا تغيير التكتيك لاجتياز المعوقات الطارئة التي جلبها لهم الكتاب الأبيض فعمدوا الى سحب القضية من يد بريطانيا وسعوا بكل جهد لدى الولايات المتحدة لكي تتبنى قضيتهم وتوصلهم دون إبطاء الى تحقيق حلمهم الذي بات حقيقة في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. وقد ساعدهم على كسب الولايات المتحدة عاملان:

١ ـ كثرة اليهود نسبياً في أمريكا ومكانتهم المالية والسياسية.

٢ ـ جهل الولايات المتحدة بقضايا الشرق الأوسط، فإلى عهد قريب كانت الولايات المتحدة تضرب على نفسها عزلة عالمية. .

وهكذا وجد اليهود في أمريكا الحليف القوي الذي بدأ نجمه يسطع في دنيا السياسة بعد أن كان لها دور كبير في الحرب الأولى، فقد ظهرت على المسرح الحربي بإمكانات هائلة مادية وبشرية بينما بدأ نجم بريطانيا العظمى بالأفول وبدأت تواجه هزات عنيفة من مستعمراتها تنذر بالتحرر من ربقتها كما أنها مقبلة على حرب عالمية ستجعلها في صف متأخر ينأى بها عن الصدارة العالمية.

لذلك شعر اليهود بما سيحيق ببريطانيا مستقبلاً وأنها ستضعف وتصبح في يوم من الأيام دولة تحتاج للمساعدات المادية من الدول الأخرى وعلى هذا فان مصالح بريطانيا سيكون لها ارتباط بأي شكل من الأشكال مع العرب الذين ظهرت في بلادهم بشائر الغنى من تدفق البترول وكثرة اكتشاف حقوله الغنية فقد يفيق العرب من رقادهم ويستغلون قوتهم المادية الى جانب القوة العددية ويضغطون على بريطانيا بشدة فتنقلب على اليهود وتتخلى عنهم سريعاً كما تبنتهم سريعاً. . والولايات المتحدة الدولة القوية قد لا تأبه لإمكانات العرب المادية

لأنها في غنى عنها لضخامة إمكاناتها وكثرة مواردها المتنوعة وفي الوقت ذاته إذا تمكنوا من كسبها فستكون الى جانب تحقيق هدفهم في فلسطين أداة للضغط على بريطانيا لكي لا تتراجع عن مؤازرة اليهود. .

وهكذا وأمام هذه التطورات انعطف اليهود بقضيتهم نحو الولايات المتحدة يحدوهم الأمل العريض بكسبها وبالتالي كسب فلسطين عن طريقها. . وقد عبر عن ذلك بن غوريون حين كشف عن الخطط المعدة لاحتواء الولايات المتحدة الى صفهم فقال: «هناك عناصر كثيرة داخل المجتمع الأمريكي تتطلب التعاون والإرشاد، إن الأجهزة المتباينة يمكن توحيدها في إطار واسع واحد ويوجه نشاطها لمصلحة عملنا في فلسطين فلو ينشأ فقط مثل هذا الجهاز اليهودي الفعال الذي يعرف ما يريد فيوجه جهوده نحو فلسطين فآنذاك فقط يكون بمقدورنا أن نختبر ما إذا كان يمكن دفع الحكومة الأمريكية لمؤازرتنا»[1].

ويقول أيضاً وهو مصمم على كسب أمريكا: «ربما فرص نجاحنا ليست بكثيرة ولكن ينبغي القيام بهذا الجهد ومن الآن فصاعداً ليست المشكلة هي استحضار النفوذ اليهودي الأمريكي للضغط على الإدارة الأمريكية وهي مسألة ذات وزن بحد ذاتها وإنما هي مشكلة توجيه نفوذ اليهودية الأمريكية نحو الحكومة البريطانية. .»[2].

كما أنه أوضح السبب في نقل قضيتهم الى واشنطن فقال: «والحق أن أهم تطور في تاريخ الحركة الصهيونية خلال الفترة ما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٧ هو نقل الصهاينة قاعدة عملهم المركزية الدولية (ميتروبوليشن) من لندن الى واشنطن. . لقد كان الكتاب الأبيض /١٩٣٩/ هو نذير الخطر الذي نبه الصهاينة الى شكوك لندن نحو النفوذ الصهيوني وتماديه قد اقترب من حد الإشباع»[3].

---

(١) د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ـ أمريكا في خدمة الدولة اليهودية ص ١٤ ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٧٢.

(٢) السابق ص ١٤.

(٣) السابق ص ١٧.

روزفلت يسخر نفسه لليهود:

استقبل الرئيس روزفلت رئيسي مجلس الطوارىء سلفر ووايزمن في البيت الأبيض ولتهدئة خواطر الصهيونية خولها نشر البيان التالي باسمه «لقد رخص لنا رئيس الجمهورية أن نقول بأن الحكومة الأمريكية لم توافق قط على الكتاب الأبيض الصادر (عام ١٩٣٩) ومن دواعي سرور الرئيس أن أبواب فلسطين مفتوحة اليوم أمام اللاجئين اليهود. .»[١].

وعلى ذكر الرئيس روزفلت ووعوده الثنائية للعرب تارة ولليهود تارة أخرى والتي نفسرها بأنها ضحك على العرب وتهدئة لمشاعرهم لحين إتمام المخطط وإحكامه وإلتزام مكين لليهود ليوصلوهم الى مبتغاهم في ترسيخ أقدامهم بفلسطين فإن الرئيس روزفلت كان قد وعد الملك عبد العزيز آل سعود بعدم تأييد اليهودوعدم إصدار شيء من هذا دون التفاهم معه وكان الملك عبد العزيز قد أرسل الى روزفلت بتاريخ ١٠ مارس آذار ١٩٤٥ كتاباً جاء فيه: «أما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين فتستند:

١ ـ على حق الإستيطان الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ولم يخرجوا عنها في يوم من الأيام. .

٢ ـ وعلى الحق الطبيعي في الحياة.

٣ ـ ولوجود بلادهم المقدسة فيها.

٤ ـ ليس العرب دخلاء على فلسطين ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانهم فيها. .

إن حل قضية اليهود والمضطهدين في العالم تختلف عن قضية الصهيونية الحائرة فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليها جميع العالم وفلسطين قد تحملت قسطاً فوق طاقتها وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في

---

(١) السابق ص ٩٨.

بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الأصليين فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري..

وإنا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية في فلسطين لا يعني خطراً يهدد فلسطين وحدها فحسب بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية وأن أخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو:

١ ـ إنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب.

٢ ـ ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل في إفساد ما بين العرب والحلفاء وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين في قتل اللورد موين في مصر فقد قدر اليهود أن يخفى فاعلو الجريمة فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر..

٣ ـ إن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها فإن ما أعدوه من العدة يدل على أنهم ينوون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية.

٤ ـ فلو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما في فلسطين فما الذي يمنعهم عن الإتفاق مع أي جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب هم قد بدأوا بعدوانهم على بريطانيا بينما هم تحت حمايتها ورحمتها»[1].

وجاء الرد من قبل روزفلت بما يلي:

«تذكرون جلالتكم أنه في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كل من العرب واليهود.. وأكدت لكم أني سوف لا أتخذ أي عمل بصفتي رئيساً للفرع التنفيذي لهذه الحكومة يبرهن أنه عدائي للشعب العربي»[2].

---

(١) عبد العزيز الشناوي ـ جلال يحيى ـ وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩.

(٢) السابق ص ٣٣٨.

وقد ذهب هذا الكلام أدراج الرياح مع تصريحات اجتماع البارجة مع الملك عبد العزيز حين قال: لقد تعلمت من هذا الإجتماع عن قضية فلسطين ما لم أكن أستطيع معرفته خلال تبادل درزينتين من الرسائل. . .

وفي خضم هذه الأحداث ذات التأثير الكبير على مجريات الأمور في فلسطين ومستقبلها والتي استغل فيها اليهود ظروف الحرب العالمية وعملوا على كسب التأييد الدولي بزعامة أمريكا ولم ينسوا الاعتماد على قدراتهم الذاتية من حشد وتصعيد قدراتهم العسكرية. . كان العرب ينامون على حلم الكتاب الأبيض ١٩٣٩. . ويتفرجون على المتحاربين في الحرب العالمية الثانية دون أن يحدثوا مكاسب تمكنهم من إحراز النصر وطرد الغزاة. . . لذلك كانت الصورة العربية داخل فلسطين أن الزعامة العربية كانت غائبة عن الأحداث. . مشردة ومنفية «الحاج أمين الحسيني لاجئاً الى برلين وجمال الحسيني وأمين التميمي وغيرهما من المنفيين في سيشل. .» والحق أن عرب فلسطين باعتبارهم أنهم غالباً ما يثقون بسياسة «المطالبات» مطالبة بوقف الهجرة اليهودية، مطالبة بمنع انتقال الأراضي لليهود[1]. مطالبة بإلغاء الوطن القومي اليهودي، مطالبة بإبطال الإنتداب ومطالبة بالإستقلال وكأنما غاب عن العرب أن مثل هذه الأمور الحيوية لا تطلب وإنما تؤخذ وما انفك العرب ـ جميع العرب ـ يطالبون منذ إصدار وعد بلفور حتى منتصف الأربعينات وما بعدها ولا أحد يصغي لهم»[2].

أما اليهود فعلى الرغم من حملاتهم العسكرية الإرهابية ضد بريطانيا إلا أنهم لم يقطعوا صلتهم بها بل على العكس عملوا ضمن استراتيجيتين هامتين فمن جهة أولى أوعزوا الى الإرهابيين بتصعيد أعمالهم ضد بريطانيا في عمل يبدو منفصلاً عن القيادة الصهيونية المتمثلة بالوكالة اليهودية في فلسطين ومن جهة ثانية عمل السياسيون على استغلال الموجة الإرهابية الضاغطة على بريطانيا لمزيد

---

(١) السابق ص ١٥٧.

(٢) السابق ص ١٨١.

من المكاسب الصهيونية فقد «زار وفد برئاسة بن غوريون لندن وقدم طلباً الى وزير المستعمرات بلهجة قوية بوجوب إصدار /١٠٠/ مائة ألف شهادة هجرة على الفور ليهود أوروبا». وذهل وزير المستعمرات من لهجة الطلب وقال في مجلس العموم: «إن سلوك زائريه كان يختلف تمام الإختلاف عن كل ما كان يتوقعه» ولم يرد الوزير على هذا الطلب إلا في ٢٥ آب ١٩٤٥ ـ أغسطس وبعد أن تلقى تحذيراً من مكتب الجامعة العربية في لندن»[١].

وقد عملت بريطانيا على تشكيل لجنة تحقيق انجلو امريكية لدراسة أحوال فلسطين وسنجد من ضمن توصياتها توصية بإدخال /١٠٠/ مائة ألف مهاجر الى فلسطين وهذا يدل على استجابة بريطانيا لمطالب بن غوريون فقد أصدر وزير خارجية بريطانيا بياناً في ١٣ نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩٤٥ جاء فيه: «قررت ـ أي حكومة جلالته ـ أن تدعو حكومة الولايات المتحدة للتعاون معها في تأليف لجنة تحقيق انجليزية أمريكية مشتركة تكون الرئاسة فيها دورية لبحث مسألة يهود أوروبا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين على ضوء ذلك البحث. . .

أما شروط اختصاص لجنة التحقيق هذه:

١ ـ فحص الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية بفلسطين بالنسبة لتأثيرها في مشكلة هجرة اليهود اليها واستيطانها وفي رفاهية الأهالي المعتمدين فيها. . .

٢ ـ فحص حالة اليهود في الأقطار الأوروبية حيث كانوا ضحية للإضطهاد النازي والفاشي. . »[٢].

أما فيما يتعلق بفلسطين فإن من الواضح أن حكومة جلالته لا يمكنها أن تتخلى عن الواجبات والإلتزامات المترتبة عليها بمقتضى صك الإنتداب ما دام

---

(١) السابق ص ٢١٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي ـ جلال يحيى ـ وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ـ ص ٣٤٢ ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٦٩.

الإنتداب قائماً وهي تنوي وفقاً لتعهداتها أن تعالج المشكلة على ثلاث مراحل:

١ ـ ستستشير العرب بغية وضع ترتيب يؤمن عدم تعطيل الهجرة اليهودية حسب المعدل الشهري الحالي.

٢ ـ وبعد النظر في التواصي المؤقته التي ستتقدم بها لجنة التحقيق ستستقصي مع الفرقاء ذوي الشأن إمكان استنباط ترتيبات مؤقته أخرى لمعالجة مشكلة فلسطين الى أن يتسنى الوصول الى حل دائم لها.

٣ ـ ستعد حلاً لعرضه على الأمم المتحدة وسيكون هذا الحل متفقاً عليه إن أمكن»[١].

أما توصيات هذه اللجنة فيمكن تلخيصها فيما يلي:

التوصية الأولى:

يتوجب علينا أن نعلن أن المعلومات التي حصلنا عليها تجعلنا على يقين من أن جميع البلدان ما عدا فلسطين لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد مساكن الذين يرغبون في ترك أوروبا أو أنهم يرغمون على تركها.. ولكن فلسطين وحدها لا تستطيع استيعاب جميع اليهود وضحايا الإضطهاد النازي والفاشي الأمر الذي يجعل العالم بأسره مسؤولاً عنهم وعن جميع الأشخاص المشردين.. ونوصي حكومتينا بأن تسعيا لضمان تنفيذ أحكام ميثاق الأمم المتحدة الذي يدعو إلى «تشجيع الإحترام الشامل لحقوق الإنسان مع المحافظة على الحريات الأساسية للبشر أجمع دون تمييز في العرق أو اللغة أو الدين»[٢].

التوصية الثانية:

أولاً: أن يصدر في الحال إجازة تخول دخول فلسطين لليهود الذين كانوا ضحية اضطهاد النازية وعسف الفاشية...

---

(١) السابق ص ٣٤٥.

(٢) السابق ص ٣٤٩.

ثانياً: وأن تمنح هذه الإجازات إن أمكن خلال العام الحالي وأن تتم هجرة هذا العدد الفعلية بأسرع وقت تسمح به الظروف.

التوصية الثالثة:

لأجل البت نهائياً في مطالب العرب واليهود بشأن الإستئثار بفلسطين نرى من الضروري التصريح عن المبادىء التالية:

١ ـ أن لا سيادة على العرب ولا للعرب على اليهود في فلسطين.

٢ ـ أن لا تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية.

٣ ـ أن الشكل النهائي للحكم الذي سينشأ في فلسطين يجب أن يضمن بضمانات دولية حماية ورعاية مصالح المسيحية والإسلامية واليهودية على السواء في الأراضي المقدسة.

التوصية الرابعة:

«ومع ذلك فليست فلسطين أرضاً يهودية صرفة ولا يمكن أن تكون كذلك في المستقبل فهي في مفترق طرق العالم العربي وسكانها العرب الذين استوطن أسلافهم هذه المنطقة منذ أقدم الأزمنة ينظرون بحق الى فلسطين كوطن لهم» ولذا فإننا نوصي ريثما يتلاشى هذا العداء باستمرار الحكم في فلسطين على ما هو عليه تحت الإنتداب الى أن يتم الإتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة عليه.

التوصية السادسة:

لقد أوصينا بقبول /١٠٠٠٠٠/ مائة ألف مهاجر من ضحايا الإضطهاد النازي بالسرعة الممكنة ونتصدى الآن إلى الموقف بعد دخول ذلك العدد إننا لا نستطيع أن نتطلع الى المستقبل البعيد كما أنه لا يسعنا أن نضع قياساً للهجرة السنوية.

التوصية السابعة:

إننا نوصي بما يلي:

١ ـ إلغاء القوانين السابقة بانتقال ملكية الأراضي الصادرة في سنة ١٩٤٠ واستبدالها بقوانين تستند الى سياسة حرة في بيع الأراضي وإيجارها والإنتفاع منها بقطع النظر عن الجنس أو الملة أو العقيدة مع حماية صغار الملاك والزراع المستأجرين.

التوصية العاشرة:

إننا نوصي في حالة العمل بما ورد في هذا التقرير بأن يوضع لكل من العرب واليهود معاً بصورة لا تقبل الشك بأن كل محاولة من أي فريق ترمي عن طريق التهديد باستعمال العنف أو عن طريق الإرهاب أو عن طريق تنظيم جيوش غير قانونية واستخدامها للحيولة دون تنفيذه سوف تقمع بحزم»[1].

وعلى أثر ذلك قرر مجلس جامعة الدول العربية القرارين التاليين:

١ ـ مقاومة تسلح الصهيونية ـ بالإحتجاج طبعاً ـ كما جاء في التعليل ـ بالنظر لما أعلنته الحكومة البريطانية وما ظهر من تقرير لجنة التحقيق أن الصهيونية قد شكلت جيوشاً مسلحة في فلسطين وأن بريطانيا العظمى لم تستطع الى الآن أن تحل هذه الجيوش وتنزع سلاحها فاللجنة ترى أن هذا من شأنه أن يؤدي الى اضطرار الشعوب العربية للدفاع عن نفسها ومقاومة القوة بالقوة ولا تستطيع حكومات الجامعة العربية أن تمنع هذه الشعوب من أن تأخذ عدتها للدفاع الشرعي عن نفسها وهي لهذا ترى أن تلفت الجامعة نظر الحكومة البريطانية الى خطورة الموقف.

٢ ـ اعتبار بيع العقار للصهيونيين «جرماً جنائياً»[2].

---

(١) السابق

(٢) السابق ص ٣٧٠.

إلا أن اليهود في ذلك الوقت كانوا قد وطدوا علاقاتهم مع ترومان رئيس الولايات المتحدة وأصبح طوع بنانهم فبمجرد أن قال اليهود أنهم لا يصرون على السيطرة السياسية في كل من فلسطين وإنما يقبلونها في القسم الأعظم منها أو كما عبرت عنها صيغتهم «دولة يهودية قابلة للحياة على ساحة من أرض فلسطين» سارع ترومان الى تأييد هذا الإقتراح كما أنه دافع بشدة بشأن إدخال /١٠٠/ مائة ألف لاجىء يهودي الى فلسطين وهنا عمدت جامعة الدول العربية الى إرسال مذكرة الى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٢ يونيو ـ حزيران ١٩٤٦ وكان مما فيه:

«.. ولو كانت المسألة الفلسطينية وليدة الإضطهاد النازي والمظالم التي أصابت اليهود لكان هناك مجال للقول ولكنها كما يعلم الناس جميعاً وليدة سياسة بريطانية خاطئة منذ الحرب العالمية الأولى.

بريطانيا تعمل للتقسيم:

ثم دعت الحكومة البريطانية العرب واليهود الى حضور مؤتمر فلسطين بلندن في أوائل سبتمبر ـ أيلول من عام ١٩٤٦ للتداول بشأن مستقبل فلسطين وقد حضر ممثلون عن جامعة الدول العربية وقدمت بريطانيا مقترحاتها المبنية على دراسات سابقة ودراسة اللجنة البريطانية الأمريكية الأخيرة وكان أهم ما جاء فيه كالآتي:

«ويظهر أن الأمل الوحيد في السلام في اتجاه سريع نحو أنظمة الحكم الذاتي ينحصر في صياغة دستور البلاد بشكل يعطي كلا من الفريقين أعظم قسط ممكن من السلطة لإدارة شؤونه الخاصة ويعتقد المندوبون الخبراء أن الطريقة المثلى في الظروف الحالية لتحقيق ذلك هي إنشاء مناطق عربية ويهودية تتمتع بقسط وافر من الحكم الذاتي تحت إشراف حكومة مركزية ويقترحون لهذا الغرض تقسيم فلسطين الى أربعة مناطق.

١ ـ منطقة عربية ٢ ـ ومنطقة يهودية ٣ ـ ومقاطعة للقدس ٤ ـ وأخرى للنقب.

ويقترح الخبراء كجزء من هذا المشروع أن يصبح في حيز الإمكان قبول توصيات اللجنة الإنجليزية ـ الأمريكية القائلة بإدخال /١٠٠/ مائة ألف مهاجر يهودي في الحال الى فلسطين وباستمرار حركة المهاجرة بعد ذلك وقد جهز الخبراء مشروعاً بنقل /١٠٠٠٠٠/ مائة ألف يهودي من أوروبا الى المنطقة اليهودية في فلسطين..

وقد فند عبد الرزاق السنهوري ممثل مصر أثناء خطابه في هذا المؤتمر فقال: «ومثل هذا الوضع سينتهي حتماً وفي وقت ليس ببعيد الى نتيجتين حتميتين:

١ ـ تقسيم البلاد وليس إقامة دولة اتحادية إذ أن اليهود قد أعلنوا صراحة أن الهدف الرئيسي الذي يسعون إليه هو إقامة دولة يهودية مستقلة.

٢ ـ سيسمح اليهود بهجرة لا حدود معقولة لها فتزدحم منطقتهم بالسكان إزدحاماً كبيراً لا يمكنها معه أن تسع المهاجرين جميعاً وسيعينهم في هذا السبيل أن المنطقة المقترحة أكبر بكثير من المناطق التي يسكنونها الآن فستضم هذه الجزء الأكبر من الأراضي التي استقر بها اليهود فعلاً ومنطقة غير صغيرة من مناطق سكنهم وما حولها إلا أنهم سيشكون حتماً بعد قبولهم هذه الأعداد الضخمة من المهاجرين من أن منطقتهم أصغر من أن تسع السكان وأنهم بحاجة الى توسيعها من هنا يبدأون الوثوب على المنطقة العربية المجاورة وربما على البلاد العربية المجاورة وسيعني هذا أمرين:

أ ـ إننا قد قبلنا تقسيم فلسطين ورضينا بإقامة حكومة يهودي مستقلة وبهذا يتحقق البرنامج الصهيوني.

ب ـ إن مثل هذه الدولة اليهودية ستهدد البلاد العربية المجاورة تهديداً خطيراً وستكون بمثابة قاعدة تمكن اليهود من اجتياح كل العالم العربي في الشرق، ولا يمكننا أن نقربشكل ما تقسيم فلسطين أو إقامة دولة يهودية..»

وقد اقترحت الوفود العربية في هذا المؤتمر المقترحات التالية:

١ ـ تعيين حكومة مؤقتة مؤلفة من /٧/ سبعة وزراء عرب و/٣/ ثلاثة وزراء من اليهود الفلسطيني الجنسية وتتحول السلطات التشريعية والتنفيذية التي تمارسها الإدارة الفلسطينية الحالية الى الحكومة المؤقتة بمجرد تعيينها.. وللمندوب السامي حق النقض «الفيتو» على قرارات الحكومة أثناء فترة الإنتقال...

٢ ـ تحضير سجل إنتخابي.

٣ ـ إعداد مشروع دستور لفلسطين وينص الدستور على:

أ ـ تكون فلسطين دولة موحدة.

ب ـ تكون ذات دستور ديموقراطي ومجلس نيابي منتخب.

جـ ـ ينص الدستور على ضمانات لقداسة الأماكن المقدسة وحرمتها والمحافظة عليها وحرية زيارتها وحرية العبادة طبقاً للحالة الراهنة[1].

لكن هذه المقترحات لم تقبل من خصوم العرب وانفض الإجتماع على سحب بريطانيا يدها من هذه القضية كما أن اندفاع البيت الأبيض وراء الصهاينة أتاح للبريطانيين فرصة للتنصل من المشكلة الفلسطينية برمتها وعرضها على منظمة الأمم المتحدة كما سيمر في الفصل الأول...

---

(١) عبد العزيز الشناوي ـ جلال يحيى ـ عن كتاب وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩.

بروز قضية فلسطين في الشعر الحديث

من الأمور التي تؤخذ على الشعراء في نهاية القرن التاسع عشر تأخر بعضهم عن إبراز قضية فلسطين - إن لم نقل أكثرهم - وإغفالهم ذكر قضية فلسطين فلقد سبق الشعراءَ كتّابٌ لفتوا الأنظار الى ما يحاك من مؤامرات على فلسطين فكتب محمد رشيد رضا في مجلته المنار العدد الأول عام ١٩٠٩م «إن هؤلاء الزعماء (الإتحاد والترقي) كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيداً للفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية وأن من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل والى ابتلاع أصحاب الملايين اليهود لخيرات البلاد»[1].

ولم تثر فلسطين انتباه بعض الشعراء إلا بعد ظهور وعد بلفور بعدة سنين، وبعد أن أعلـــن الإنتداب البريطاني على فلسطين ظهرت في شعرهم ومضات عنها ولكنها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً من الناحية الإعلامية ومن ناحية توجيه الجماهير فقد كانت ضعيفة التأثير باهتة المحتوى غير منذرة بالخطر كما للمقالة السالفة الذكر. . .

وقد يصدق إلى حد ما أن نعزو التأخر في الإهتمام بقضية فلسطين ومواكبة الشعر لأحداثها منذ البداية الى عدد من الأمور منها:

١ - إنشغال كل قطر بقضاياه المصيرية، فمصر والسودان كانتا محتلتين من قبل انجلترا وكذلك دول الخليج العربي، والمغرب العربي محتل من قبل فرنسا،

---

(١) عبد الله التل - الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ص ٨٧ - المكتب الاسلامي - ١٩٧١.

وليبيا من قبل إيطاليا. . أما العراق وبلاد الشام فكانت ما تزال خاضعة للحكم العثماني وقد حدثت في هذه الفترة تطورات مذهلة من حيث الظلم والعسف والإرهاب وفرض التتريك من قبل الإتحاديين كما كانت البلاد محاطة بكثير من المؤسسات التبشيرية والمحافل اليهودية، فمرت على البلاد خمس سنوات تقريباً من الفوضى المتناهية توجت بحملات الإعتقالات والإعدام في ٦ أيار ١٩١٦ وفي هذه الفترة خضعت تركيا لمؤامرة عالمية لتصفية أملاكها واحتوائها تماماً فكان أن جُرَّتْ من ناحيتها للحرب العالمية الأولى فهزمت في الحرب وخضعت العراق وفلسطين للنفوذ البريطاني كما خضعت سوريا ولبنان للنفود الفرنسي. . .

٢ ـ تآمر بريطانيا مع اليهود لإعطائهم فلسطين بسرية تامة مستغلين الأحداث التي مرت بالأمة والتي شغلتهم عن معرفة ما يجري ويحاك لفلسطين حتى كشفت ثورة روسيا عام ١٩١٧ طرفاً من هذه المؤامرة.

٣ ـ التعتيم الإعلامي البريطاني لما كان يجري في فلسطين وتزييف الحقائق حول هجرة اليهود. . وكم أفواه المخلصين وزجهم في السجون مما أدى الى اختناق الصيحات المستجيرة وعدم تسربها خارج فلسطين وكانت ثورة ١٩٣٦ هي الصوت القوي الذي عبر الجدران. .

٤ ـ ابتليت كل من العراق وسوريا بالإنتداب فانصبت جهودهما على انتزاع استقلالهما أولاً ثم العمل من أجل فلسطين مما أخر العمل الجهادي وأتاح لبريطانيا واليهود فرصة انتزاع فلسطين بإحكام. . .

ولقد عبر موسى العلمي في شكواه عن انشغال العرب بنفسهم دون فلسطين فقال: «أما لو سألتموني ما هو الظرف الذي سمح بذلك ـ شراء الأراضي ومحو القرى العربية ـ لقلت لكم بكل احترام هو ترك اخواننا لنا نخوض هذه المعركة العالمية وحدنا وهم واقفون ينظرون، قد امتلك اليهود السهول والوديان وأكثرية الأراضي الزراعية الخصبة، قد أخذوا جهة البحر وأخذوا جهة الشمال وسدوا ما بيننا وبين سوريا ولبنان قد أخذوا الشرق وكادوا

يسدون ما بيننا وبيـن شـرق الأردن وعراقنا المحبوب وها هم يأخذون الجنوب ليقطعوا ما بيننا وبين مصر العزيزة فأخذوا السهول وطوقونا بالجبال وهم يضيقون علينا الخناق فهل يبقى إخواننا صامتين»[1].

على أنه لا عذر للعرب الذين أقروا هذا الإنفصال على أنفسهم بحيث انشغل كل قطر بقضيته ولو كان الهدف الشاغل للجميع قضية واحدة هي قضية استقلال الجميع لكان أجدى ولما كان هناك دول... لكن مبادرة كل قطر للعمل منفرداً ومطالباً باستقلاله كرس الإنفصال تلقائياً حتى وإن لم تفرضه سطوة المحتل لأن المحتل قد خطط لمثل هذا ونجحت خطته بسهولة حيث وجد أن كل جماعة تلهث في الجري وحدها وراء الوعود علها تفوز باستقلال قطرها وإنشاء دولتها الخاصة بها فكان من أعجب العجب أن يوجد في لندن وفد لمصر ووفد لفلسطين ثم لا يكون بينهما عمل موحد... لذلك لما تم للمستعمر ما أراد وهو يرقب هذا الوضع الإنفصالي عمل على دعمه وتكريسه فرسم الحدود وجزأ البلاد ونكل وحنث بكل العهود التي قطعها فكانت المعاملة هذه على حسب ومقدار ما أبداه العرب من ضعف الرابط بينهم.. ولقد بدأ هذا الإنفصال الذاتي زعماء العرب الذين احتلوا مركز الصدارة عند الأمة. فهذا فيصل بن الحسين الذي فوضه المؤتمر السوري لبحث قضية عموم سوريا مع دول الحلفاء ووعدوه بأن يكون ملكاً عليها.. نراه في مفاوضاته يسلخ من الأمة جزءاً بعد جزء حتى اعترف لليهود بالوطن القومي كما قدمنا.. ثم سلم لفرنسا بمطالبها وسرح الجيش السوري.. فأسخط عليه المخلصين إذ المهم عنده أن يبقى ملكاً ولو تحت الحراب الأجنبية وعلى أي جزء من الأشلاء الممزقة لذلك خاطبه خليل مردم قائلاً[2]:

---

(١) د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ـ أمريكا في خدمة الدولة اليهودية ص ١٨٧ ـ معهد البحوث والدراسات العربية للتربية والثقافة ـ ١٩٧٢م.

(٢) ولد الشاعر خليل بن أحمد مردم بك في دمشق عام ١٨٩٥ م متمكن من شعره أصبح عضو المجمع العربي في دمشق عام ١٩٢٥ وعضو المجمع العلمي في مصر ١٩٤٨ والمجمع العلمي العراقي ١٩٤٩ وقد شغل عام ١٩٥٣ منصب وزير الخارجية السورية.

أفيصلُ إنْ سَلّمتَ مقدارَ ذرةٍ مُياسَرةً من حَقِّنا لا نُسَلِّمِ
نَفَضْنَا يدينَا منكَ لا عَنْ تباغُضٍ وَكُنَّا بحِلٍّ منكَ مِنْ كلِّ مُحْرَمِ

ولقد كوفىء بعد ذلك بتتويجه ملكاً على العراق وتوقع منه أهل العراق[1] ما يصلح حالهم لكن خاب ظنهم فطفق الشعراء ينتقدونه. . .

طبقات الشعراء المعاصرين

ولكي يكون الكلام دقيقاً حول بروز القضية الفلسطينية في الشعر فإنني سأقسم الشعراء المعاصرين الى ثلاث طبقات:

١ ـ الطبقة الأولى التي عاصرت وكتبت الشعر منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الثلث الأول من بداية القرن العشرين.

٢ ـ الطبقة الثانية التي عاصرت وكتبت الشعر منذ الثلث الأول من القرن العشرين إلى أن شهدت النكبة عام ١٩٤٨ وما بعدها.

٣ ـ الطبقة الثالثة التي عاصرت وكتبت الشعر عن الحروب الأخيرة بين العرب واليهود وهذا لا يمنع أن يوجد تداخل بين هذه الطبقات لشعراء معمرين امتد بهم الأجلُ ليشهدُوا أكثرَ من فترة. . وبما أن حديثنا عن بروز القضية في الشعر العربي المعاصر فإن هذا يتطلب منا الحديث عن بروزه عند الطبقة الأولى فقط والتي أفضل أن تكون حسب كل قطر عربي وذلك لأن بدايات بروز الشعر عند الطبقة الأولى كانت متفاوتة بين قطر وآخر وهذا يستوجب الأفراد وعدم الدمج بينما سيكون الكلام فيما بعد عن الأحداث عاماً لا نفصل فيه بين قطر وآخر بل نسوق الشواهد أنى وجدت لأن التأثر بالقضية الفلسطينية أصبح شاملاً لكل الأقطار العربية في أواخر الثلاثينات وما بعدها كما سنبينه. . . .

---

(١) ديوان جميل مردم ـ قدم له جميل صليب ـ ص ١٥٣ ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ أشرف على الديوان ولده عدنان. .

أهمية تقسيم الشعراء إلى ثلاث طبقات:

ولهذا التقسيم الثلاثي أهمية من حيث تقويم شعر كل طبقة:

ـ **فالطبقة الأولى** لم تكن تلك الطبقة ذات الشعر الملتزم بل أن غالبية شعرائها خبطوا خبط عشواء في كل درب وطريق ولم يحددوا أهدافاً ولا غايات لشعرهم بل كتبوا كل ما دار بخَلَدهم أو عنّ على بالهم فالمهم عندهم أنهم شعراء يستطيعون أن يطوعوا شعرهم لكل غرض مهما كان هدفه.. كما لوحظ عليهم شدة الإنفعالية والتأثر بما يرونه ظاهراً من أي حدث دون إدراك ماهيته أومعرفته وبحث مقدماته ونتائجه والخروج بخلاصة عميقة عن بواطنه مستخدمين الوسائل المختلفة والفكر الوقاد ما شاءوا.. فالأناة والتثبت من كل حدث أهو لصالح الأمة أم ضدها أمر محتم على الشاعر لأنه أخذ موقف الريادة للأمة. والرائد لا يكذب أهله.

ومن هذه الإنفعالات العاطفية جاء التناقض في شعر الطبقة الأولى فبعضهم ذم عبد الحميد وأيد الإتحاديين بشدة وتوخى على أيديهم مهد عيسى لكنه عاد فذم الإتحاديين لما أصبح المهد حلماً.. وبعضهم مدح الإنكليز ثم عاد فذمهم لما عايشهم عن قرب وبعضهم مدح كمال أتاتورك ثم عاد فذمه وهذا يؤكد عدم عمق الفكر عند هؤلاء الشعراء لذلك لا يمكن لشعرهم أن يكون رائداً أو موجهاً طالما أنهم ضلوا الطريق ولم يستطيعوا هم أن يسيروا فيه فضلاً عن أن يعبِّدوه لغيرهم فكانت فترتهم فترة تجربة وتكوين ذاتي.. لذلك أبدى هذا التناقضُ الفكرَ الهشَ عندهم وقصرهم أنفسهم على الصياغة والقافية وإذاعتهم لكل ما يسمعونه دون التثبت والتروي وبذلك فهم يساهمون في نقل الشائعات وأفكار التضليل دون أن يشعروا ـ إن أحسنا بهم الظن ـ إذ كيف لهم أن يمتدحوا الإنكليز مثلاً ويحببوا الناس بهم وهم على علم من أنهم احتلوا مصر وعدن والهند من ديار المسلمين كما أنهم على غير ديننا فالإنسان العادي الذي لم يؤتَ نصيباً من العلم كبيراً لا يخفى عليه مثل هذا...

وقد انساقت هذه الطبقة بشدة وراء القومية التي تعني معاداة الدين كما شربوا الأفكار العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة فلو استعرضت شعرهم جميعاً لما رأيت فيه أي مطالبة بدولة إسلامية من حيث المنهج والتطبيق فقد انجروا وراء خصوم الدين دون تفكير فكان لهذا التيار قدوَتُهُ من النصارى الذين خَدَعُوا مثلَ هؤلاء الشعراء فقلدوهم بشن الهجوم على الدولة العثمانية دون تمييزٍ بين من أحسن من الخلفاء وبين من أساء.. فما عدت تسمع إلا ذم الترك والدعوة لإبادتهم فإذا كان السلطان مثلاً هو المسيء وأعوانُه فما ذنب الشعب التركي الذي تلقى الإساءة بالطبع من السلطان الغشوم كما تلقاه غيرُه من الرعايا.. ولكنه الهجوم الذي يريد الإنفصال والقطيعة بين المسلمين.. وأصبحت سمةَ ذلك العصر المناداةُ بالقومية على حساب تفريق المسلمين وتبديد وحدتهم وقوتهم.. ليسهل بعد ذلك احتلالُهم واحتواؤُهم من قِبَلِ الغرب الصليبي.. ولقد جَسَّد بعض الشعراء «القوميةَ» بأنها وثن يجوز عبادتُه من دونِ الله وهذا العمل أسقَطَ دعوى بعض الشعراء بأن القومية من الدين لا ينفك أحدُهما عن الآخر فإذا بهذا الزعم الذي هو من طرفٍ واحد يُدحض أمام الحقائق والأطراف الأخرى التي كانت تُوجِه هذه الموجة لأنها تعلم علم اليقين أن المناداةَ بالقوميةِ تعني التحول الكاملَ والبارَع عن المناداة بالدين. وأنها على المدى الطويل ستكون الدينَ البديل.. أما الشواهد التي تؤكد ما قدمنا عن هذه الطبقة فهي كالآتي:

أولاً ـ لقد مدح أحمد شوقي مصطفى كمال عندما انتصر على الجيش اليوناني ولم يعلم أن مصطفى كمال لم يحرز النصر بنفسه بل أحرزه غيرُه من الضباط الغيورين وكان في أنقرة يساوم على منحه مالاً وألقاباً.. فقال شوقي يمتدحه.

الله أكبرُ كمْ في الفتح من عجبِ يا خالِدَ التركِ جددْ خالِـدَ العربِ

لكنه عاد فذمه لما عمل على تقويض الخلافة الإسلامية فقال:

يا جذوةَ التوحيدِ هلْ لكِ مطفىءٌ ... واللهُ جَـلَّ جـلالُـهُ مُـذْكـيـكِ
يـرميـكِ بـالأممِ الـزمـانُ وتـارةً ... بـالفـردِ واستبـدادِهِ يـرميـكِ[1]

وقال الشاعر محمد البزم (سوري)[2] يصب نقمته على الترك ويمتدح جيش الشريف حسين الذي أخرجهم بقوة جيش بريطانيا حتى تبدو لنا ميولُه الإنكليزية.

أنقـذتُموهـا بدُهمِ الخيـلِ تَتْبَعُهـا ... قذائفُ الموتِ تُردي الترْكَ بالعَطَبِ
وقد دخلتمْ وسيفُ النصر مُنْصَلِتٌ ... مـا بينَ مبتسمٍ فيهـا ومنْتَحبِ
بـكـلِ أروعَ (للتـاميزِ) نسـبتُـهُ ... أو ماجـدٍ بـطلٍ للعـربِ مُنتسبِ
خضبتُم بـدمـاهـم كـلَّ رابيـةٍ ... فخبّتِ الخيلُ للأرساغِ واللَبَبِ[3]

وهذا إبراهيم الدباغ[4] مثال لمن خدعوا بالماسونية وأشاد بمحافلها في عدة مناسبات، ولست أدري كيف استطاع أن يوفق بين مدحهم وذمهم في آن واحد.. أتراه لم يفرق بين صانعي المحافل من اليهود وبين المغتصبين لفلسطين منهم أم كان شعره الفلسطيني للتغطية..؟!

فقال بمناسبة تولية أحمد ماهر رئاسة محفل ماسوني:

يـا مصرُ هـذا شرقُنـا الأكبرْ ... اللهَ مـا أسمى ومـا أكبـرْ
في هيكلٍ ضمَ الصناديدَ كمْ ... راعَ هـزبـراً سيفُـهُ المشهـرْ

---

(١) د. ماهر حسن فهمي ـ شوقي شعره الاسلامي ـ ص ١٣٠ ـ دار المعارف بمصر ـ ط ٢.

(٢) محمد محمود البزم: ولد عام ١٨٩٧ في دمشق عمل في التدريس مدة كبيرة نشر شعره وآراءه في كثير من الصحف والمجلات له كتب «النحو الذي سرى في كلام العرب» «النحو الواقع» «الجواب المسكت» طبع ديوانه بعد وفاته ـ توفي عام ١٩٥٥م. عن كتاب/ الشعراء الاعلام في سورية/ سامي الدهان ـ طبعة ثانية ١٩٦٨.

(٣) محمد البزم ـ ديوان البزم ـ ص ٢٥٥ ـ المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ١٩٦١ اللبب: المنحر.

(٤) الشاعر ابراهيم الدباغ ولد في يافا بفلسطين عام ١٨٨٠م ارتحل إلى مصر ودرس في الأزهر ثم أقام في مصر كتب عن فلسطين وعن غيرها كف بصره له ديوان الطليعة جـ ١ والطليعة جـ ٢ ـ توفي عام ١٩٤٦.

ماهر يـا أصدق مَنْ أنجبتْ مصـرُ من الأبيضِ والأسمرْ
تـاجُ سـليمـانَ وأعـلامُـهُ حسبُكَ من عرشٍ ومِنْ منبرْ

ويقول أيضاً مبشراً بإعادة هيكل سليمان للقدس بحماسة أكثر من اليهود:

أُوْمِـلْ بنـا عَنْهـا الى هـيكـلٍ أو بيعـةٍ أو مـسجـدٍ أو كـنيسِ
تَلْقَ النجـومَ الـزهـرَ في مـطلعٍ تَـزِينُهُ في الشـرقِ شمسُ الرئيسِ
عـرشُ سـليـمـانَ بـه قـائـمٌ يبعثُ نورَ القدسِ من نابُليسِ[1]

ثم انتقل لمدح فاروق والمغالاة بذلك لتعلم بعد ذلك أصنافاً من الطبقة الأولى فقال:

عَمَّ عدلُ الفاروقِ في مصـرَ حتى عـادَ حكمُ الفـاروقِ والصـديـقِ
وأعـادَ الفـاروقُ للدينِ من دستـ ـوره رونـقَ الـرداءِ الأنـيـقِ

أما الزهاوي[2] فقد مدح الإنجليز في عدة قصائد كما مدح المندوب السامي البريطاني برسي كوكس في القدس فقال لـه[3] عام ١٩٢٠م:

عدْ للعراق وأصلحْ فيـه ما فسـدا وأثْبِتْ به العدل وامنحْ أهله الرغدا

ظنا من هذا المعتوه أن بريطانيا ستقيم العدل في بلادنا كما هو في بلادها

(١) ابراهيم الدباغ ـ ديوان الطليعة ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٥ ـ مطبعة حجازي ـ مصر ـ ١٩٣٧ ونابليس تعني نابلس.

(٢) الشاعر جميل صدقي الزهاوي ولد عام ١٨٦٣ في السلمانية بالعراق وعمل في السياسة وقف ضد السلطان عبد الحميد وكان عضواً في مجلس المبعوثان ـ النواب التركي ـ عمل استاذاً للآداب العربية والفنون ـ مال شعره إلى الفلسفة مما جعل الناس يكفرونه ـ توفي عام ١٩٣٦م.

(٣) عبد الرزاق الهلالي ـ دراسات وتراجم عراقية ص ١٧٦ ـ منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد ـ بيروت ١٩٧٢. وقال أيضاً:

تَـبَـصَّـرْ أيـهـا الـعـربـيُّ واتـركْ ولاءَ البغض من قوم لئام ـ مشيراً إلى الترك
ووال الانـجـليـز رجـال عـدل وصـدِّقْ فـي الـفـعـال وفي الـكـلام
ولـذ بـحـمـاهُـمْ فَـعَـسَـاكَ تـنـجـو بـهـم مـن مـخـلب الـمـوت الـزؤام

وهل يلوذ الانسان المؤمن ويعتصم إلا بالله..؟؟

وكأنه لم يسمع عن أعمالها ووحشيتها في مصر وكأنه لم يسمع عن أحداث إعدامات دنشواي التي كانت قريبة العهد إن لم يكن يدري ما كانت تخطط لفلسطين.. وهل يُحبُّ إنسانٌ مسلم أن يتولاه كافر ﴿ومَنْ يَتَولَّهم منكُمْ فإنَّه مِنْهُمْ﴾[1].

وأما منتهى الذل فقد تمثل بشاعرين من السودان وكان عندهما علم باحتلال الإنكليز للقدس عام ١٩١٨م فأيدا الإحتلال وقائد الإحتلال وذلك بمناسبة زيارة قائد الإحتلال اللنبي للسودان وتعيينه مندوباً سامياً عليها عام ١٩٢٢، أما أولهما فهو حمزة الملك طمبل فقال[2]:

فاتَح القدسِ قد تغمدَكَ اللـ ـهُ بروحٍ من المهيمنِ قدسِ
لك عزمٌ من القضاءِ وذكرٌ مشرقٌ في الزمانِ إشراقَ شمسِ
يا أَجَلَّ القوادِ في الحربِ شَرِّفْ فوقَ عينٍ من البلادِ ورأسِ

ثم يظهر الذل ويطلب العون من العدو:

فَدَرجْنا على الصعيدِ حفاةً بين غبرٍ من الجياعِ وشكسِ
فاسْعدونا فقد شَقِينا بجهلٍ مطبقٍ كالدجى وفقرٍ وبؤسِ
وادفعونا إلى الأمام فأنتمْ أقدرُ العالمين من غيرِ لُبْس
عشتَ يا لوردُ للبلادِ وعاشتْ أمةٌ مُتِّعتْ بأفخمِ كرسي[3]
ثم لو تنطقُ البلادُ لقالتْ ألفُ شتانَ بين يومي وأمسي

أما الشاعر الثاني فهو عبد الله محمد عمر البنا فقال في المناسبة نفسها[4]:

---

(١) سورة المائدة الآية ٥١.

(٢) الشاعر حمزة الملك طمبل شاعر من السودان يعتبر من رواد الأدب السوداني ـ كتب (الأدب السوداني).

(٣) د. صلاح الدين المليك ـ شعراء الوطنية في السودان ص: ٣٤٧ دار التأليف والترجمة والنشر ـ جامعة الخرطوم ـ ١٩٧٥.

(٤) الشاعر عبد الله محمد عمر البنا، ولد في السودان مدينة رفاعة عام ١٨٩١ عمل مدرساً ثم أصبح استاذاً في الكلية وعميداً للأدب العربي فيها ـ جامعة الخرطوم ـ شارك في كثير من المهرجانات الشعرية في البلاد العربية.

إذا مـا قيـل قـد أوفى ألنّبي تـطمـأنتِ الأمـورُ الجـانحـاتُ
ألا يـا حـامـلَ السيفين إنّـا نـفـوسٌ للمعـالي جـائعـاتُ
دخلتَ القـدسَ يـوم دخلتَ بَـرّاً رفيقاً في الأمـورِ لـك انْصلاتُ
وسرتَ على جلالِكَ فوقَ أرضٍ بـهـا حججُ النبـوة مشـرقـاتُ
فضـعْ مجـدَ البـلادِ على ودادٍ تُـقَـادُ بـه القلوبُ النـافـراتُ
على حكم التسـامـح والتّـفـاني تـدينُ لك النفوسُ الجامحاتُ[1]

لكن شاعراً ثالثاً كان أجرأ منهما على مخاطبة المحتل فقال توفيق صالح جبريل[2]:

أيُّهـا القـومُ لا تَجُـرّوا الـذيـولا يـأنـفُ الحُـر أنْ يـعـيشَ ذليلاً
سمتُمـونـا العـذابَ ضَيّقتمُ الأر ضَ علينا حتى هَـوينا الرحيلا
فـادّعيتمْ نشـرَ الحضـارةِ والعـرْ فـانِ والشعبُ مـا يـزالُ جَهُـولا
ويـحَ قـلبي مـاذا يـرومُ ألنبي يـوم وافى يجـرُ سيفـاً صقيـلا
أتـراهُ يـريـدُ يـفـصـمُ حبـلاً بين مصـرَ وبيـننـا مـوصـولا[3]

أما الشاعر علي الجارم[4] فقد ظهر منه تصرف غريب في أثناء الحرب العالمية الأولى إذ بكى فرنـسا وباريسها بدلاً من بكائه العرب فقال:

باريسُ والعسرى الى يُسرةٍ وغـايـةُ العـارض أنْ يقشَعَـا
مـا أحسنَ السينَ وجيـرانَـهُ وَأَحْسَنَ المصطافَ والمربَعَـا

---

(١) السابق ص ٣٤٤.
(٢) الشاعر توفيق صالح جبريل: ذكر في كتاب شعراء الوطنية في السودان وغيره من تراجم شعراء السودان ولكن دون ترجمة عن حياته وانما ذكر انه توفي عام ١٩٦٦.
(٣) السابق ص ٣٤٥.
(٤) الشاعر علي الجارم: أديب وشاعر ولغوي وكاتب ولد عام ١٨٨١ في مصر له كتاب النحو الواضح وديوان الجارم في أربعة أجزاء ـ توفي عام ١٩٤٩م.

أريعتِ الحسناءُ في خِدرها نعم دَعَاها الذعرُ أنْ تهلَعا[1]

أما الرصافي والزهاوي فكأنهما لم يسمعها شيئاً عن تآمر اليهود لشراء فلسطين من السلطان عبد الحميد وقد كانا في استنبول عند اصطدام عبد الحميد مع الضباط الإتحاديين فهل صحيح أنهما لم يسمعا شيئاً عن هذا الحدث الهام؟ أم إنهما آثرا السكوت.. ولقد شهد الرصافي أثناء سفره الى سالونيك تحركات جيش الإتحاديين عام ١٩٠٧ للقضاء على حركة المتدينين التي قامت ضدهم في استنبول فإذا بالرصافي يشيد بجيش الإتحاديين ويمتدحهم بل ويطلب منهم أن يذبحوا المتدينين بالرغم من أنه شاهد في صفوف جيش الإتحاديين خلائط من كل جنس ودين وعلى الأخص من اليهود فقال فيهم:

لقد جَمَعُوا الجموعَ فمنْ نصارى ومن هودٍ هناكَ ومسلمينا
فكانوا الجيشَ إلفٌ من جنودٍ مجنَّدةٍ ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدينَ عزماً وما هم فيه متحدينَ دينا

ويقول عن حركة المتدينين:

هم الأشرارُ باسم الدين قاموا فعاثُوا في المواطن مفسدينا
فما تركوا من الدستورِ شُورى ولا أبقوا لنغمتِه طنينا[2]

ثم يتابع حركة تنقلهم بحرية رغم الخطر (ولا ندري كيف سمحوا له بذلك):

فلم يتصرم الأسبوعُ إلاَّ وهم بربا (فروق) مخيمونا
هنالكَ قمتُ مرتحلاً إليهم لأبصرَ ما أؤملُ أنْ يكونا

---

(١) علي بك الجارم ـ ديوان الجارم ـ جـ ٢ ص ١٢٣ ـ مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر.
(٢) جريدة «طنين» صاحبها حسين جاهد من يهود الدونمة ومن المساهمين في خلع عبد الحميد.

ويتكلم عن عبد الحميد فيقول:

وأُنـزلَ من سريـرِ الملك خلعاً ... وأُفـردَ لا نـديمَ ولا قـرينـا
فسيقَ الى سـلانيـكَ احتبـاساً ... لـه كي يستريحَ بهـا مصـونـا
ولـكن كـيف راحـةُ مـستبـد ... غَـدَا بـديـار أحـرارٍ سجينـا[1]

فهل لنا أن نقول إن الرصافي لم يكن على علم بما يدبره يهود لفلسطين؟ أم إنه كان على علم بما يجري فأخفى ذلك..!

على أنه إذا أخطأ شوقي وتسرع في مدح مصطفى كمال لبعده عن استطلاع الخفايا من الأحداث فتعذر عليه الوقوف على حقيقة مصطفى كمال فإننا لا نعذر الرصافي الذي عاش أحداث الإتحاديين عن كثب واتصل بضباطهم وعلى رأسهم محمود شوكة الذي كان على رأس الجيش الذي دخل استنبول في ٣١ آذار ١٩٠٧ وضرب الحركة التي قامت ضد جمعية الإتحاد والترقي وسميت بالحركة «الرجعية» كما أن الرصافي درّس محمود شوكة اللغة العربية في مدينة أزمير لعدة أسابيع ونخلص مما ذكرنا أن الرصافي كان مع الأحداث في تركيا فكيف غابت عنه حقيقة أتاتورك؟ فقال يمدحه بقصيدة (الى بطل الشرق الأكبر):

سَمِيَّ المصـطفى لا زلتَ تـعلو ... الـى أوجٍ يـطاولُ كـلَّ أوجِ[2]
فـدرْ كالشمس في فلكِ المعـالي ... وحـلَّ من الكمـالِ بكـل برجِ
تركت جيوشهمْ من فـرطِ رعبٍ ... تُعَـاهِـدُ للهـزيمـةِ كـلَّ نهـجِ
إذا ذَكَـروا سِمَـاكَ ولـو منـامـاً ... تحـامـوا ذكـرَهُ بسـوى التهجي

على أن أخطر ما جاء على لسان الرصافي مدحه ليهودا وهربرت صموئيل في حفلة أقامها راغب النشاشيبي في القدس عام ١٩٢٠ فقال بعد أن سمع خطاب يهودا وخطاب هربرت صموئيل:

---

(١) مصطفى السقا ـ ديوان الرصافي ـ ص ٣٧٤ ـ مطابع دار الكتاب العربي طبعة ثالثة ـ ١٩٤٩.
(٢) السابق ص ٤٣٠.

خطابُ يهودا قد دعانا الى الفكرِ وَذَكَّرَنَا ما نحنُ فيه على ذكر
وَمَجَّدَ ما للعربِ في الغربِ من يدٍ وما لبني العبَّاسِ في الشرق من فخر
لدى محفلٍ في القدس بالقوم حافلٍ تبوأهُ هربر صموئيلُ في الصدرِ
فيا ليلةً كادتْ وقد جلّ قدرها تكون على علاتِها ليلةُ القدرِ
ولما تناهى من يهودا خطابُه وقد سَرَّنا من حيثُ ندري ولا ندري
تصدى له هربر صموئيلُ ناطقاً بسحرِ مقال جلَّ عن وصمةِ السحر

إلى أن يعلن ولاءَهُ لهربرت ثم لأعمامه اليهود فقال:

ولسنا كما قالَ الأُلى يَتْهمُوننا نُعادي بني إسرالَ في السر والجهر
وكيف وهمْ أعمامنا وإليهمُ يممتُ لإسماعيل قِدْماً بنوفهر

ومع ذلك فهو يتحفظ في البيتين الأخيرين إذ يقول:

ولكننا نخشى الجلاءَ ونتقي سياسةَ حكمٍ يأخذ القومَ بالقهر
وهل تثبت الأيامُ أركانَ دولةٍ إذا لم تكن بالعدلِ مشدودةَ الأزر[1]

وقد سببت له هذه القصيد مشكلات مع الشباب الوطني في فلسطين مما اضطره ذلك الى مغادرة البلاد حيث اتجه الى مصر وعاد منها مع المفوض السامي برسي كوكس الى العراق وربما أكدت هذه السيرة المختصرة للرصافي على أنه منتسب لأحد المحافل الماسونية. . .

٢ ـ **أما الطبقة الثانية** من الشعراء فكانت أفضل من سابقتها من حيث التفتح، إذ أحست بالخطر الجاثم على أرض فلسطين فأعطت القضية وقتاً أكبر مما أعطته سابقتها وبعضها مشارك في الجهاد العملي دفاعاً عن أرض الإسلام فلسطين، كما نشأ بين أفراد هذه الطبقة رعيل من الشعراء الذين خطوا خطوات كبيرة في طريق الإلتزام فكان شعرهم يصدر عن عقيدة إسلامية صادقة ليس فيه

(١) السابق ص ٤٢١.

دخن ولا دجل وإن كانوا قلة بين جمع كثير من الشعراء التزموا بأفكار علمانية أو يسارية أو نهجوا على نهج الطبقة الأولى. . من حيث قول الشعر غالباً للشعر لا الشعر المتخصص لقضايا الأمة.

٣ ـ **وأما الطبقة الثالثة** فكانت على وعي أفضل من سابقتها من حيث الإلتزام والفهم والإدراك وكثرة عدد الشعراء المسلمين الملتزمين كما زاد أيضاً عدد الشعراء اللاملتزمين ممن تاهوا فكراً وشعراً. . !

وإذا كنا قد اضطررنا أن نستشهد بشعراء الطبقة الأولى دون التمييز بين شاعر وآخر وذلك لمعرفة بروز القضية الفلسطينية في الشعر المعاصر ولمعرفة موقف الشعر من الأحداث الفلسطينية قبل النكبة في عهد الإنتداب فإننا سنحرص على أن لا نذكر من شعراء الطبقتين الثانية والثالثة إلا الشعراء الملتزمين أو القريبين منهم لنخرج من التناقض الذي لمسناه من شعراء الطبقة الأولى ولتكون دراستنا منهجية معبرة عن العنوان الذي اخترناه لها هو (الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين). .

هذا وقد برزت القضية الفلسطينية في الشعر المعاصر في الأقطار العربية بدرجات متفاوتة وإن كنا نأخذ عليها جميعاً أنها تأخرت في إبراز القضية في الشعر حتى في فلسطين ذاتها رغم وجود عدد لا بأس به من الشعراء. . .

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء مصر:

ففي مصر مثلاً وهي الجارة الجنوبية لفلسطين لا نجد أي أثر للشعر الفلسطيني عند كبار الشعراء المعروفين أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد عبد المطلب وتوفيق البكري ووفاة هؤلاء في سنين متقاربة بين ١٩٣١ ـ ١٩٣٢. . أي أنهم شهدوا بداية للصراع لا بأس بها وإذا تتبعنا الموضوعات التي كتبوا بها جميعهم نجدها مختلفة ومتنوعة من وطنيات ورثاء ونساء وإخوانيات. . الخ.

وهنا يلح علينا سؤال لماذا لم تحظ فلسطين بشيء من عطفهم وإذا قلنا إن شوقي كان شاعر القصر ومن يكون كذلك فهو بالطبع موال للإنكليز ويؤخذ عليه أن تأخر بذكر حادثة دنشواي سنة كاملة ولما قال فيها شعراً جاء باهتاً من حيث الإثارة والإشادة بالأمة والسخط على الإنكليز ونقدهم.. فإذا كان شوقي كذلك فماذا نقول عن شاعر الشعب حافظ إبراهيم الذي كتب عن دنشواي وعن مظاهرات ١٩١٩م وإذا كان التعتيم الإعلامي قد خيم على مصر ومنع دخول أخبار فلسطين إليها خصوصاً لأن المحتل لكلا القطرين واحد فإن هذا لم يمنع من أن يهاجر الى مصر شعراء من العراق وفلسطين ذكروا فلسطين وما تعاني منه من قهر وتسلط وأشهرهم عبد المحسن الكاظمي[1] وإبراهيم الدباغ فقال الكاظمي شعراً في أوائل عام ١٩٢١م بمناسبة زيارة وفد من فلسطين الى مصر لشرح قضية بلاده.. فقال:

فلسطينُ إنَّ القصد لا يتحولُ ... وإن صعابَ الأمرِ سوف تذلَّلُ
فلسطينُ لا تَلْوي عن القصدِ واعملي ... فليسَ ينالُ القصدَ من ليس يعملُ
فلسطين شاء الظلم أن تتحملي ... فكيف وهذا الظلم لا يُتَحمَّلُ
أأمة موسى جاوزت فيكِ حدَّها ... ومواساكِ عنك اليوم في الناس مرسلُ
أوفدَ فلسطين الذي لستَ واحداً ... فإن جميع العرب فيك تمثلُ[2]

فهل كانت هناك حساسية بين كبار شعراء مصر والكاظمي بحيث لم يستمع اليه أحد منهم.. ولا نعرف خلافاً بينهم بل لقد لقب الكاظمي في مصر بشاعر العرب.. ولقد عاتب الشاعر إبراهيم طوقان شعراء مصر على هذا التقصير فقال مخاطباً:

---

(١) الشاعر عبد المحسن الكاظمي هو أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي ولد في بغداد عام ١٨٦٥م ونشأ في الكاظمية.. ارتحل كثيراً الى أن استقر في مصر توفي عام ١٩٣٥.. وهو شاعر البديهة والارتجال.

(٢) تحقيق حكمة الجادرجي ـ ديوان الكاظمي شاعر العرب ـ ص ٢٣٣ ـ دار احياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٩٤٨.

وبـرغـم العـدا أواصـرُ قـربـا نـا وثـاقٌ لـم تـبـلْهـا الأزمـانُ
قـد رأوا أن يقـطّعـونـا بحـدودٍ فـإذا الـدينُ جسـرُهـا واللسـانُ
جئتكم عـاتبـاً بـلابـلَ مـصـر بلبـلُ الـروض عَتْبُـهُ ألحـانُ
كم بـلادٍ تهـزكـم، ليس فيهـا لـكـم جـيـرةٌ ولا إخـوانُ
خَـطْبُنـا لا يهـزُ شـوقي ولكـنْ جـاءَ رومـا فـهـزّه الـرومـانُ
خـطبـنـا لا يـهـز حـافظَ إبـرا هـيـم لـكـنْ تـهـزُّه اليابانُ[1]

وإذا قلنا كان الشعراء إقليميين كما اتهمهم يوسف عز الدين حيث قال: «ارتفع صوت الكاظمي بقصائده الرنانة بالترنم بمجد العرب وباستنهاض هممهم لاستعادة ذلك المجد وصدَحَ صوتُه في مصر أقلَّ البلاد العربية آنذاك تحسساً للروح القومية العربية إذْ كانت مُسْحةُ حالها آنذاك مُسحةً دينية[2] إقليمية»[3]. فإن شعرَهم يرد علينا قولَنا، فشوقي صاحب قصيدة (نكبة دمشق) التي قالها ١٩٢٦م منددا بفرنسا وحافظ إبراهيم صاحب[4] قصيدة (سورية ومصر) التي مطلعها:

---

(١) ديوان ابراهيم ـ ابراهيم طوقان ـ إحسان عباس ـ ص ١٨٨ مطبعة القدس ١٩٧٥.

(٢) دينية اقليمية: هذه العبارة وأمثالها يروجها دعاة الاستشراق والمستغربون أيضاً الذين يريدون إخراج مصر عن دائرة العروبة والاسلام.. والاقليمية تعني الانغلاق المجتمع في اقليمه وعدم اعترافه بالروابط الأخوية مع الأقطار العربية الأخرى وهذه الدعوة روج لها تلاميذ المستشرقين أمثال طه حسين ولطفي السيد وغيرهما الذين دعوا لمصر الفرعونية، أما عبارة دينية اقليمية التي اوردها الكاتب المذكور فكأنه أراد بها أن يزيد على أسلافه ويعضد الاقليمية بالدين الفرعوني وهي مصيبة..!

أما لو قصد الدين الاسلامي بكلمة «الدين» فالمصيبة أعظم لأنه يتهم الاسلام بما ليس فيه ولا يوجد في الاسلام دينية اقليمية لأن الاسلام دين عام لأهل الأرض جميعاً..

(٣) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ ص ٤٠ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩.

(٤) الشاعر حافظ ابراهيم ولد بديروط بمصر عاش في القاهرة اتصل بالشيخ محمد عبده عين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية توفي ١٩٣٢ قبل شوقي بشهور..

لمصـر أم لـربـوع الشـام تنتسبُ هنا العلا وهناك المجد والحسب[1]

وقصيدة (حرب طرابلس) يندد بها بالاستعمار الإيطالي..

لذلك يمكننا أن نقول لعل قضية فلسطين لم تكن قد وضحت تماماً في ذلك الوقت بالنسبة لشعراء مصر بالإضافة الى التعتيم الاعلامي البريطاني وتغيير الحقائق للتستر على ما يجري في فلسطين.

ولقد ذكر الإمام الشهيد حسن البنا تلك الحالة في مصر فقال:

«وفي هذه الأثناء (١٩٣٦) تحركت قضية فلسطين وثار الشعب الفلسطيني الباسل على التصرفات البريطانية الغاشمة التي تمالىء اليهود في كل شيء وتحرم العرب من كل شيء وكانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كل الإنصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جدية بحكم النعرة الوطنية الخاصة التي لم تكن قد تطورت الى ذلك الشعور الدفاق بحق العروبة ورابطة الإسلام ولم يكن المتحرك لفلسطين أو نحوها من الأقطار الشقيقة في ذلك العهد إلا ـ الهيئات الإسلامية ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون الى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة ووقفوا على ذلك جهودهم مادياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر وجمع المال..»[2].

كما أن شعر كل من الكاظمي والدباغ عن فلسطين في ذلك الوقت لم يبلغ العمق الكافي ليحرك الشعور الأخوي والوجداني تجاه فلسطين فلربما أوحى ذلك الشعر بأن هناك اختلافاً طائفياً بين العرب وبين اليهود الأقلية في البلاد نشأ في ظل الاحتلال ثم لا يلبث بعد ذلك أن يحسم لصالح الأغلبية العربية.. كما أن

---

(١) وزارة المعارف العمومية ـ ديوان حافظ ابراهيم ـ جـ ١ ص ٢٦٨ ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٣٧.

والقصيدة الثانية (حرب طرابلس): السابق جـ ٢٠ ص ٦٦ ومطلعها:

طـمـعٌ ألـقـى عـن الـغـرب الـلثـامـا فـاستفق يـا شـرق واحـذر أن تنـامـا

(٢) حسن البنا ـ مذكرات الدعوة والداعية ـ ص ٢٠٧ ـ المكتب الاسلامي ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٤ ـ بيروت.

تصعيد الأحداث في مصر والمطالبة بالدستور والإستقلال في ذلك الوقت حالت دون الإلتفات لأحداث ليس لها وقع عنيف مما جعل الكاظمي يعذر مصر وغيرها من الأقطار لأن المصاب واحد فقال:

أَحِبَّايَ هزتني إليكم صبا الحمى ... وأرواحُ مصرَ عن شذا الكرخ تنسمُ
فَـرُحْتُ أداري الحب ثم أذيعـه ... وأعـلن أحيـانـاً هـواكـم وأكتـمُ
ومـا بـكِ يـا مصـرُ ببغـدادَ نـازلٌ ... وفي جلقٍ أدهى وفي القدسِ أجسمُ
إذا مـاتـوالى جـرحُنَا وتعـذرتْ ... مراهمُـهُ فـالجرحُ للجرحِ مـرهَمُ
أبى الغربُ مِنْ أنْ ينجلي باختيارِهِ ... عن الشرقِ حتى ينجلي وهو مرغمُ[1]

أما إبراهيم الدباغ فإنَّه لا يعذر مصر عن عدم المشاركة وإبراز قضية فلسطين لذلك يقول بأسى: «لما أحاطت الويلات بفلسطين وانهارت الحوادث والكوارث على أهلها من سنة ٢٣ الى سنة ٢٧ لم يشعر بجرحها الدامي ونكبتها الثقيلة كثيرون من أقطاب هذا البلد (يعني مصر)[2] أما على الصعيد الرسمي في مصر فلم يكن هناك أي اهتمام بمشكلة فلسطين فقد كان اهتمام الحكومة والأحزاب منصباً على مصر وحسب وأكبر دليل على ذلك أن الحكومة المصرية قد بعثت عام ١٩٢٥ (أحمد لطفي السيد) ـ وكان مديراً للجامعة المصرية ـ للمشاركة في افتتاح الجامعة العبرية في القدس كأن فلسطين بلد عبري مجاور وكان من الواجب بدل التلبية أن تثير هذه الدعوة عندها عدداً من التساؤلات.. فلماذا جامعة عبرية وليست عربية وأين هم الطلاب اليهود الذين درسوا في فلسطين وأنهوا تعليمهم الثانوي ليدخلوا بعدها في الجامعة.. كان عليها أن تعلم أن هذه الجامعة تُهيأ للقادمين الجدد من أوروبا من أبناء يهود.. ولتكون شاهداً لا أكثر على وجود جذور ثقافية عريقة لليهود تفوق ما عند العرب..

---

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ ص ٥٥ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩.

(٢) ابراهيم الدباغ ـ ديوان الطليعة جـ ٢.

جامعة عبرية ولما يتجاوز اليهود عشر السكان أليس هذا أكبر دليل على الاستعداد ليوم له ما بعده لذلك فإن الشاعر وديع البستاني[1] لم يستطع أن يتمالك نفسه أمام هذه المشاهدة فقال مهاجماً بلفور الذي شهد الإفتتاح وكذلك مبعوث مصر:

ما تلكَ جامعةُ العلوم بل المطامعُ جامعة
إن السياسة أوجدتـ ـها والسياسةُ خادعة
من لندن هرولَت تُضرْ مُ نارَ هذي الواقعة
يا لوردُ ما لومي عليـ ـك فأنت أصلُ الفاجعة
لومي على مصر تمد لنا أكفاً صافعة
يا (سيدا) قد جئتنا وقلوب قومك هالعة
وشهدت إجامعة المطا مع لا العلوم السنافعة
أرأيت كيف تحيط با لعرب الذئاب الجائعة
تشكو لكم منكم بني مصر ظروفَ الواقعة
أوهمتم الأعداء أنا أمةٌ متقاطعة
لا تشمتوا أمماً غدت فينا وفيكم طامعة[2]

كما أن الإنكليز كانوا قد أقنعوا المصريين بأنهم فراعنة وليسوا عرباً ليعزلوا مصر عن سائر الأقطار العربية فكانت هذه التصرفات.

يقول محمود عبد الحليم: «وخدع المصريون بهذه الفكرة ردحاً طويلاً من الزمن وقامت زعامات سياسية كبيرة سايرت الخدعة ولم يخطر ببالها أن تولي

---

(١) الشاعر وديع البستاني لبناني الأصل فلسطيني الجنسية ولد سنة ١٨٨٦م كان عضواً بارزاً في اللجنة التنفيذية العربية لذلك عاصر أحداث فلسطين منذ البداية عاد بعد النكبة إلى لبنان وتوفي فيه عام ١٩٥٤م.

(٢) د. عبد الوهاب الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٨١ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

موضوع العروبة أي اهتمام. واطمئناناً الى نجاح هذه الخدعة دبر الإنجليز جريمة بيع فلسطين لليهود وهم في مأمن من أية مقاومة.. وكيف لا يأمنون وقد استطاعوا أن يجعلوا المصري المثقف حين تطلب منه مساعدة لمجاهدي فلسطين يتساءل: وأين تقع فلسطين هذه أهي في أوروبا؟

كما استطاعوا أن يجعلوا رئيس وزراء مصر حين يسأله أحد الصحفيين ماذا أعددتم لقضية فلسطين؟ فيجيب: أنا رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين...

لقد استطاع الأخوان المسلمون، والأخوان المسلمون وحدهم أن يفسدوا على الإنجليز خطتهم وأن ينسفوا الجدار الشاهق السميك الذي شيده الانجليز ليفصل مصر عن بقية الأمة العربية.. وبذلك استطاع الأخوان أن يمدوا بين مصر والأمة العربية أول جسر ربط بينهما.. وقد استغل الأخوان هذا الجسر الذي أقاموه خير استغلال فوجهوا الدعوة لرجالات البلاد العربية لعقد مؤتمر لدراسة مشكلة فلسطين في مصر واستجاب الكثير منهم ومثلت أكثر البلاد العربية بنخبة من كبار رجالها في ذلك الوقت... وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر عربي يعقد من أجل فلسطين وقد عقد في دار المركز العام بالعتبة وتعاقب فيه الخطباء من مختلف البلاد ثم تكلم الأستاذ المرشد.

وانتهى المؤتمر بقرارات تطالب حكومات الدول العربية بالتدخل من أجل إنقاذ فلسطين من المؤامرة الإنكليزية اليهودية وكان لهذا المؤتمر آثار بعيدة المدى لأنه جعل الحكومات العربية تحس لأول مرة أن عليها مسؤولية تجاه مشكلة فلسطين»[1].

«لقد كان للجهود التي بذلها الأخوان المسلمون في مصر من أجل بيان الصراع العربي اليهودي في فلسطين اليد الطولى.. وإذا رجعنا الى أقدم نص

---

(١) محمود عبد الحليم ـ الأخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ جـ ١ ص: ١٨٠ ـ ١٨١. دار الدعوة ـ مصر ـ ١٩٧٩.

شعري كتب حول فلسطين نجد تاريخه في الفترة التي عمل فيها الأخوان على توضيح هذه القضية في المساجد والمنتديات وكانت لحملاتهم هذه آثارها المجيدة مما جعل الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي شهد إحدى هذه الحملات يتأثر ويكتب مقالاً بعنوان (قصة الأيدي المتوضئة) ذكر فيه فلسطين وما حل بها»[1].

ثم بدأت تتوالى القصائد حول فلسطين وأخذت تحظى باهتمام الشعراء وكان من أوائلها قصيدة نشرها الشاعر أحمد محرم[2] عام ١٩٣٤م إثر ثورة ١٩٣٣ قال فيها:

في حمى الحق ومن حول الحرمْ ... أمـة تُؤذى وشعب يُهتَضـمْ
فـزع القدس وضجت مكـة ... وبكت يثرب من فرط الألمْ
ومضى الـظلم خلياً نـاعمـاً ... يسحب البردين من نار ودم
يـأخذ الأرواح مـا يعصمها ... معقـل الحق إذا ما تعتَصِم
ما تبالي إن مضت ويـلاتها ... ما أصابت من شعوب وأمم
أهـون الأشياء في شـرعتهـا ... أمـةٌ تمحى وشعـب يلتـهم
يـا فلسطين اصـطلتها نكبـة ... هاجها للقوم عهد مضطرم[3]
اكشفيهـا غمـة ليس لهـا ... من كفاء غير كشاف الغمم
الجهـاد الحـر يقضي حَقَّـه ... سُؤْدَدُ العرب ويحميه العلم
همـمُ الأحـرارِ تحمي وطنـاً ... عـربيـاً سيمَ خسفـاً وظُلِم

---

(١) عن السابق ص ٩٣.

(٢) الشاعر احمد محرم: ولد في يناير كانون الثاني ـ ١٨٧٧ في القاهرة ثم غادرها مع والده إلى محافظة البحيرة ـ تعلم القرآن والنحو والصرف.
لم يتابع تعليمه في المدرسة ـ كتب في الصحافة منها مجلة (الصدق) وله ديوان شعر (مجد الاسلام) وديوان (محرم) جـ ١ و جـ ٢ توفي عام ١٩٤٥م.

(٣) أحمد عبد اللطيف الجدع ـ حسني ادهم حرار ـ شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ٤ ص ٧٩ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٧٨.

بـاعـه ذئب لـذئب غـيلة فهـو للذئبين نهبٌ مقتسم
مصر ناجي من فلسطين الربى وابعثي صوتك من أعلى الهرم

كما أن الشاعر أحمد زكي أبو شادي[1] نشر قصيدة في نفس العام عن ثورة ١٩٣٣ فقال:

عـلامَ صياحُ النـاس حين كلامهم هبـاءٌ إذا الأسيـاف لـم تتكلمِ
وإن لم يدو الحقُ من كل مدفعٍ وإن لم يُغَنِّ الموتُ في كل مأتمِ
وثـائـرة في نخـوة العـرب آمنتْ بعـزَّتهـا بـالـرغم من كـل أعجم
مشت للردى في محفل من شيوخها وشبـانهـا في وحـدة لم تقسم
فلسـطينُ يـا دارَ النبـوةِ هكـذا تصيـر جنـانُ الخلدِ نـارَ جهنم
وهيهـاتَ تحيـا أمـةٌ مـا تعـرضت لـوابله فالمـوت في جُبنِ منعم[2]

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء سورية:

وفي سورية حيث كان صدى الكارثة أكبر، لأن فلسطين اقتطعت من سورية ولأن الحلفاء حالوا دون تنفيذ وعودهم للشريف حسين بتشكيل دولة عربية موحدة، لذلك كان بروز القضية في الشعر مبكراً بالنسبة لغيرها من الأقطار وعتبنا على الشعراء السوريين أنهم لم يطالعونا عن خبيئات القضية منذ ما قبل وعد بلفور أما حقبة ما بعد الوعد فكانت مذكورة، لأن الفترة الأولى كانت مخصصة لمجابهة الأتراك الإتحاديين والدعوة الى القومية والعلمانية.. بينما كانت الفترة الثانية مكرسة لمجابهة المحتلين الفرنسيين الذين دخلوا سورية عام ١٩٢٠م بعد معركة ميسلون..

(١) الشاعر أحمد زكي أبو شادي: ولد في القاهرة عام ١٨٩٢ درس الطب في انجلترا ونشر شعره في عدة صحف ومجلات ـ له عدة دواوين (أنداء الفجر) (زينب) (الينبوع) (الشفق الباكي)... هاجر إلى امريكا وتوفي هناك عام ١٩٥٥.

(٢) أحمد زكي أبو شادي ـ ديوان الينبوع ـ ص ٤٩ ـ بلا طبعة وتاريخ..

لقد كان في سورية عدد من كبار الشعراء منهم محمد البزم وخير الدين الزركلي وخليل مردم وشفيق جبري. . الخ.

فالأول لم يتعرض لذكر قضية فلسطين بل كرس كل شعره للتنديد بالأتراك أما جميل مردم فقد ذكر فلسطين عام ١٩٣٨ بأبياتٍ عَرَضيَّة وردت ضمن قصيدة وطنية بينما كان خير الدين الزركلي هو السبَّاق في ذكر قضية فلسطين وكانت بعد الإنتداب أي في عام ١٩٢٢ وقد ذكرها كامل السوافيري في كتابه (الشعر الحديث في مأساة فلسطين) وأعادها لعام ١٩١٩ وهذا خطأ فالقصيدة التي سنورد بعضاً منها تندد بمبادىء ولسن التي لم تنفذ وقد كانت المبادىء مبعث أمل الدول العربية في نيل الإستقلال لكن عدم الأخذ بها تأكد عند إعلان الإنتداب على الدول العربية المختلفة وهذا يدل على أن أحداً لم يندد بها إلا بعد هذا التاريخ فقال خير الدين[1]:

يا نابضاً فيه عـرقٌ من بني مضرٍ ... أسـرجْ جيادك ولتُـطْلقْ لها اللجمُ
واشحـذْ غرارَكَ لا يعلقْ بـه صدأ ... فـإن يُجَرِحْكُمُ فـالصـارمُ الحكم
كفكفْ دمـوعَ فلسـطينٍ وجـارتهـا ... بيروتَ واكففْ يداً في بسطها النقم
وعـود نلسـنَ كم أضللتِ من فئـةٍ ... لأنت أشـأمُ مـا سيست بـه أمم
ومن أغارَ على شعبٍ لـيمـلكَـهُ ... قبـلَ القلوب تولى وهـو منهـزم[2]

على أن خير الدين لم يكن مكثراً من هذا الشعر ففلسطين لم تعد تأخذ من شعره إلا القليل على شكل بيت أو أكثر ضمن قصيدة. . . مثل قوله:

شـرق الشـام وغـربـه في لسوعـة ... وجنـوبـه في روعـة وشـمـالـه

(١) الشاعر خير الدين الزركلي: ولد عام ١٨٩٣ في بيروت من أبوين دمشقيين قرض الشعر وتقلب في مناصب سياسية كثيرة منها امارة شرق الأردن ومنها في المملكة العربية السعودية. . عمل في الصحافة وأسس عدة صحف. . له كتاب «الاعلام» وهو عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ومصر. .

(٢) م. سامي الدهان ـ الشعراء الأعلام في سورية ص ١٥٤ ـ دار الأنوار بيروت ـ طبعة ثانية ١٩٦٨م.

وهذا دليل على عدم الإهتمام الكافي بالقضية وهو الشاعر والمفكر علماً بأنّه دخل الى فلسطين أكثر من مرة كان آخرها ١٩٣٠م حين أصدر مع زميلين له جريدة (الحياة) في القدس ثم عطلتها الحكومة الإنكليزية.

ثم أصدر جريدة يومية في يافا وأصدر العدد الأول ثم باعها بعد ذلك والظاهر أن إحجامه عن ذكر القضية كثيرة منها أن تصرف أحزاب فلسطين لم ترق له لأنهم لم يعملوا لها بشكل جماعي موحد فقال:

ولم أر قبل العربِ في الناسِ أمَّةً ... سواءً عليها خُسْرُها ورباحها
تُرَجَّى فلاحاً والشقاق حليفها ... وكيف يُرْجَى في الشقاق فلاحها
وما برزت في عالم الله أمة ... ولا كان إلاّ بالوفاء نجاحها[1]

وقد كان مطارداً من قبل الفرنسيين لأنه عمل لبلاده سورية ثم طارده الإحتلال الإنجليزي ولعل هذا أيضاً قد ضيق عليه وجعله يلتفت الى التأليف والكتابة لأنه في هذه الفترة أصدر كتابه الضخم «الأعلام» ثم آثر بعد ذلك العمل بعيداً عن سورية وفلسطين وطاب له المقام في دولة أكثرَ أمناً واستقراراً منهما...

أما شفيق جبري[2] فقد كانت له رحلات تجارية مع أبيه الى فلسطين وهو شاب يافع فقد زار حيفا عام ١٩١٣ وهو ابن خمسة عشر عاماً..

«ولا شك أنه لمس فيها بوادر تدفق اليهود وامتعاض العرب من ذلك إلا أن شعره الفلسطيني جاء متأخراً في الأربعينيات من هذا القرن ويبدو أنه أعطى الأولوية في شعره للتنديد بالأتراك ثم بالفرنسيين وبعد أن فرغ منهما ونالت سورية الإستقلال التفت الى فلسطين فقال:

---

(١) السابق ص ١٥٧.

(٢) الشاعر شفيق جبري: ولد عام ١٨٩٨ في دمشق رحل مع والده من أجل التجارة وقرض الشعر في سن مبكرة وكان مديراً لكلية الآداب في دمشق نواة الجامعة السورية ـ اشترك في عدة مهرجانات شعرية.

فهذي فلسطينٌ تنوح من الأذى فما نضحت عنها عيونُ النوائحِ
فهل صيحةٌ في العرب تبعث ملكهم ألا ربما هَبُّوا بصيحة صائح

وهذه الصيحة الجديدة في فلسطين موضوع جديد لشعره في الوطنية بعد صيحاته ضد الأتراك والفرنسيين حتى لقد أصبحت فلسطين شغله الشاغل في شعره»[1].

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء لبنان:

وفي لبنان تأخر بروز الشعر للأسباب التي ذكرناها في سورية وذلك إذا استثنينا الشاعر اللبناني وديع البستاني الذي سكن فلسطين مع بداية دخول بريطانيا إليها والذي فاض شعره بوصف أحداثها المبكرة وكان سببه أن الشاعر (سليم اليعقوبي)[2] حسان فلسطين طلب منه أن يكرس شعره لفلسطين عندما بدأ خطر اليهود وبريطانيا يظهر فقال:

أنا ما عهدتك في فلسطين سوى رجلُ الجهادِ تَجِدُّ في استقلالِها
فاجهرْ بصوتكَ والبغاةُ كما ترى فلعله يقضي على آمالها[3]

فجهر وديع بصوته في كل حادثة وكان من أوائلها حفل لوضع حجر أساس الجامعة العبرية عام ١٩١٨ وهاله أن يرى مفتي القدس ومطرانها يشاركان في وضع حجر الأساس فقال معنفاً:

أفتني بالله بالكعبة بما لحجر الأسود بالركن الأغرْ

---

(١) السابق ص ٢٠٠.
(٢) الشاعر سليم اليعقوبي: يلقب «حسان فلسطين» ولد بفلسطين في اللد عام ١٨٨٠ درس العلوم الشرعية شغل منصب مفتي يافا عام ١٩٢٢ وقد كانت فلسطين شغله الشاغل توفي عام ١٩٤٦م بمكة المكرمة عندما كان يؤدي العمرة.
(٣) د. عبد الرحمن الكيلاني ـ الشعر الفلسطيني في شعر فلسطين ـ ص ٧١ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

إن علتْ في عزِّها شامخة فوق رأس الطور تلهو بالعبرْ
وغدت جامعةً عبريةً ونهى الحاخام فيها وأمرْ
أيقول الشيخ والقس اتئد إن للمطران والمفتي حجر. ؟؟

لذلك يعتبر وديع البستاني لبناني المولد فلسطيني الجنسية من أوائل الشعراء الذين كتبوا في قضية فلسطين وما كتبه الشاعر مصطفى الغلاييني[1] في آذار عام ١٩٢٤ منددا بوعد بلفور وسيأتي ذكر قصيدته فيما بعد التي منها:

هذي فلسطينُ عهدُ السوءِ بلفرها حتى ادعاها غريب الدار والنسب

أما بالنسبة للشعراء الآخرين في لبنان فقد كان أوائل شعرهم بعد ثورة ١٩٣٦ ومنهم بشارة الخوري الذي قال[2]:

يا فلسطينُ التي كُدنا لما كابدتُه من أسى ننسى أسانا
نحنُ يا أختُ على العهد الذي قد رضعناهُ من المهد كلانا
يثربٌ والقدسُ منذ احتلما كعبتانا وهوى العُرب هوانا
شرفٌ للموت أن نطعمه أنفساً جبارة تأبى الهوانا[3]

(١) الشاعر مصطفى الغلاييني ولد في بيروت عام ١٨٨٥ تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر. . رافق الحملة التركية لاسترجاع مصر في بداية الحرب العالمية الأولى وكان خطيبها. . سجن عدة مرات لمواقفه من المستعمرين له ديوان باسمه وله عدة مؤلفات. .

(٣) الشاعر بشارة الخوري: ولد عام ١٨٩٢ في بيروت سمي (الأخطل الصغير) عمل في الصحافة عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٣٢ بويع بامارة الشعر العربي عام ١٩٦١. له ديوان (الهدى والشباب) و (شعر الأخطل الصغير) ـ توفي عام ١٩٦٨.

(٢) كامل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص: ٢٦٣ ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٦٣.

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء العراق:

وفي العراق كان النضج السياسي مبكراً وكان الفكر في الأذهان واضحاً جداً حول قضية فلسطين فإذا استثنينا الرصافي الذي مدح هربرت صموئيل كما ألمحنا آنفاً نجد أن الزهاوي رغم شهرته بالتودد للإنكليز يكتب منددأ بوعد بلفور وإذا كنا لم نعثر على تاريخ لهذه القصيدة فإن سياقها يدل على أنها قيلت في العشرينيات، وإذا انتقلنا الى شعراء النجف نجد أن أقدم نص شعري يذكر قضية فلسطين يعود لعام ١٩٢٨ للشاعر صالح[١] الجعفري المولود عام ١٩٠٧م كما يقول صاحب كتاب (فلسطين في الشعر النجفي المعاصر) وإن كنا نشك في صحة ذلك لأن سياق القصيدة لا يؤكد ما ذكر ففيها البيتان التاليان:

تلكَ أحرارهمُ في ساحة الحرب لم يلتحفوا إلَّا الغبارا
تلك أطفالهمُ قد نَسِيتْ كسرة الخبز خماصاً وجِرَارا

فالحالة في فلسطين عام ١٩٢٨ لم تصل الى هذه الدرجة من المعاناة بل لقد قلنا في المعرض التاريخي للقضية أن هذا العام ـ ١٩٢٨ ـ كان من أعوام الهدوء وأن الوصف في هذه القصيدة يصدق على عام ١٩٣٦م...

ثم لننتقل الى شاعر آخر هو محمد[٢] باقر الشبيبي الذي ذكر فلسطين في قصيدة له عام ١٩٢٩م وعلى العموم فقد كان للشعر في العراق سبق نسبي في إبراز قضية فلسطين المبكر إذا ما ذكرنا عبد المحسن الكاظمي..

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء السودان:

أما الشعر السوداني فقد ورد عند شعرائه ما يؤكد أنَّهم يعلمون ما يدور في فلسطين منذ وقت مبكر إلَّا أنهم لم يسخروا هذه المعرفة لإبراز القضية

(١) الشاعر صالح الجعفري ولد بالنجف ـ العراق ـ عام ١٩٠٧.
(٢) الشاعر محمد باقر الشبيبي ـ سياسي جريء وشاعر من شعراء الثورة العراقية ولد في النجف عام ١٨٨٩ ـ عمل مفتشاً للغة العربية ـ أصدر جريدة الذات توفي عام ١٩٦٠.

الفلسطينية والتعريف بها بل كانت معرفته ممهدة له لمدح ابن الإستعمار البريطاني البار اللنبي وقد مر معنا ذكر القصيدتين اللتين قيلتا عام ١٩٢٢م..

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء اليمن:

وأما الشعر اليمني فقد لحق بالركب متأخراً نوعاً ما ولم تُثَرْ قريحة الشعراء إلاَّ بعد عام ١٩٣٦ فقد كتب شاعر اليمن محمد محمود[١] الزبيري قصيدة عن المؤتمر الذي عقد عام ١٩٣٩ وحضرته وفود عربية منها اليمن...

بروز الشعر الفلسطيني عند شعراء المغرب العربي:

وفي المغرب كتب الشاعر الجزائري محمد العيد[٢] خليفة أول قصيدة عن فلسطين عام ١٩٣٧ بعد أن تناهى اليه نبأ الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦...

وعلى كل حال فقد زال شيء من التعتيم عن قضية فلسطين ما بعد الحدث الكبير وهو الثورة الكبرى عام ١٩٣٦ التي حركت مشاعر الشعراء وأقلام الكتاب فقد كانت على ما يبدو مسترخية في سبات عميق مشلولة اليد ترى ما يحدث ولكنها لا تستطيع الكتابة الى أن حركتها قسراً عمق الصدمة عام ١٩٣٦ فهبت من رقادها تنفض الغبار لترى أن المأساة قد امتدت وقطعت شوطاً بعيداً في طريق ابتلاع فلسطين وحاولت أن تدرك الزمن لتصلح ما فات لكن كان العلاج لا يجدي مع اليهود المكرة وكان الفكر الذي طرحوه أضعف من أن يواجه أحقاد اليهود فازداد عمق المأساة...

---

(١) الشاعر محمد محمود الزبيري: ولد في صنعاء باليمن عام ١٩١٠م ـ التحق بدار العلوم بمصر عمل في الصحافة ولما اندلعت ثورة أحرار اليمن عام ١٩٤٨ أسند إليه منصب وزير المعارف رحل إلى الباكستان هرباً ثم عاد إلى اليمن له عدة دواوين منها:
(صلاة في الجحيم) اغتيل في اليمن عام ١٩٦٥.

(٢) الشاعر محمد العيد خليفة ولد في مدينة البيضاء في الجزائر عام ١٩٠٤م درس وتعلم على عدد من الشيوخ رحل إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة عمل مدرساً في الجزائر سجن من قبل الفرنسيين له ديوان شعر طبعته الشركة الوطنية للتوزيع. توفي عام ١٩٧٩م..

بروز شعر القضية الفلسطينية عند شعراء فلسطين:

أما الشعراء الفلسطينيون فقد كانوا الطليعة التي كتبت وعانت ولمست وشاهدت ما يدبره المحتل من كيد للعرب وتقريب وتمكين لليهود.. على الرغم من أنهم قد تأخروا أيضاً عن وضع أيديهم على الحلقات الأولى للقضية وإلاّ لأحدثوا توعية مبكرة تحبط مساعي بريطانيا.. لكن أين هم من مساومة اليهود لعبد الحميد ومساومتهم لبريطانيا ومعرفة مؤتمرهم الذي عقد في بال والذي اتفق فيه اليهود على اغتصاب فلسطين وأمر هذا من اختصاص الطبقة التي عاصرت تلك الأحداث، ويتساءل المرء عن عدد من الشعراء المتقدمين الذين اشتهروا بجيد الشعر أين صرف هؤلاء الشعراء شعرهم.. في المديح. .في الوصف.. في الإخوانيات.. أين القضية؟.. قضية بلدكم الذي تسكنونه فلسطين.

ولا عتب إذا لم نجد عند شوقي وحافظ وغيرهما من الأقطار العربية الاهتمام الكافي فها هم شعراء فلسطين المتماثلون سناً معهما لم يكتبوا شيئاً أيضاً أمثال يوسف النبهاني[1] المتوفي سنة ١٩٣٢ وسعيد الكرمي[2] المتوفي سنة ١٩٣٥ والريماوي[3] المتوفي سنة ١٩١٩.. فهل كان من الواجب أن يوقفوا شعرهم على غير هذه القضية أم أن إحساسهم بالخطر كان مفقوداً..؟ علماً بأن الخطر في ذلك الوقت لم يخف على كل ذي عينين.. أم إنهم استبعدوا حصول الفاجعة الأليمة فيما بعد واعتبروا احتلال فلسطين من قبل بريطانيا كأي احتلال أجنبي لقطر من الأقطار العربية المجاورة... حتى وإن كان مشابهاً فأين شعرهم ضد

---

(١) الشاعر يوسف النبهاني: أديب صوفي من القضاة ولد بقرية أجزم شمالي فلسطين عام ١٨٤٩ وله المجموعة النبهانية في المدائح النبوية وعارض قصيدة بانت سعاد توفي عام ١٩٣٢م.

(٢) الشاعر سعيد الكرمي: قاضي قضاة امارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين.. حكم عليه جمال السفاح بالموت ثم خفض إلى السجن المؤبد بقي مسجوناً في دمشق حتى زوال الحكم التركي العثماني توفي عام ١٩٣٥.

(٣) الشاعر علي الريماوي: ولد في القدس بفلسطين عام ١٨٦٠وتوفي عام ١٩١٩درس في الأزهر ثم عمل في تدريس الفقه واللغة العربية اشتغل في الصحافة في جريدة (القدس الشريف) وجريدة (النجاح) والريماوي نسبة الى (بيت ريمة) قرية في فلسطين..

الإحتلال كما فعل غيرهم من شعراء الأقطار المجاورة؟ ربما لأنهم أحبوا العزلة أو أنهم كانوا لا يعيشون عصرهم..!

ويرجع أقدم نص شعري فلسطيني عن قضية فلسطين الى عام ١٩١٠ لإسعاف النشاشيبي الذي أحس بالخطر وعنفه منذ هذا الوقت المبكر فقال[١]:

يا فتاةَ الحيِّ جودي بالدِّماءْ ... بدلَ الدَّمـع إذا رمتِ البكاءْ
فلقـد ولتْ فلسـطينُ ولـمْ ... يبقَ يا أُختَ العلا غيرُ ذماء[٢]
إنَّهـا أوطـانكم فـاستيقـظوا ... لا تبيعُـوها لقـومٍ دخلاء[٣]

ثم توالى بعد هذا الشاعر عدد من الشعراء الذين تنبَّهوا للخطر أمثال سليم اليعقوبي ووديع البستاني ثم أتى بعدهم إبراهيم طوقان وحمل عبء الكفاح بالشعر منذ عام ١٩٢٨ وبعدها كثر الشعراء ونشطوا لتغطية الأحداث وتوجيه الجماهير ضد الخطر..

إستعراض أهم الأحداث لما قبل النكبة في الشعر:

بعد الذي قدمنا من بروز الشعر في قضية فلسطين رأينا أن نستعرض أهم الأحداث الفلسطينية التاريخية وبروزها في الشعر العربي المعاصر لنتبين فيما إذا كانت وظيفة الشعر الإعلامية قد أدت دورها في إبراز هذه الأحداث ضمن توعية هادفة أم أنها تقاعست وساهمت في التعتيم الإعلامي ومن ثم السقوط والنكبة...

لقد كان من أبرز الأحداث في فلسطين، وعد بلفور عام ١٩١٧ وصك الإنتداب الذي ابتلي به أكثر من قطر وتراجع ولسن رئيس الولايات المتحدة عن

---

(١) الشاعر محمد اسعاف النشاشيبي: ولد في بيت المقدس عام ١٨٨٥م ترك الشعر ومال إلى الأدب عمل في الصحافة أقام في القاهرة إلى أن توفي فيها عام ١٩٤٧م.

(٢) ذماء: بقية الروح في المذبوح.

(٣) د. عبد الرحمن الكيلاني ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص: ٧٠ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

مبادئه ثم ثورات فلسطين المتعاقبة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦ . والكتاب الأبيض والهجرة اليهودية وظهور عدد من الأبطال واستشهادهم ثم مشكلة بيع الأراضي لليهود. . الخ.

أما عن وعد بلفور فقد كتب عنه الشعراء كثيراً من الشعر ونددوا به لكن هذه القصائد لم تكن قد كتبت ونشرت يوم ظهوره بل كانت كلها متأخرة تقال في ذكراه المشؤومة من كل عام. . ولو كان الهجوم عليه مركزاً وعنيفاً في آن واحد من جميع الشعراء والكتاب مع المساعي السياسية والثورات لأسقط الوعد ومات في المهد يوم ولد. . كما حدث للكتاب الأبيض الذي أسقطه اليهود.

فقد كتب الزهاوي قصيدة عنوانها فلسطين جاء فيها ذكر وعد بلفور فقال:

الغـربُ مستَلَبٌ والشرقُ مهتضمٌ والغـربُ منتبهٌ والشـرقُ وسنانُ
وكل شعبٍ على الأوعادِ معتمد فَخطَّةُ في عراك الدهر خُذلان
لا تظلموا عـربياً في مـواطنه فـإنّـه مثلكُم يـا قـومُ إنسـان
سبعونَ مليونَ ممن جـدُّهم عرب عليكَ في الشرق يا بلفورُ غضبان
الى الضمير ارجعوا في كل غامضة فـإنـه وحـده لـلحق مـيـزان[1]

وفي هذه القصيدة مناداة الغرب ليرجعوا الى الضمير فهو لا يريد أن يشن عليهم حرباً ولا يريد أن يعنفهم بل يتركهم لضميرهم. . !

وكتب مصطفى الغلاييني عام ١٩٢٤ فقال:

هذي فلسطينُ عهدُ السوءِ بلفـرُها حتى ادعاها غريبُ الدارِ والنسبِ
فصـارَ فيهـا غـريبـاً ربُّ عصمتهـا ومَنْ له في حماها وافرُ النَّشَبِ[2]

---

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ ص: ٤٠ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٦٩.

(٢) أحمد قبش ـ تاريخ الشعر العربي الحديث ص ١١٩ بلا مطبعة ١٩٧١.

وذاك لبنانُ يشكو جورَ مغتصبٍ قاسي الخلائق حتى ضجَّ من لغب
إنَّ الحمى قُطِعتْ أوصالُ وحدته ما يقذف «السانُ» و«التاميز» من حربِ

قال الرصافي عام ١٩٢٥م يكتب حول وعد بلفور بمناسبة قدومه لفلسطين ويعالج القضية معالجة سطحية لا تنم عن نفاذ فكري كأنه يعاتب بلفور معاتبة رقيقة:

وعدٌ ولا هو كالوعودِ خَدَعوا به أممَ اليهودِ
أمٌ تُنَوِّم طفلها والطفلُ يُخْدَعُ بالنشيدِ
كالمغرم المفتونِ يقنع بالتعلل بالوعودِ
والحَلُّ في شرع السياسةِ ليس بالأمر الجديدِ
مهلاً بني التاميز بالأعـ ـراب والأمل الوطيدِ
لا تعبثوا بالله بالودِ القديم وبالعهودِ
أوَ تؤثرونَ على العروبةِ ودَّ ناعمةِ الخدودِ
أولم تساعدْكم على الأتراكِ والخصمِ اللدودِ
لولا تعشقنا بكم لبقيتمُ خلف الحدودِ
ولما دخلتم أرضنا بالإنجليز وبالهنودِ[1]

وقال محمد باقر الشبيبي عام ١٩٢٩ يعنف بريطانيا لوعدها:

بلفورُ حقق ما أراد لقومه وَفَّى ورافقَ وعدَهُ التأييدُ
وتهودتْ تلك البقاعُ وأصبحتْ وطناً عليه الحاكمونَ يهودُ
أرأيتَ ما صنع الزمانُ بشملنا وعلمتَ كيف أصابَهُ التبديدُ

(١) كامل السوافيري ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ص ٧٥ ـ مطبعة الأنجلو ـ ١٩٧٣.

الفـاتحـونَ قضـوا بـأنَّ بـلادنـا شتى لينتفعـوا بهـا ويسـودوا[1]

وقال إبراهيم الدباغ في أواخر العشرينيات يبين خطر وعد بلفور:

وقـال بـالـوطنِ القـومي مُخْتَبَـلٌ يبغي لهم رغمَ أنفِ الدهر سلطانا
وعـدٌ يبيحُ لهم حقًّـا ويغصِبُنـا حـقـاً ويسلبُنَـا عـزًّا وسـلطانـا
تكـادُ تـوراةُ مـوسى وهي زاحفـةٌ تُجْلي عن الأرض إنجيلاً وقرآنا[2]

وقال إبراهيم طوقان بأسلوب تهكمي للغاصب المحتل:

قـدْ شهـدنـا لعهـدِكم بـالعـدالـة وَخَتَمْنَـا لجنـدِكم بـالبسـالـة
وعرفنـاكُـمُ صـديـقـاً وَفـيًّـا كيفَ ننسى انتـدابَـهُ واحتـلالـه
وخجلنـا من لـطفكم يـوم قلتمْ وعـدُ بلفـورَ نـافـذٌ لا محـالـة
ولئـن سـاءَ حـالُـنـا فكـفـانـا أَنَّكمْ عنـدنـا بـأحسنِ حـالـة
أجـلاءُ عـنِ البـلاد تـريـدونَ؟ فـنجـلوا أَمْ محـقَـنَـا والإزالـة[3]

وقال طوقان أيضاً:

يـا سـراة البـلاد يكفي البلادا مـا أذابَ القـلوبَ والأكبـادا
وعـد بلفـورِ دكَّـهـا فـلمـاذا تجعلون الأنقـاض منهـا رمـادا
مـا الـذي تفعلون والجـو مـربَّـد وهـذي الأعـداء تقضي المـرادا
أفـرغـتم مـن كـل أمـر سـويٰ المجلس يحتـاج همـة وجهـادا
وطـنٌ بـائس يُـبـاع وأنـتـم لا تـزالـون تخـدعـون "عبادا[4]

وقال مصطفى وهبي التل (عرار) ينذر المسلمين من وعد بلفور[5]:

---

(١) عبد الرزاق الهلالي ـ دراسات وتراجم عراقية ص ٦٠.
(٢) ابراهيم الدباغ ـ الطليعة.
(٣) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ـ ص ٧٦ ـ دار الشرق الجديد ـ بيروت ـ ١٩٥٥.
(٤) ديوان ابراهيم ـ د. إحسان عباس ـ دار القدس ـ ١٩٧٥.
(٥) الشاعر مصطفى وهبي التل: الملقب (عرار) ولد في أربد ـ بالأردن عام ١٨٩٧م ولقب بشاعر =

يـا ربِّ إنْ بلفـور أنفـذَ وعـدَهُ كم مسـلم يبقى وكم نصـراني
وكيانُ مسجدِ قـريتي من ذا الذي يُـبقـي عليـه إذا أُزيـلَ كـيـاني
وكنيسـةُ العـذراءِ أين مكـانُـهـا سيكونُ إنْ بُعثَ اليهودُ مكـاني[1]

وقد نبَّه وديع البستاني الى خطر الوطن القومي منذ أن دخل سراي الحكومة عام ١٩١٧ ووجد لوحة على باب غرفة كتب عليها (الجمعية اليهودية) فقال:

أرى هـوة تـزدادُ عمقـاً سحيقـةً على عُدوةٍ أنتم ونحنُ على الأخرى
أرى الـوطنَ القـوميَ يعلو بنـاؤُه أرى غرفةً في القصر تحجبه قصرا[2]

وقال الشاعر أحمد محرم عام ١٩٣٨ في ذكرى وعد بلفور:

بلفـورُ بئسَ الوعـدُ وعدَك لـلألى جعلوكَ لـلأملِ المخيَّب سلمـا
خـدعـوكَ حين أطعتَهم وخـدعتَهمْ إذ طـاوعـوكَ وتلكَ منـزلـةُ العمى
لسنـا ولاةَ الحق إنْ لم تنـدمـوا وَلأَنْتَ أولى أن تتـوبَ وتنـدمـا
تلك الإسـاءة مـا استقـل بمثلهـا في الدهر قبلك مَنْ أساء وأجرمـا

وقال الجواهري[3] عام ١٩٤٧ وهو يائس من حال فلسطين وضع الملامة على[4] وعد بلفور فقال:

يـا نـادبينَ فلسـطينـاً وعنـدهمُ علمٌ بـأنَّ القضاءَ الحتمَ قـد وقعا

---

* الأردن وهو جريء وصريح في شعره له مداعبات مع الشيخ الشنقيطي.. تارة يظهر تدينه وتارة يظهر مجونه توفي عام ١٩٤٩.

(١) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ـ ص ١٣٣ ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية.

(٢) السابق ص ٩٩.

(٣) الشاعر محمد مهدي الجواهري ولد في النجف عام ١٩٠٠ وله شهرة واسعة بالشعر وهو جريء عالج القضايا الوطنية. له ديوان باسمه هاجر مختاراً إلى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا لميوله اليسارية..

(٤) كامل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٢٤٢ ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٦٣.

جيلٌ تصرَّم مذ أبدى نواجذَهُ وعدٌ لبلفورَ في تهويدِها قطعا
كفا بما فات مما سُمِّيتْ أملاً من الحلولِ التي كيلتْ لكم خِدعا[1]

وقال عام ١٩٤٦:

وتصريحٌ يمططهُ قوي كلوحِ الطين إذ يدحوه داحِ
لنا حقٌ يُرجى بالتماسِ وباطلُهُم ينفذُ بالسلاحِ[2]

ويقول برهان الدين العبوشي في مسرحيته الشعرية (وطن الشهيد) على لسان اليهود الذين يعترفون بفضل بلفور عليهم:

ألاَ أبلغوا بلفور عنَّا تحيةً وما غيرُ بلفور يجودُ و يسمح
عسانا بهذا الوعدِ نصبحُ دولةً لها في الورى حكمٌ وجيش مسلح[3]

ومن الملاحظ أنَّ الإهتمام بهذا الحدث أي وعد بلفور كان كبيراً بحيث ذكره كل شاعر تقريباً وقد يكرره الشاعر أكثر من مرة في مناسبة ذكراه المشؤومة. وهذا الإهتمام دليل معرفة على أن الوعد هو مصدر الشقاء الفلسطيني..

أما الإنتداب فقد حظي بقسط لا بأس به في الشعر لكنه زال بزواله. فقال إبراهيم الدباغ يعيب على عصبة الأمم هذه البدعة الجديدة فما هي إلا اغتصاب باسم جديد منمق:

ما الإنتدابُ..؟ أمَرْمَاهُ وغايتُهُ إذلالُ حرٍ أبيٍ باسم غيرِ أبي
أم الإنتدابُ يرادُ الإغتصابُ به معنى وأحرفه في ذمةِ العرب

---

(١) محمد حسين الصغير ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ـ ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨ ص ـ ١١٢ ـ دار الصادق ـ ١٩٦٨.

(٢) السابق ص ٦٥.

(٣) د. عبد الرحمن الكيلاني ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٧٤ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

لما انْتُدبتمْ حسبنا خيرَ منتدبٍ ... موفق وابتلينا شرَ منتدَبِ
العدل شعرٌ خيالي حقيقتُه ... في ذمة الظلم والتدليس والكذب[1]

وقال محمد مهدي البصير يرد على الإنكليز مزاعم الإنتداب:

أنا حرٌ لولا حكومةُ سحرٍ ... جهزت لي بالأعين النُجلِ حملة
زَعَمتْ أنَّها سلامٌ ونورٌ ... بيدَ أنِّي وجدتُ ناراً مطلة
طلبْت أنْ أموتَ فيها لأحيا ... وادعتْ لي هدىً فألفيتُ ضلة
لم تحرّمْ دمي لتحميْهِ لكنْ ... خبأتْه لها لكي تستحله
كنتُ أهلاً لِمَا جنته فإنِّي ... رمتُ منها الوفاءَ ولم تكُ أهله[2]

والتفت الشعراء أيضاً إلى مهاجمة الإنتداب والتنديد بعصبة الأمم وكذلك بالرئيس ولسن الذي أعلن أنه سيلتزم بمناصرة الشعوب المظلومة وبحقها في تقرير مصيرها.. لكنه عاد فحنث بوعده وسار في ركاب المستعمرين.

وعن هذه الأمور كتب الشعراء، وكما ذكرنا من قبل كان البلاء عاماً بالإنتداب في المنطقة التي خرج منها الأتراك.. فقال محمد باقر الشبيبي:

يا عصبةَ الأمم التي قد أوكلتُ ... أمرَ العراقِ إلى الذي يستعبدُ
ما كان عهدُك وهو عهدٌ جائرٌ ... إلا لمنفعةِ الذين تعهدوا
هتفوا لتحرير الشعوب ولم يكن ... لهُتافهمْ إلاَّ الصدى يتردد
يا ضيفُ أينَ غدت مبادىء ولسن ... قل لي؟ وأين مضى الرئيس المرشد
جَحَدوا مبادئه التي قد آمنتْ ... كلُ الشعوب بصدقها فليجحدوا
فنتيجةُ المستعمرين جميعُهُم ... في المشرقين تعسفٌ وتشدد[3]

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٩١.
(٢) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ جـ ١ ص ١٠٤ مطبعة أسعد بغداد ـ ١٩٦٩م.
(٣) عبد الرزاق الهلالي ـ دراسات وتراجم عراقية ص ٦٥ مكتبة النهضة ـ ١٩٧٢ بغداد.

وشنَّ الرصافي هجوماً عنيفاً على ولسن لأنَّه خدع الشعوب بمبادئه التي أعلنها وقد ذكر السبب في عدم تنفيذها فقال:

قال قولاً به استحقَ احتراماً ... وتعداهُ فاستحق ملاما
معرباً عن مبادئَ محكماتٍ ... ساميات تحررُ الأقواما
قال حريةُ الأنام هي الغا ... ية لي في الوغى فغرَّ الأناما
فاشرأب الورى إليه وظنوا ... أنَّهم سوف يَبْلغون المَرَاما
شام منه الورى بوارق غيمٍ ... من وراء البحر المحيط ترامى
ثم خابت ظنونُهم فيه لما ... مرَّ في الجو خلَّباً وجهاما
فهل الحقُّ عنده سوى الغر ... بِ حقيرٌ أقلُّ من أن يُحمى
أم هل الشرقُ وحدهُ في الأقا ... ليم مباحٌ أن يُستبى ويضاما
أم هل القومُ عاهدوا الله في أن ... لا يراعوا للمسلمين ذماما
رحم الله أمةً أصبحَ الغر ... ب يَرى كلَّ ذنبها الإسلاما[1]

كما أنَّه عاتب «محب الشرق» المستر كراين وهو أحد أعضاء اللجنة التي سافرت إلى فلسطين وقدمت تقريرها بشأن رغبة الشعب ومطالبه فقال:

جئتَ يا مستر كراين ... فانظر الشرقَ وعاينْ
أينَ ما قد قاله ولـ ... ـسنُ يا مستر كراينْ
أفهذا يا محبَّ الشر ... قِ أفعالُ المهادنْ

وهاجم محمد الهاشمي[2] وعد ولسن ودعواه الخادعة فقال:

وليس دعواك تحريرَ الشعوب سوى ... خديعةٍ وعليها كنتَ متهَما

---

(١) مصطفى السقا ـ ديوان الرصافي ـ ص ٢٢٥ ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ ١٩٤٩ ـ الطبعة الثالثة.

(٢) الشاعر محمد الهاشمي: ولد في بغداد عام ١٨٩٨ والده فقيه شافعي طلب العلم في الجامع الأزهر له ديوان (المثاني) وله تحقيقات كثيرة..

إنَّ الـمـروءَة أقـوالٌ مـلفـقـةٌ إنَّ العـدالـة شيءٌ يشبـه العـدمـا
دعوى الحقوقِ وإنْ نادت بها أُممٌ دعـوى يَنَـالُ بهـا الـظلام مغتنمـا
زعمتَ أنَّـك تحميهم وتُنْـقِـذُهم من الهـوانِ وقد لقَّنتهم حكمـا[1]

ويندد عبد الكريم الكرمي بالعصبة وما جلبته من شقاء لشعوبنا بينما استطاعت أن تمنع الظلم في شعوب الغرب فقال:

بـيـنـهم عـصبـةُ الأراقـمِ تسـعـى كـلمـا غـابَ أرقـمٌ جـاء أرقـمْ
حَرَّمـوا الـظلم بينهم واستراحـوا ولـديـنـا يـحـللون الـمـحـرمْ
ثم قـالـوا: بيـعُ العبيـدِ حـرامٌ إنَّ بيـعَ الأحـرارِ أنكى وأظلمْ[2]

وهاجم الإنتداب الذي خدعوا به الشعوب حينما قالوا عنه هو من أجل تثقيفها ريثما تستطيع أن تحكم نفسها فقال:

أختَ صـلاحِ الـدينِ عشتِ حـرةً تـأبى لـك العليـاءُ أن تَهَـوَّدي
دعي عصـابـةَ اللصـوصِ جـانبـاً واعتمـدي على بنيـك اعتمـدي
خلي انتـداب القـوم أو إرشـادهم فـالثورة الحمـراء خيـرُ مـرشـدِ[3]

الدعوة للجهاد:

ولما أحس الشعراء بعظم المصاب من جراء الإنتداب وكذب ادعاءات ولسن بتحرير الشعوب وشاهدوا المحتل يبذل جهده لإذلالهم ويعمل على جعل

---

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين جـ ١ ص ١٣٧ ـ مطبعة أسعد بغداد ـ ١٩٦٩.

(٢) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ١٤١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٥.

(٣) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ص ٢٧ ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٨.

فلسطين وطناً قومياً لليهود هبُّوا من رقادهم ينادون للجهاد من كل قطر فقال خليل مردم في حفل حاشد:

ارى الحجارةَ أحمى من أنوفكمُ ... كم أرسلتْ شرراً بالقدح أحجارُ
إخوانكم في فلسطينٍ تنالهمُ ... بالسوءِ والعسف أنيابٌ وأظفارُ
مهدُ المسيحِ ومعراجُ النبي وأُو ... لى القبلتين بها لم يأمَنِ الجارُ
كم بيع حرٌ بها بَغْياً وكم هُتِكَتْ ... من حرمةِ الحرمِ القدسيّ أستار
أينَ السوابقُ للجلى إذا نزلتْ ... إنَّ الحوازبَ والأحداثَ مضمار [1]

وقال الجواهري يعيب على الأمة القعود ويذكّر بما حدث لأندلس من قبل:

يا أمَّةً غرَّها الإقبالُ ناسيةً ... أنَّ الزمان طوى من قبلها أمما
سيُلحقونَ فلسطيناً بأندلسٍ ... ويعطفون عليها البيتَ والحرما
ويسلبونك بغداداً وجلَّقهُ ... ويتركونك لا لحماً ولا وضما
لا تطلبي من يدِ الجبار مرحمةً ... ضعي على هامةِ جبارةٍ قَدَماً
بالمدفع استشهدي إنْ كنتِ ناطقةً ... أورمتِ أن تسمعي من يشتكي الصمما [2]

ويُهدئُ الشاعر من روع فلسطين ويَعدُها بأنَّ وراءها قوماً لهم قوة فيقول:

ودومي فلسطينٌ يحوطُكِ مَنْعَة ... حماةٌ من العرب الكرام كماةُ
رأوا ليس تُجْدي الاحتجاجاتُ رحمةً ... وما لسوى صوتِ الحديدِ دعاةُ
وأبلَغُ من ألفي كتابٍ وخطبةٍ ... إذا احمرَّ بأسٌ صارمٌ وقناةُ
أبوا أن يُقيموا في الدِّيار أذلةً ... وتسمو على أعلامها نكرات

---

(١) قدم له جميل صليبا ـ ديوان خليل مردم ص ١٣٦ ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ أشرف عليه ولده عدنان ـ بلا تاريخ.

(٢) محمد حسين الصغير ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ـ ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨ ص ١٢٤ ـ مطبعة دار الصادق ـ ١٩٦٨.

وُتغْتَصب الأرضُ المقدسة التي يَقِلُّ لها أن تُبذَل المُهَجَات[1]

ويقول محمد علي اليعقوبي[2] يصف الحالة في فلسطين وينادي بالعمل لإنقاذها:

هذي فلسطينُ العزيزةُ تستضامُ وتستذل
نهبُ القنابل والقذائفِ والقواضبِ والأسل
تسع اليهودَ وأهلَها سُدَّت بأوجهها السبل
والداء فتَّاك إذا لم تقطعوا العضو الأشل
خيرُ الرجال مغامرٌ إن قالَ قولته فعل
ماذا أفاد الإحتجاجُ على الطغاة وما فعل
لا خير في الأقوال إنْ هي ليسَ تُقْرن بالعمل[3]

وقال أحمد الموسوي[4] يستحث الأقطار العربية على نجدة فلسطين:

يا لقحطانُ أينَ تلك الحمية أين آثارُ روحنا العربية
أينَ عُرْبُ الحجازِ أينَ العراقُ الحرُّ أينَ الشهامةُ السورية
فَمِنَ المبكياتِ أنَّا بحالٍ نتشكّى الزعانفَ العبرية
إنَّ شكوى الأُباةِ للسيفِ أولى من شَكَاةٍ منظومةٍ صحفية
أمرُنا بينَ أنْ نكونَ ملوكاً مثلُنا أمسِ أو نكونَ رعية
إن شعباً لا يحرس المجدَ مقبورٌ وإنْ كان يحسب النفس حية[5]

---

(١) السابق ص ١٢٥.

(٢) الشاعر محمد علي اليعقوبي ـ ولد بالنجف عام ١٨٩٥ له قصائد كثيرة في فلسطين ـ ساهم في المسيرات والحشود من أجل فلسطين وألقى شعراً توفي عام ١٩٦٨.

(٣) السابق ص ٢١٤.

(٤) أحمد الموسوي ولد بالنجف عام ١٩٠٧ وهو عالم ديني وشاعر يعمل مرشداً دينياً.

(٥) السابق ص ٢٧٨.

ويقول عمار سميسم[1] داعياً الى إنقاذها:

هـذي فلسطين تـدعونـا وتُنشـدنـا ... السيفُ أصـدقُ أنبـاء من الكتبِ
هذي فلسطينُ أولى القبلتين وقـد ... نالتْ مِنَ الوحي حقاً أرفعَ الرتبِ
هبُّـوا لإنقـاذهـا من عصبـةٍ نـزلت ... رغماً على أهلِها في جَوِّها الرَحبِ
وَلْيَشهدوا منكُم غَلْباً كمـا شَهِدتْ ... من قبلهم أممُ التَّاريـخ بـالغَلَبِ
فالفصل بالسيف ضربـاً للعدو بـه ... نجاحُكمْ ليسَ بالاضراب والصَّخَبِ[2]

وصور علي أحمد باكثير[3] الحياة في فلسطين لكي يستنهض العرب لإنقاذها فقال:

بني يَعْـربٍ ماذا دهـاكم أجيبـوني ... أَلَمْ تشهـدوا أشـلاءَكمْ بفلسـطينِ
تُراق على الأرض الحرام دماؤُكم ... لإرضـاءِ منبـوذِ الخـلائقِ مـأفـونِ
كـرامتكم فيهـا تُـداس وشعبُكمْ ... يُسـام الرزايـا باضـطهادٍ أفـانين[4]

الشعر يدخل المعارك مع الثوار ويمجد الشهداء:

واشتعلت الثورات في فلسطين فمنذ حوادث ١٩٢١ وما بعدها شهدت البلاد تصعيد المقاومة ضد المحتل والصهيونيين وكانت ثورة ١٩٢٩ الدامية وقد قمعها الإنكليز بوحشية كما أصروا على إعدام ثلاثة من زعمائها الأبطال فحرَّك هذا العمل نقمة الشعراء فقال إبراهيم طوقان يصف إعدام الثلاثة الأبطال:

---

(١) عمار سميسم ولد بالنجف عام ١٩١٠ استاذ وشاعر عمل مدة من الزمن قاضياً وامتهن المحاماة. .

(٢) السابق ص ٢٨٥ .

(٣) علي أحمد باكثير ولد في أندونيسيا ـ سورابايا ـ من أبوين عربيين عام ١٩١٠ ـ أرسل إلى حضرموت ينشأ في وطن آبائه تلقى العلوم الدينية والعربية وتعلق بالشعر درس اللغة الانجليزية بمصر ثم عمل بالتدريس ورحل إلى بلدان كثيرة له مسرحيات شعرية ومسرحية (شيلوك) تنبأ فيها بقيام اسرائيل توفي عام ١٩٦٩ في القاهرة.

(٤) كامل السوافيري الشعر العربي المعاصر في مأساة فلسطين ص ٢٨٢ ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٦٣ .

لمـا تعـرض نجمُـكَ المنحـوسُ ... وتـرنحت بعـرى الحبـال رؤوسُ
نـاح الأذان وأعـول النـاقـوسُ ... فـالليـل أكـدر والنهـار عبـوس
صَـفَـقَـتْ تـثـور عـواصـفُ ... . وعواطف
والـمـوت حـيـنـاً طـائـفٌ ... . أو خاطف
والمعول الأبديُ يُمـعنُ في الثرى ... ليـردهم في قلبـهـا المتحجـرِ
يـوم أطل على العصـور الخـالية ... ودعـا «أمرّ على الـورى أمثـاليـة»
فـأجابـه يـومُ أجـلْ أنـا راويـة ... لمحـاكم التفتيش تلك البـاغيـة[1]

وقال محي الدين[2] الحاج عيسى يصور عسف الإنكليز في هذه الثورة ويوم الثلاثاء الذي أعدم فيه هؤلاء الأبطال الثلاثة:

أنـحـيـبٌ أمْ نـشـيـدُ ... ورثـاءٌ أم قـصـيـدُ
إيـه يـا يـوم الـثـلاثـاء ... الـتـوت فـيـك الـكـبـودُ
فـتـيـة عِـزٌّ غـطاريـف ... بـحـبـل الـمـوت قـيـدوا
أنـفـوا أنْ يُـنـزِلَ الـضـيـمَ ... بـهـم طـاغٍ عـنـيـد
فـأثـاروهـا على الـطغيـانِ ... تـطغـى وتـبـيـد
ثـورةٌ قـد حـطّمت صهيـو ... ن فـارتـد يـكـيـد
رفـعـوا للمـوت أعـنـاقـاً ... أنَـاءَتْـهـا الـقـيـود
شـدَّهـا الـحـبـلُ فـكـان ... الـرزء إذ قُـدَّ الـوريـد
قـل لـمن في لـنـدن آوا ... هـمُ الـقـصـرُ الـمَـشـيـد
أبـهـذا حَـكَـم الـعـدلُ ... وهـل تـرضـى الـيـهـود
أم لـديكم بعـد قتـلِ النفـ ... ـسِ بـالجـور مـزيـدُ[3]

(١) ابراهيم عبد الفتاح ـ ديوان ابراهيم طوقان ص ١٤٦ ـ دار الشرق الجديد بيروت ـ ١٩٥٥.
(٢) الشاعر محي الدين الحاج عيسى ولد في مدينة صفد بفلسطين عام ١٩١٠م. ثم رحل مع النازحين إلى سورية وأقام فيها عمل في التدريس ويقول بأنه أضاع كثير من قصائده عند النزوح..
(٣) محي الدين الحاج عيسى ـ من فلسطين واليها ص ١٣ ـ دار الرواد حلب ـ ١٩٧٥م.

وامتدت الثورات بعد ذلك فقامت ثورة عام ١٩٣٣ وأصيب قائدها موسى كاظم الحسيني[١] بعدة كدمات في وجهه وجسمه مات على أثرها لكبر سنه فرثاه الشعراء فقال إبراهيم طوقان:

وجهُ القضيةِ مِنْ جهادِكَ مشرقُ ... وعلى جهادِك مِنْ وقارِكَ رونقُ
لله قلبُك في الكهولةِ إنَّه ... تَرَكُ الشبيبةَ في حياءٍ تَطْرقُ
تلك الثمانونَ التي وَفيّتَها ... في نظمها عذرٌ لمن لا يَلْحقُ
عمّرتها كالدوحِ ظاهرُ عوده ... صلبٌ وما ينفكُّ غضّاً يُورقُ
وَطَني أخافُ عليكَ قوماً أصبحوا ... يتساءلونَ من الزعيمُ الأليقُ[٢]

وقال فؤاد الخطيب[٣] بهذه المناسبة مذكراً بأعمال الحسيني وبالخطر اليهودي:

ألا فاذكروا يا أيُّها العُربُ شيخَكمْ ... فقد كانَ رُكناً في فلسطينَ أيّدا
وكانَ لكمْ موسى الذي تَعْهَدُونَهُ ... فَشَقَّ بكم بحرَ الحوادثِ مُزبدا
وأنقَذ مِنْ تيهِ الخُصومَة جمعَكم ... وكانَ لكم في وحشةِ التيه مُرشدا
وَجدتمْ لكم أرضاً بها تَدْفُنونَهُ ... فهلْ عندكم أرضٌ لأمواتِكم غدا[٤]

والى هذا التاريخ أي عام ١٩٣٤م كانت الإنتفاضات الفلسطينية عبارة عن

---

(١) موسى كاظم الحسيني وجيه من وجهاء فلسطين وقف ضد الاحتلال الانجليزي بصلابة وترأس اللجنة التنفيذية العربية التي تطالب بحقوق شعب فلسطين والجلاء ووقف الهجرة والاستيطان اليهودي خرج في مظاهرات القدس وهو يتقدم المتظاهرين في أواخر عام ١٩٣٣ رغم كبر سنه ولكن جنود الاحتلال الذين فرقوا المظاهرة ضربوه وركلوه فحمل إلى بيته متعباً ومغشياً عليه مات بسببها عام ١٩٣٤ وهو والد الشهيد المجاهد عبد القادر الحسيني.

(٢) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ص ١٦٣ ـ دار الشرق الجديد ـ بيروت ١٩٥٥.

(٣) الشاعر فؤاد الخطيب ـ شاعر الثورة العربية ولد ١٨٨٠ في قرية شحيم من أعمال جبل لبنان ـ عمل وزيراً للخارجية في الحجاز.
ثم إمارة شرق الأردن وبعدها عمل مع المملكة العربية السعودية حيث عين سفيراً لها في أفغانستان له ديوان كبير (ديوان الخطيب) توفي في أفغانستان عام ١٩٥٧م.

(٤) كامل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٢٦٩ ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٦٣.

احتجاجات ومظاهرات في الشوارع واشتباكات مع الشرطة.. لكن هذا العمل السلبي لم يرق[1] للشيخ عز الدين القسام فحمل السلاح مع أتباعه ضد السلطات البريطانية حتى استشهد وكان لاستشهاده دوي ووقع مؤثر في فلسطين وخارجها فقال محمد صادق عرنوس يشيد ببطولة القسام[2]:

مَنْ شاءَ فليأخذْ عن القسامِ ... أنموذَجَ الجندي في الإسلامِ
وَلْيَتَّخذهُ إذا أرادَ تخلصاً ... من ذلةِ الموروث خيرَ إمامِ
تركَ الكلامَ ورصفَهُ لهواتِهِ ... وبضاعَةُ الضعفاءِ محضُ كلامِ
لم يُلْهِهِ عَرَضُ الحياةِ وإن حلا ... كلا ولم يُشْغَفْ بنيلِ وسامِ[3]

وقال عبد الكريم الكرمي يشجع على السير في طريق القسام من خلال تصويره لأحوال البلاد في ظل الاستعمار:

هل تشهدونَ محاكمَ التفتيش ... في العصر الجديد
قوموا انظروا القسام ... يشرق نورُه فوق الصرود
قوموا اسمعوا من كلِّ نا ... حيةٍ يصيحُ دمُ الشهيد
قوموا انظروا الوطَنَ الذبيحَ ... من السوريدِ الى السوريد
يوحي الى الدنيا ومن ... فيها بأسرار الخلود
ما بين ملقى في السجونِ ... وبين منفيٍ شريد[4]

---

(١) الشيخ المجاهد عز الدين القسام: ولد في مدينة جبلة التابعة للاذقية سورية ـ ١٨٨٢ ونشأ في بيئة عربية اسلامية وحصل على تعليمه العالي من الأزهر عمل في بلده بالوعظ جاهد ضد الفرنسيين في سورية ثم غادرها ١٩٢١ إلى حيفا وعمل إماماً وخطيباً في جامع الاستقلال.
ورأس جمعية الشبان المسلمين أسس حلقات للمجاهدين عام ١٩٢٥ وجمع التبرعات لشراء السلاح وتدريب المجاهدين عليه وفي ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥ غادر مدينة حيفا إلى قضاء جنين وفي أحراج «يعبد» جرت معركة بين القسام والانجليز حشد لها الانجليز ما بين أربعمائة إلى ستمائة جندي بينما كان عدد رجال القسام لا يتجاوز أحد عشر رجلاً لأن بقية المجاهدين لم يكونوا قد تجمعوا بعد.. واستشهد القسام في هذه المعركة وكانت بداية الثورات المسلحة في فلسطين..

(٢) مصطفى صادق عرنوس..

(٣) السابق ص.

(٤) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ص ٢٣ ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٨.

وقال فؤاد الخطيب يمدح جهاد القسام وأنه قرن القول بالعمل:

أقسمتُ أنـكَ روضـةٌ وجنـانُ ... والـروحُ فيكَ يـرفُ والـريحـانُ
حَـرَمٌ على أطرافِ يعبُـدَ قـائمٌ ... في الطرفِ بارِكَ حولَه الرحمنُ
هَبَـطَتْهُ أطهـرُ عصبـةٍ لـو أنَّهـا ... سَبَقَتْ لـرتّـلَ مـدحَهَـا القـرانُ
إنَّ الـزعامَـةَ والـطريقُ مخـوفـةٌ ... غيـر الـزعـامـةِ والـطريقُ أمـانُ
أولتْ عِمَـامَتُـكَ العمـائِمَ كُلَّهـا ... شـرفاً تُقَصّـرُ عنـدهـا التيجـانُ
يا رهطَ عزِّ الدينِ حسبُكَ نعمةٌ ... في الخلدِ لا عَنَتٌ ولا أحزانُ[1]
عَرَفتْ فلسطينُ الشهيدَ ولم يكنْ ... لينـامَ عنـهُ ضميـرُهَـا اليقـظانُ
هبَّتْ تـودّعُ منـه أكـرَمَ راحـلٍ ... خسـيءَ التخـرصُ عنهُ والبهتـانُ
ما كنتُ أحسِبُ قبل شخصِك أمةً ... في بـردتيـهِ يضمُهـا إنسـانُ
إنْ يقضِ عزُ الدينِ فهو مُخَلّدٌ ... خَلَعَتْ عليـه شَبَابَهـا الـولـدانُ

وتابع المجاهدون طريق الجهاد عقب استشهاد قائدهم إلى أن كانت ثورة عام ١٩٣٦ فقد كانت ثورة مسلحة شعبية استمرت ستة أشهر وجاء متطوعون من البلدان العربية ليشاركوا فيها ضد الإنكليز وقد برز سعيد العاص[2] في هذه الثورة المسلحة ثم استشهد فكان لاستشهاده أثر في نفوس الشعراء فرثاه أحمد محرم فقال:

نُـظِمَ المجـدُ لأبـطالِ الحمى ... ونَـظَمتُ الشعـرَ نـاراً ودَمَـا
بـطلٌ أبصـرتُ مجـرى دَمِـه ... في جبينِ الشـرقِ لمـا وَجَمَـا
يـا لَـهُ من عبـقـريٍ مُلْهَـمٍ ... هـاجَ مني عبقـريـاً مُـلْهَمَـا

---

(١) فؤاد الخطيب ـ ديوان الخطيب ص ٤٠٧ ـ دار المعارف بمصر ١٩٥٩.

(٢) المجاهد سعيد العاص دخل فلسطين مع عدد من الجنود والقواد عام ١٩٣٦ وهو ضابط من مواليد حماة سورية قاد معارك حلحول الكبرى في ١٩٣٦/٩/٢٤ ـ استشهد في معركة الخضر في ١٩٣٦/١٠/٦ بعد معارك شديدة في جبال الخضر بين القدس والخليل.

رَفَعَ السيفَ على هامِ العُلا أفَلا أرفَعُ فيه العلما
إيه يا ابنَ العاصِ أشبَهتَ الأُلى زَلْزَلوا الدنيا وهزوا الأمما[1]

وعندما استشهد زميل القسام الشيخ فرحان السعدي إثر إعدامه على حبل المشنقة من قبل الإنكليز ولم يراعوا سنه وشفاعة الدول العربية فيه رثاه الشعراء بألم بالغ فقال عبدالكريم الكرمي:

قُوموا اشهدوا فرحانَ فوقَ جبينِه أثرُ السجودْ
يمشي إلى حبلِ الشهادةِ صائماً مشيَ الأسودْ
سبعونَ عاماً في سبيلِ اللهِ والحقِ التليدْ
خجل الشبابُ من المشيبِ بل السنونُ من العقودُ[2]

وقال عبد الرحيم محمود[3] يرثي الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد بعد استشهاده فقال:

أيّها القائدُ هذي ميتةٌ طالما رجَّيتها منذ بعيدِ
مصرعُ الأبطالِ ما بين الحديدِ في الميادينِ ودقاتِ البنودِ
هذه أعراسُهم صخّابةٌ نُقْرة الدُّفِ بها قصفُ الرعودِ
يا شهيداً قد تخِذْنَا قَبَساً منه يَهْدينا إلى النهجِ السديدِ
مُتَّ في الحربِ شريفاً لم تُطِقْ رِبْقَةَ الأسرِ ولا ذلَّ العبيدِ[4]

---

(١) كامل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٢٥٠ ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٦٣.

(٢) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ص ٢٣ ـ دار العودة بيروت ـ ١٩٧٨.

(٣) عبد الرحيم الحاج محمد من مواليد طولكرم ومن أشهر قادة المرحلة الثانية للثورة الفلسطينية بعد ١٩٣٦.
استشهد في ١٩٣٩/٣/٢٦ عندما عاد من دمشق مع عدد من رجاله ودخل قرية صانور قضاء جنين علمت به القوات البريطانية فحاصرت القرية وطلبت منه التسليم لكنه أبى وقاتل حتى استشهد مع عدد من رفاقه.

(٤) اتحاد الكتاب الصحفيين اللبنانيين ـ ديوان عبد الرحيم محمود ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٤.

وعندما شوه المستعمر غاية المجاهدين وهدفهم من الجهاد ككل ظالم وطاغية يثور في وجهه المؤمنون المخلصون.. حينما يصفهم هذا الطاغية بأنهم أشقياء، مخربون... الخ قال مطلق عبد الخالق[1] يدافع عن المجاهدين:

ما هُمْ أشقياءُ لكنْ شقيٌ ... كلٌّ من قالَ عنهمُ أشقياءُ
هُمْ ضحايا أوطانهمْ وأسودٌ ... لفظتهمْ من جوفِها الصحراءُ
زَهِدُوا في الحياةِ لا تَسْتَبيهمْ ... كأسُ خمرٍ وغادةٌ هيفاءُ
فقراءُ لا يطلبونَ ثراءً ... غيرَ أنْ يُلْحَدُوا وهمْ شرفاءُ
خلدتهمْ بطولةٌ وارتخاصٌ ... للمنايا وهمةٌ قعساءُ[2]

وقال عبد الكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى... يرثي المجاهد محمد صالح الحمد[3] وهو من جماعة القسام:

فلسطينُ سارتْ خلفَ نفسِ محمدٍ ... تُشَيِّعُ في الغاراتِ مَنْ كان حاميا
ويَا لِدَمِ الأحرارِ كم يُرخصونَهُ ... فإنْ سالَ ما فوقَ الثرى عادَ غاليا
هنالِكَ مجهولونَ أعلَمُ ربّهُمْ ... بأسمائهمْ يأبَونَ ألا تَواريا
هُم حَمَلوا الراياتِ في كلِ موطنٍ ... وهمْ نَسَجُوا ثوبَ الميادينِ قانيا
وردوا انكليز الشؤم لا كان يومهم ... وتاريخهم يهمي دماً ومخازيا
عصابةُ قرصانٍ إذا ما خَبَرْتَهمْ ... رأيتَ وراءَ المنشآتِ أفاعيا
(ولندنُهم) وَكْرُ الدسائس والخنا ... وفيها يرى الكونُ العدوَ المداحيا[4]

---

(١) الشاعر مطلق عبد الخالق ولد في الناصرة بفلسطين عام ١٩١٠ عمل في الصحافة والتدريس له ديوان (الرحيل) جريء وله شعر جيد توفي بحادث سيارة ١٩٣٧.

(٢) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ١٣٩ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

(٣) الشهيد محمد صالح الحمد فلسطيني من أتباع عز الدين القسام من قرية سيلة الظهر استشهد في معركة مع القوات البريطانية في ١٨/٥/١٩٣٨.

(٤) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ـ ص ٦٧ ـ دار العودة بيروت ـ ١٩٧٨.

الشعر يندد بالخلافات الحزبية وغيرها

كما صور الشعراء اختلاف الزعامات الحزبية على الأمور التافهة والإنشغال بها بدل الإنشغال بالقضية المصيرية وقد شن الشعراء هجوماً كبيراً على هؤلاء الزعماء مما يدل على وضوح في الرؤيا وتحمل للمسؤولية ولكن ما من مستجيب. . . فقد ظل الزعماء الحزبيون يخدمون أنانيتهم إلى أن ضاعت البلاد. . فقال لهم إبراهيم طوقان متهكماً يطلب منهم التنحي:

أيها المخلصونَ للوطنية ... أنتُم الحاملون عبءَ القضيةْ
أنتُم العاملونَ من غيرِ قولٍ ... باركَ الله في الزنودِ القويةْ
وبيانٌ منكم يعادِلُ جيشاً ... بمُعداتِ زحفه الحربيةْ
واجتماعٌ منكم يردُّ علينا ... غابرَ المجدِ من فتوحِ أميةْ
وخلاصُ البلادِ صارَ على البا ... بِ وجاءتْ أعيادُه الوَرديةْ
ما جَحَدْنا أفضالكم غير أنّا ... لمْ نزلْ في نفوسِنا أُمنيةْ
في يدينا بقيةٌ من بلادٍ ... فاستريحوا كيلا تطيرَ البقيةْ[1]

وقد كان هذا الداء ـ داء اختلاف الأحزاب ـ عاماً في كل الأقطار فقد جلبوا التعاسة والشقاء للأمة. . فقال محمد بهجة الأثري[2]:

فيمَ هاجتْ بينكم حربُ البسوسِ ... يا معيدي نُكبة الأندلسِ
أعَلى الميراثِ أحقادُ النفوس ... أم على تسليمهِ المختلسِ
اخجلوا يا قومُ صرتمْ عجباً ... في الورى بلْ لعنةً في الكتبِ

---

(١) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ـ ص ١١٣ ـ دار الشرق الجديد بيروت ـ ١٩٥٥.

(٢) الشاعر محمد بهجة الأثري ولد في بغداد عام ١٩٠٤ قرأ القرآن الكريم وتعلم عدة لغات التركية والفرنسية والانجليزية درس الأدب العربي في مدارس بغداد اعتقل من قبل السلطات الانجليزية الغاصبة. اشتغل بالصحافة وحضر عدة مؤتمرات اسلامية عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وكذلك في العراق.

ثم يتهم أيضاً الشعراء الذين تركوا القضية والتفتوا إلى الغواني فقال:

لا تلمْهَا إنما خُذْلانها ... جرّةُ التضليلُ من قوادِها
حادَ عن نهجِ الهدى ركبانُها ... إذ جَرَوا فوقَ خُطا روادِها
كلُّ مَنْ تُبصِرهُ يختانُها ... لا يُبينُ الصدقَ في إرشادِها
في سبيلِ المالِ مَنْ قد كَتَبَا ... جاذَبَ الساسةُ حبلَ الكذب
وانثنى الشاعرُ عما وَجَبا ... ومضى ينعتُ بنتَ العرب[1]

وقال علي الخطيب[2] متهماً القابضين على زمام الأمور بالعمالة:

والقابضونَ زمامَ الأمرِ أشغلهم ... عنا المطامعُ حتى جاوزوا النهما
مستسلمونَ ضعافٌ في مراكزهم ... ما قدّموا قدماً أو أخّروا قدما
دمىً تحركها أيدٍ مخبأةٌ ... فتُضحِكُ الشعبَ والتاريخَ والأمما
وليهللِ الشعبُ ما دامت مناصبُهم ... مضمونةً تُحرزُ الألقابَ والنِعما
بينا نرى دولةً أفرادها عربٌ ... إذا بها دولةٌ تستأمرُ العجما[3]

وقال أحمد زكي أبو شادي يصف الأحزاب بأنها داء الأمة العضال:

أيها الأحزابُ أنتم داؤنا ... قد تفرقتمْ حيارى في الزمنْ
فتركتمْ مصر لا تعرفُ مَنْ ... من بَنِيْهَا يُرتَجى أو يُؤْتمنُ

كما قال:

مُنيتْ بأحزابٍ تُعَدُّ وكُلها ... يوم البطولة ليسَ في الحُسبان
يا ليتَ صائمةَ السيوفِ تذوقتْ ... من هذهِ الأحزابِ دونَ توان

---

(١) د. يوسف عز الدين ـ شعراء العراق في القرن العشرين ـ جـ ١ ص ١٥٧ ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٦٩.

(٢) ولد عام ١٩٠٦ ببغداد درس القانون ونال الشهادة من مدرسة الحقوق عمل في المحاماة.

(٣) السابق ص ١٨٢.

أودتْ بحقِ الجيلِ بين تناطحٍ وتحاكمتْ للهُودِ والبهتان
وإذا الزعامةُ في البلادِ مهازلٌ من بعد ما كانتْ رموزَ أماني[1]

وقال شفيق جبري مبيناً شقاء الأحزاب على الوطن:

جَرَّتْ عليه وَبَالُه أحزابُهُ لولا التحزُّبُ لاستبانَ وَبَالُه
أنى أَفَقْتَ رأيتَ فرقةَ آلِهِ فَجُمُوعُهُ متقاطعونَ وآلُهُ
كم يستعينُ على الردى برجالِه خارتْ قواهُ ولم يَعَفْهُ رجالُه[2]

وقال الرصافي يعيب على الأمة الفرقة ويهيب بها أن تنبذ الخلاف:

متى نرجو لأمتِنا انكشافا وقد أَمسى الشقاقُ لنا مَطَافا
ملأنا الجو بالجَدَلِ اصطخابا وكُنَّا قبلُ نملَؤُهُ هُتَافا
وما زلنا نهيمُ بكلِّ واد من الأقوالِ نُرسِلها جُزافا
أَجَاعتنا المطامعُ فاختلفنا لنملأ في موائِدنا الصِحافا
يجانفُ بعضُهم في الرأي بعضاً وبِئسَ الرأيُ ما التزمَ الجِنافا[3]

وقال عبد الصاحب الدجيلي[4] متهماً الأحزاب في تأثيرها على الأجيال بحيث خرجت ضعيفة في رأيها وتفكيرها بسبب تعمية الحقائق عنها:

وَنَشَأْنا جيلاً ضعيفاً فما بينَ محابٍ في رأيِهِ أو مُحابِي
لمْ نصارحْ فيما نقُول ونسعى إثرَ أشياءَ قد تجلّتْ سرابا

---

(١) أحمد زكي أبو شادي ـ ديوان الينبوع ـ ص ١٥٠ ـ بلا مطبعة وتاريخ.
(٢) د. سامي الدهان ـ الشعراء الأعلام في سورية ص ١٩٢ ـ دار الأنوار بيروت. طبعة ثانية ـ ١٩٦٨.
(٣) ديوان الرصافي ص ٤٠١ ـ مطابع دار الكتاب العربي ط ٣ ـ ١٩٤٩.
(٤) الشاعر عبد الصاحب الدجيلي ولد في النجف ١٩١٤ أستاذ وأديب ومحقق ضليع في النحو تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة له مؤلفات منها (الشعر العراقي الحديث) وله ديوان (مع السائرين).

وعـن الحـق ننـثـنـي وعـلـيـه نُسـدل الستر دائماً والحجـابـا
وَتَـرانـا صُمًّـا إذا مـا دُعينـا للإغاثات هل تَرى من أجابا[1]

أما مطلق عبد الخالق فقد عاب على الزعماء خنوعهم للحكومة المحتلة لأن كل زعيم في حزبه حاول التقرب إلى الحكومة ليحظى بالمناصب.

فقال معنفاً:

قـدمتُم قبـلَ أيـامٍ مُـذَكِّـرةً إلى الحكومةِ يا قومَ الزعامـاتِ
يـا ليت أنّا عَـرَفنا مـا يُطرزُهـا من المعاني ومن سامي العباراتِ
رويدكُمْ لا تلومـوا إننـا بشـرٌ من الترابِ وأنتمْ في السماوات
مذكِّراتٌ كِثـارُ العدِّ قـد سَبَقَتْ هذي فراحتْ شظايا كالقُصاصات
ماذا جنيتم سوى إعراضِ أمتِكم عنكم وغيرَ شماتات الحكومات[2]

وعندما بدأ الخلاف يدب بين الأحزاب بسبب مـواقفهم بين الشرق والغرب هاجم الشعراء منددين بهذه المواقف فقال محي الدين الحاج عيسى:

فكمْ قـالـوا وكم صَـالـوا فمـا صَـدَقـوا ومـا نَفَعُـوا
فـهـذا يـنـصـبُ الأشـراكَ يـبـغـي مَـنْ بـهـا يـقـعُ
وذاك يُـسـفـهُ الأحـلامَ ـ ـ والآراءُ تـبـتـدع
وذا لـلـغـربِ مـحـسـوبٌ وذاكَ لـشـرقـهِ تـبـعُ[3]

وقال عبد الرحيم محمود عن هذا الخلاف بين عملاء الشرق وعملاء الغرب:

---

(١) محمد حسن الصغير ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨. ـ دار الصادق ـ الطبعة الأولى ١٩٦٨.

(٢) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ص ١٧٠ ـ معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.

(٣) محي الدين الحاج عيسى. من فلسطين واليها ص ٢٨ ـ دار الرواد ـ حلب ١٩٧٥.

وتخـاصَمَ القـوادُ بين مُشـرِّقٍ ومـغـرّبٍ وتـقـطعـتْ أرحـامُ
والخَـطْبُ فَـرقَّنَـا قبـائـلَ جمـةً والخـطبُ عند خُصـومِنـا لَمَّـامُ
هذي طريقُكَ للحياة فـلا تُحِدْ قد سارها من قبلكَ القسَّامُ[1].

وقال أيضاً يرثي حال الشعب حين رأى اختلاف زعمائه:

يـا شـعبُ يـا مسكـينُ لـمْ تُـنكـبْ بِنَكْبَتِكَ الشـعـوبْ
قـلدَت أمركَ مـن بِـهـمْ لا يَـرجِـعُ الـحقُّ الـغَصـيـبْ
لـهـفـي عـلـيـكَ أَلا تَـرى يا شعبُ حولك ما يَـريبْ[2]

وقال إبراهيم طوقان يشجب الشقاق الذي صعدته الأحزاب بعد موت موسى كاظم الحسيني من أجل اختيار خلف له:

لا تفتحـوا بـابَ الشقـاق فـإنّـهُ بـابٌ على سـوءِ العـواقبِ مغلقُ
واللهِ لا يُـرجى الخلاصُ وأمـركُمْ فـوضى وشمـلُ العـاملين ممـزق
أين الصفـوفُ تَنسقتْ فكـأنّـمـا هي حـائطٌ دونَ الهـوانِ وخنـدقُ
أين الأكفُّ تصـافحتْ وتسـاجَلَتْ تبني وتصنـعُ للخـلاص وتُنفِق[3]

وقال أيضاً:

مـالكم بعضُكم يـمـزقُ بعـضـا أفـرغـتـمْ مِـنَ الـعـدوِّ الـلدودِ
إذهبـوا في البـلادِ طـولاً وعـرضاً وانـظروا ما لخصمكم من جهـودِ
والمسـوا بـاليـدين صـرحـاً منيعـاً شـاد أركـانـه بـعـزم وطـيـد

---

(١) اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين ـ ديوان عبد الرحيم محمود ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٤.
(٢) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ١٢٨ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٥.
(٣) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ١٩٥٥ ـ ص ١٦٣ ـ دار الشرق الجديد ـ بيروت ـ ١٩٥٥.

كـل هـذا استفـاده بين فـوضى وشِـقـاق وذلـة وهـجـودِ[1]

وقال للمتخاذلين الذين يهدمون وهم يدعون البناء:

كـم قـلتُ أمـراض الـبـلاد وأنـت مـن أمـراضـهـا
والـشـؤمُ عـلتُّـهـا فـهـلْ فـتـشـتَ عـن أعـراضـهـا
يا مَنْ حـمـلَت الـفـأسَ تـهـدِمُهَـا عـلى أنـقـاضِـهـا
اقـعـدْ فـمـا أنـتَ الـذي يـسـعـى إلـى إنـهـاضِـهَـا[2]

وقال بدر الدين الحامد يفضح أقوال الزعامات الخادعة:

الـزعـامـاتُ مِنْ ورائِـكَ عـارٌ وَصغَـار يغشى العُلا والـربوعـا
تَخِـذَتْ منـكَ للظهـورِ سبيـلا وانكفـأنـا إلى الهـوانِ رجـوعـا
وأتتنـا بـالنصـرِ لفـاً ونشـرا وكِـذابـا بمـا تَحُـوكُ بـديعـا
وَيْحَكمْ أينَ نصرُكمْ في ديـارٍ مَزَّقَ الخصمُ شملَها المجموعا[3]
أخـداعٌ وذلـةٌ وانـقـسـام وتـريـدونَ أنْ أكـونَ مـطيعـا!؟

ثم يعجب محمد البزم من الأمة التي تنساق وراء غير المخلصين لمجرد أبواق أعلامهم الخادعة وتمجد إخلاصه وهو لا يستحق إلا الطرد... فقال:

وأعجبُ مـا نلقـاهُ خـائنَ أمـةٍ تَزيدُ له في المجد إنْ هو خانَها
يكيدُ بها كيدَ العدوِّ وإن وَهَتْ كـوارِثُـهـا أَلْفَيْتَـهُ تُـرجُـمـانَـهـا
فلا هو مِفْـرَاحٌ إذا اعتَزَّ شـأنُها ولا هو إن عَضَّ الزمانُ أعانها[4]

---

(١) السابق ص ٢٧.
(٢) السابق ص ٤٧.
(٣) الشاعر بدر الدين الحامد ـ شاعر العاصي ـ ص ٢ ص ٣٤١ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥.
(٤) ديوان محمد البزم ص ٢٥١.

وكان لهذه الإختلافات وللزعامات المضللة أثره الكبير في عدم اتخاذ مواقف محددة ثابتة ضد المحتل وضد الصهاينة مما جعل المقاومة لا تأخذ شكلها الجدي لأن الإختلاف يغري العدو بالتمادي في عدوانه وكما قال عمر أبو ريشة[1]:

لا يلام الذئبُ في عدوانه إن يكُ الراعي عدوَّ الغنم

ولهذا نشطت هجرة اليهود إلى فلسطين دون الإكتراث باحتجاجات الشعب وقد أدمت الهجرة ومواقف الأحزاب قلوب الشعراء فصور إبراهيم الدباغ معاناة الفقراء من تدفق هذه الهجرة الأليمة فقال:

سَدّوُا الثغورَ بهجرةٍ دفّاقةٍ رعناءَ مقبلةٍ ليومٍ مدبرِ
يَجدونَ من كوخِ الفقيرِ وقوتِهِ رزقاً يَضِيعُ على مُخَزِّجِ فلتر
ويشيّدونَ عليه ملكاً قائماً غصباً على كهلِ الزمان المُقْتِرِ
في كلِّ شبرٍ من فلاةِ مدينةٍ جندٌ وأعوانٌ وقائدُ عسكر
وبكل مَنْبِتِ حبةٍ من ربوةٍ ديبٌ لغيرِ الفتكِ لم يَتَنَمَّرِ[2]

وقال إبراهيم طوقان يبين خطر الهجرة وتدفقها كالسيل العرم والإحتيال الذي يمارسه اليهود لإدخال أكبر عدد لفلسطين:

يُهَاجِرُ ألفٌ ثم ألفٌ مهرباً ويدخل ألفٌ سائحاً غيرُ آيبِ
وألفُ جوازٍ ثم ألفُ وسيلةٍ لتسهيلِ ما يَلْقَوْنَهُ من مصاعِبِ
وفي البحر آلافٌ كأنّ عبابَهُ وأمواجَه مشحونةٌ بالمراكِبِ
بني وطني هلْ يقظةٌ بعدَ رَقْدةٍ وهلْ مِنْ شعاعٍ بين تلكَ الغياهبِ[3]

(١) الشاعر عمر أبو ريشة ولد في مدينة منبج قرب حلب عام ١٩٠٨.
درس في الجامعة الأمريكية ـ بيروت ـ كان مولعاً بالأدب سافر إلى بريطانيا لدراسة الكيمياء العضوية لكنه فشل ثم انتقل إلى باريس وعاد بعدها إلى سورية. . عمل في السلك الدبلوماسي سفيراً لسورية في عدة بلدان امتاز شعره في بداية حياته الشعرية بالغزل لكنه عاد فكتب في الشعر الوطني والإسلامي له ديوان باسمه.

(٢) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ٨٦ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.

(٣) ابراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ص ٨٨ ـ دار الشرق الجديدة ـ ١٩٥٥.

ويتهم إبراهيم طوقان الإنكليز بمساعدة اليهود على الهجرة فربط بين طوقان هجرة اليهود وطوفان الأمطار الغزيرة في فلسطين التي دمرت الزرع فقال:

منذ احتللتمْ وشؤمُ العيشِ يُرْهِقُنَا ... فَقْراً وَجَوْراً واتعاساً وإفسادا
بفضلكم قد طَغَى طوفانُ هجرَتهمْ ... وكان وعدٌ تلقيناهُ إبعادا
واليومَ منْ شُؤمكم نُبلى بكارِثَةٍ ... هذا هو الطينُ والماءُ الذي زادا[1]

ويهدد محمد العدناني اليهود الذين يدخلون فلسطين بالموت والمحق فقال:

عَبَثاً تبغي الجواري نقلكمْ ... عشراتٍ ومئاتٍ لا فُرادى
إنَّ أمْرَ اللهِ إنْ حلَّ بكمْ ... صارتِ الأجسادُ للنبتِ سمادا[2]

كما وصفهم بأنهم كالجراد يأكل الأخضر واليابس عندما قال:

أأناسيٌّ نزلتمْ أرضنا ... أمْ نزلتمْ بفلسطينَ جرادا
يا عبيدَ المالِ والشرُّ أرى ... عهدَ نيرونَ بكمْ في الأرض عادا

ويتفق هذا الوصف مع وصف إبراهيم طوقان عندما قال عنهم:

دخلاءَ البلادِ إنَّ فلسطينَ ... لأرضٌ كنوزُها من نَكَالِ
تبرُها صُفْرَةُ الردى فخذوهُ ... عن بنيها وآذِنوا بارتحالِ
ربِ لطفاً فقدْ أتانا نَذيرٌ ... بوَباءٍ مِنْ بعدِ هذا الوَبَالِ
وجرادٌ وكلُّ آتٍ قريبٌ ... أَوَ بعدَ الإمحالِ من إمحالِ
ربِ إنَّ الكروبَ تترى علينا ... حسبُنا لِرَبِّ هجرةٍ وارتحالِ[3]

---

(١) المصدر السابق.
(٢) محمد العدناني - اللهيب - الجزء الأول ص ٥٨ - المكتبة العصرية صيدا بيروت - ١٩٥٤.
(٣) ابراهيم عبد الفتاح - ديوان ابراهيم - ص ١٥٣ - دار الشرق الجديدة - ١٩٥٥.

التنديد لبيع الأراضي لليهود

وأما بالنسبة لبيع الأراضي فقد كان هجوم شعراء فلسطين عنيفاً على البائع والمشتري وعلى السماسرة الذين سهلوا هذا البيع ولما اشترى الصهاينة مرج بني عامر من آل سرسق اللبنانيين بثمن بخس ما بين أعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ وهو أخصب سهول فلسطين على الإطلاق قال برهان الدين العبوشي:

لهفي على بلدِ المسيحِ وحسرةً ... فلقدْ أحاط بها أذىً وبلاءُ
إنْظر إلى المرجِ الفسيحِ فكلُّهُ ... مستعمراتٌ أهلُها دخلاءُ
لم تبقَ للعربيِ فيه بقيةٌ ... إلا الشعابُ وبقعةٌ جرداءُ
بِيعَ المسيحُ وبيعَ قدسُ محمدٍ ... بالمالِ وهو الحيةُ الرقطاءُ[1]

وقال أيضاً:

وباعَ (سَرْسَقُ) تباً لاسمِهِ قِطَعاً ... مِنْ مُلكنا وعيونُ الساكنين تَرَى
لهفي على المرجِ قدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ ... وَلَمْ يَجدْ من بني الأوطانِ من ثأرا

ثم قال:

باعَ أرضاً دمُ القلوبِ سَقَاها ... فَتَغَنَّى بما له وَتَزيّا
كيفَ ترجُونَ يا صِحابُ خَلاصاً ... لبلادٍ زعيمُها ماتَ حَيَّا[2]

وقال يذكر الزعماءَ وسماسِرَةَ الأرض بأن يُبقوا قسماً منها لأحفادهم:

هذا الدخيلُ لقد تَرَبَّص أنْ يرَى ... فينا الشقاقَ ليستبدَ ويظلِما
فَلِمَ التَّنَابُذُ والشّقاقُ وافقُنَا ... مِنْ جَهْلِنَا أَضْحَى علينا مظلما
ضاعَ الذي قد ضَاع فليَبْقَ الذي ... يُؤْوي حفيدَكُمُ إذا ما يُتّما[3]

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ـ ص ٨٥ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥.
(٢) السابق ص ١١٦.
(٣) السابق ص ١٠٣.

ثم شدد الحملة على السماسرة الذين يبيعون الأراضي لليهود فقال:

وَكَـأَنَّما السمسـارُ ليس بـه دمٌ ... وكـأنـمـا هـو نـطفـةٌ منْ زانِ
لا تُرخصوا الأرضَ التي في قلبِها ... رَقَـدتْ جـدُودُكُمُ بنـو قحـطانِ
إنْ تُرخِصُوها تُرخِصوا عِرْضاً لكمْ ... هل تُشترى الأعـراضُ بالأثمـانِ[1]

ويخاطب إبراهيم طوقان ضمير بائع الأرض ويذكره بالأحفاد أيضاً وما ستكون عاقبتهم دون أرض ويستصرخ به ضميره فيقول:

يا بائعَ الأرضِ لم تحفِلْ بعاقِبَةٍ ... ولا تَذَكَّرتَ أنَّ الخصمَ خـدَّاعُ
لقد جنيتَ على الأحفادِ والهفي ... وهـمْ عبيـدٌ وخـدامٌ وأتبـاعُ
وَغَـرَّكَ الـذهبُ اللمـاعُ تُحـرِزُهُ ... إنَّ السـرابَ كما تَـدْريهِ لمّـاعُ
فكرْ بموتِكَ في أرض نشأتَ بها ... واتركْ لقبرِكَ أرضاً طولُها باعُ[2]

ولما تناهى إلى مسمع الشاعر صيام غاندي زعيم الهند وأسباب صيامه تمنى لو يكون بين زعمائنا من له تلك العزيمة لا ليصوم عن الطعام والشراب ولكن ليصوم عن بيع الأراضي علنا نفوز كما فاز فقال:

حبَّـذا لـو يصـومُ منّـا زعيمٌ ... مثل (غندي) عَسَى يفيدُ صيامُهْ
ليصمْ عن مَبِيْعِهِ الأرضِ يحفظْ ... بقعـةَ تستـريـحُ فيهـا عـظامُـهْ
باركَ اللهُ في حريصٍ على الأرضِ ... غيـورٍ يُنهى إليهـا اهتمـامُـه
هم حماةُ الديارِ من كلِّ سَـوْءٍ ... وهمُ مَعقِـلُ الحِمى وَدِعامُـهْ[3]

وقال مهاجماً السماسرة بشدة:

---

(١) السابق ص ١١٧.
(٢) عمر فروخ ـ شاعران معاصران ـ ابراهيم طوقان ـ أبو القاسم الشابي ص ١٠٨ ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٩٥٤.
(٣) السابق ص ١١٠.

أما سماسرةُ البلادِ فعُصْبَةٌ عارٌ على أهلِ البلاد بقاؤُها
إبليسُ أعْلَنَ صاغراً إفلاسَه لما تحقَقَ عندَهُ إغراؤها
وحُمَاتُها وبهمْ يَتِمُّ خرابُها وعلى يديهم بيعُها وشراؤها[1]

ولما انتشر بيع الأراضي في الأقطار المجاورة حسدوا أهل فلسطين على هذه النعمة التي تدر ذهباً وتمنوا أن لهم أرضاً ليبيعوها، فرد عليهم قائلاً:

يقولون في بيروتَ أنتمْ بنعمةٍ تَبيعونَهمْ تُرباً فيعطونَكُمْ تِبرا
شقيقَتَنا مهلاً متى كانَ نعمةً هلاكُ ألوفِ الناسِ في واحدٍ أثرى
على أنَّها أوطانُنَا ما كنوزُهمْ وأموالُهم حتى تُساوي بها قدرا
وباذِلُ هذا المالِ يعلَمُ أنَّهُ يُسَلِّمُ باليُمنَى إلى يدِهِ اليسرى
ولو كانَ قومي أهْلُ بأسٍ ونَخْوَةٍ إذنْ أصبحتْ للطامعينَ بها قبرا
وما حسرتي إلا على مُتَعَفِّفٍ يقومُ لوجهِ اللهِ بالنهضةِ الكبرى

وقال مبيناً ظاهرة الثراء الخادعة التي سيكون نهايتها الرحيل عن البلاد[2]:

أحبابَنَا لا تُخدعوا عنّا بظاهرةِ الشراءْ
ليستْ فلسطينُ الرخيَّةُ غيرَ مهدٍ للشقاءْ
عُرِضتْ لكم خلفَ الزجاجِ تميسُ في حللِ البهاءْ
هيهاتَ ذلك إنَّ في بيعِ الثرى بيعَ الثراءْ
فيه الرحيلُ عن الربو ع غداً إلى وادي الفناءْ
فاليومَ أمرحُ كاسياً وغداً سأُنْبَذُ في العَراءْ

وقال (حسان فلسطين):

(١) السابق ص ١١٤.
(٢) السابق ص ١١٥.

واهـدمـوا السمسـارَ لا كـانَ أبـوهُ قبل أن يقوى على هـدمِ الديـارْ
وافـعلوا مـا شئتُمُ أن تـفـعـلوهُ فيـه حتى لا يـرى غيـرَ البـوارْ
إنّـهُ إنْ أنـتُـم لـم تـهـدمـوهُ يَهْدِمِ المجدَ ولا يَخشى الدمارْ[1]

ثم يقول إبراهيم طوقان عن باعة الأراضي بأن الطمع حافزهم لبيع الأراضي وليس الفقر:

بـاعوا البـلادَ إلى أعدائِهِمْ طَمَعَـاً بـالمـالِ لكنَّمـا أوطـانُهم بـاعـوا
قد يُعذَرونَ لو أنَّ الجوعَ أرْغَمَهمْ واللهِ ما عَطِشُـوا يومـاً ولا جاعـوا
تلك البـلادُ إذا قلتُ اسمُهَا وَطَنٌ لا يفهمـونَ ودونَ الفهمِ أَطْمَـاعُ
أعـداؤُنا منـذُ أنْ كـانـوا صيـارِفَـةً ونحنُ مـذْ هبـطنـا الأرضَ زراعُ
لم تعكِسوا آيَةَ الخلّاقِ بلْ رَجَعتْ إلى اليهودِ بكم قُربى وأطمـاعُ[2]

وقال:

وطني مبتلىً بعصبـةِ دلالـينَ لا يـتـقـونَ فـيـه الـله
في ثيـابٍ تـريـكَ عـزاً ولكنْ حَشْوُهَا الذلُّ والرياءُ سُدَاهَـا[3]

مؤتمرات ومؤتمرون.. ولكن..!؟

في خضم هذه الأحداث عقدت مؤتمرات إسلامية وشعبية لبحث قضية فلسطين وكان لعقدها بادىء الأمر تفاؤل كبير في أوساط الشعراء لكن بعضهم عاد فعدل عن التفاؤل إلى التشاؤم لما لم يجد لمقرراتها أثراً في قضية فلسطين.

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ص ١١٧ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥ ـ بيروت.
(٢) إبراهيم عبد الفتاح طوقان ـ ديوان ابراهيم ص ٥١ ـ دار الشرق الجديد ـ بيروت ـ ١٩٥٥.
(٣) المصدر السابق ص ٥٥.

فقال إبراهيم طوقان يشجع على التضامن والوفاق عندما اجتمع مؤتمر عربي في القدس من أجل بحث قضية فلسطين أمام التحديات الراهنة:

اللهَ ثم اللهَ ما أحلى التضامن والوفاقا
بُورِكْتَ مؤتمراً تَألَّفَ لا نزاعَ ولا شِقاقا
كم مِنْ فؤادٍ راقَ فيهِ ولَمْ يكنْ مِنْ قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطني كأسَ الهناءِ لكم دِهاقا
لا تعبأوا بمشاغبينَ تَرَوْنَ أوجُهَهُمْ صِفاقا[1]

وقال بدر الدين الحامد قصيدة بمناسبة انعقاد مؤتمر القدس عام ١٩٣١ وهو يشجع على وحدة الصف:

بني عمُّنا حَتَّامَ نحيا أذلةً ونصحَبُ مضطرينَ من لا نُلائمه
لقد جمعتكُمُ في فلسطينَ همةٌ فذودوا أذى صلٍ غريبٍ زاعمة
ومنْ عجبٍ أنْ زاحمَ الصلُّ أمةً لها الحقُّ وضاحاً فباتتْ تُزاحمه[2]

وقال محمد اليعقوبي بمناسبة عقد المؤتمر الإسلامي عام ١٩٣٢ يهيب بالمؤتمر التضامن والعمل لصون المقدسات:

حانَ نجاحُ الأَمَلِ المنتظرْ في القدس حيثُ انعقدَ المؤتمرْ
صونوا حِمى الدينِ الحنيفي عنْ تلاعبِ الشركِ وأيدي الغِيَرْ
والبيتَ والأرضَ التي شَرُفَتْ بالمصطفى والطيبينَ الغررْ
والمسجدَ الأقصى الذي قد سرى منه لأعلى العرشِ خيرُ البَشَرْ
فاغتنموها إنها فرصةٌ أتاحها للمسلمينَ القدر

---

(١) السابق ص ٤٨.

(٢) بدر الدين الحامد ـ ديوان بدر الدين الحامد جـ ٢ ص ٣٣٨ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥.

ما أخْسَرَ الصفقةَ إنْ عدتمُ ولم يُكَلَّلْ سعيكُمْ بالظفر[1]

وقد احتج عدد من الشعراء على نتائج المؤتمرات فقال محمود الحبوني:

أرَدْنَاهَا وليس لنا سلاحٌ سوى بعثِ احتجاجٍ أو كتابِ
فآبوا بالغنائمِ حينَ آبوا وآبَ سواهُمُ أخزى مآبِ
فما خصتْ فلسطينُ الرزايا وقد طَرَقَتْ ليعربَ كلَّ بابِ
سواءٌ نحنُ في لغةٍ ودينٍ كما أنّا سواءٌ في المصاب[2]

وحين تدخل ملوك العرب وأمراؤهم عام ١٩٣٦ في التوسط لوقف الإضراب في فلسطين تفاءل الشعراء بتدخلهم فقال محي الدين الحاج عيسى:

طوعاً ملوكَ العُرْبِ إنَّ نداءَكمْ أملُ النفوسِ وقوةُ الأحداقِ
المسجدُ الأقصى المباركُ حولَهُ أصْغى فأخرسَ ضجةَ الأبواقِ
ما تُبرمونَ فحقُّ شعبٍ خالدٍ أو تَنقُضونَ فباطلُ الآفاقِ[3]

لكن عبد الكريم الكرمي حمل عليهم دون أن يقدر ظروفهم في ذلك الوقت فقال:

إيهِ ملوكَ العربِ لا كنتمْ ملوكاً في الوجودْ
هل تَشْهدونَ محاكمَ التفتيشِ في العصرِ الجديدْ
قوموا انظروا الوطنَ الذبيحَ من الوريدِ إلى الوريدْ
إيهِ شعوب العربِ أنتمْ مبعثُ الأملِ الوحيدْ... [4]

---

(١) محمد حسن الصغير ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ـ ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨ ـ ص ٢٠٣ ـ دار الصادق ١٩٦٨.
(٢) السابق ص ١٨٧.
(٣) محي الدين الحاج عيسى ـ من فلسطين واليها ـ ص ٣٦ ـ دار الرواد ـ حلب ـ ١٩٧٥.
(٤) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ـ ص ٢٣ ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٨.

كشف ظاهرة الكتب البيض ونقضها بالكتب السود

وقد رافقت قضية فلسطين ظاهرة الوعود وإخلافها وظاهرة تطمين العرب بالكتب البيض التي في أحدها: إقامة دولة فلسطينية مستقلة يقتسم فيها شعب فلسطين، العرب واليهود السلطة الحكومية وأن تظهر هذه الدولة المستقلة التي سترتبط ببريطانيا خلال عشرة أعوام ـ تاريخ الكتاب الأبيض ١٧ مايو ـ أيار ١٩٣٩ ـ والفترة الإنتقالية ستخصص لتنمية الحكم الذاتي شيئاً فشيئاً. وستكون الهجرة في غضون الأعوام الخمسة القادمة /٧٥٠٠٠/ خمسة وسبعين ألف مهاجر وسيحصر بيع الأراضي لليهود في بعض المناطق وفي مناطق أخرى سيكون مقيداً بشروط... رفض اليهود الكتاب وقاوموه وسعوا بذلك لدى الولايات المتحدة.. ورضي به بعض زعماء فلسطين لكن اللجنة العربية العليا رفضته..

وشعراء فلسطين لم ينسوا أن يشيروا إلى هذه الكتب وإلى كذب وعود المحتل ريثما ينفذ مخططه..!

فقال الشاعر اليمني محمد محمود الزبيري يهاجم الكتب وسياسة المراوغة:

أَتُخْرِجونَ كماةَ العربِ ويحكمُ ... من أرضهمْ وهم الأبطالُ واليَهَمُ
إنَّ الكتابَ الذي جدتمْ به ثَمَناً ... لأرضِهمْ ليسَ يكفيهمْ إذا اقتسموا
لم يحسبُوه سوى أكفانِ عزَّتهمْ ... نَسَجْتُموهُ لهمْ ظلماً وإنْ زعَمُوا
إنَّ الدماءَ التي سالتْ بمُدِيَتِكُمْ ... لم يُشْفِها منكمُ القرطاسُ والقلمُ
إنَّ الخداعَ الذي دانتْ سياستُكم ... به لأعظمُ ما تَشْقَى به الأمم[1]

ويسخر برهان الدين العبوشي من كتب المستعمر الخادعة كما يسخر من الذين يصدقون وعوده ويروجون لقبولها فيقول:

حَكَموا الممالكَ بالكتابِ فأزرقٌ ... أو أبيضٌ يغريكَ لمعُ سرابه

---

(١) عبد العزيز المقالح ـ الشعر المعاصر في اليمن ـ ص ٨١ ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٤.

وهنـاكَ شـرذِمَـةٌ تقـولُ بقـولـه وبـلاءُ الإستعمارِ من أذنـابه[1]

وقد رافق خداع المستعمرين الإنكليز واليهود نوايا خبيثة ماكرة كانت تظهر على ألسنتهم أحياناً كما كانت أعمالهم تدل عليها أيضاً وهكذا شهد الحال والمقال على مكرهم بالمسلمين ففطن الشعراء لذلك وأظهروا للناس سوء ما ينوون. . . فقال برهان الدين العبوشي على لسان اليهود:

قـد وطِئْنَـا أرضهـمْ في غـفـلةٍ وغـدا أعـداؤنـا عـنـا نـيـامْ
لم أجدْ ما كنتُ أخشى من أذىً بـل بـنيـنـا وامتـلكـنـا بِسـلامْ
هـذه العفـولـةُ[2] الأرضُ الـتي مـرَّ فيهـا فتحهمْ من ألفِ عـامْ
إنـمـا الـدنيـا فـلسـطينُ الـتي شـعَّ منها النـورُ وإنجـابَ الـظلامْ
سـوف نجلي أهلَهـا عنهـا إلى بيـدِهمْ قسـرا ونَسْقيهمْ حِمَـام[3]

وقال محمد[4] حسن علاء الدين عندما رأى نية اليهود في امتلاك البلاد وطرد أهلها:

شبحُ الرحيلِ أما تَكِنُّ عن الأذى شبـحُ الرحيـلِ أمـاتَني تغشى لي
مـا الذنبُ ذنبُـكَ يـا خيـالُ وإنّمـا هو ذنبُ شعبٍ موغلٍ في القال[5]

---

(١) د. عبد الرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ـ ص ١٢٦ ـ المؤسسة العربيه للدراسات والنشر ـ ١٩٧٥ ـ بيروت.

(٢) بلدة العفولة تقع في منطقة السامرة قرب بلدة الناصرة التي تقع إلى شمالها والبلدة تقع في وسط القسم الشمالي من فلسطين وهي قريبة من منطقة الجليل شمالاً كما أنها قريبة من مدينة بيسان التي تقع في جنوبها الشرقي.

(٣) السابق ص ١٠٣.

(٤) الشاعر محمد حسن علاء الدين من فلسطين وقد لقب بشاعر الضفتين ـ نشر شعره في الصحف والمجلات (لم يذكر كل من تناوله مكان وتاريخ ولادته).

(٥) د. ناصر الدين الأسد ـ محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ص ١٠٢ ـ معهدالدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.

الشعراء وموقفهم من التقسيم

ولما قررت لجنة بيل[1] ومن بعدها من اللجان تقسيم فلسطين هب الشعراء لأخذ دورهم في توعية الشعب من عواقب هذا التقسيم واستنكارِه والعمل على منعِه مهما كلفت التضحيات فقال محمد العيد خليفة معنفاً:

يا قسمةَ القدسِ أنتِ ضيزي ... لم يعدلِ القاسمونَ فيكِ
مضوا على الحيفِ لم يُبالوا ... بما جَرَى من دمٍ سفيكِ
القدسُ للعربِ من زمانٍ ... لن يقبلوا فيه مِنْ شريكِ
يا (لندرا) لو درى بَنُونَا ... لم يأمنوا الغدرَ من بنيكِ
أهكذا تَفْصِلُ القضايا ... بحكمِها لجنةُ المليكِ
قد دلَّ طغيانُ انكلترا ... على فناء لها وشيكِ[2]

وقال عبد الكريم الكرمي يبين مؤامرة الإنكليز:

أهدوا بلادي لجنةً ملكيةً ... حتى تَحُلَّ مشاكلَ المستقبلِ
درستْ فما وَجَدتْ سوى تقسيمها ... حلاً فكان الحلُّ أكبرَ مشكلِ[3]

وقال إبراهيم الدباغ يتألم لمصاب فلسطين وتآمر الدول العظمى على تقسيمها:

لستُ أبكي إلا مصابَ فلسطيـ ... ـنَ وما نالها من التمزيقِ

---

(١) اللجنة الملكية أو لجنة بيل سميت بذلك نسبة إلى رئيسها لكنها تعرف باللجنة الملكية هي اللجنة التي أرسلت لتقصي الحقائق في أعقاب ثورة ١٩٣٦م وقد كان من أهم اقتراحاتها أنها قررت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ومنطقة القدس تحت الحكم البريطاني وكان هذا العمل فاتحة الشر حيث دأبت فيما بعد اللجان على الأخذ برأي هذه اللجنة في التقسيم إلى أن أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م.

(٢) منشورات وزارة التربية الجزائرية ـ ديوان محمد العيد خليفة ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ ص ٣١٤ ـ مطبعة البعث ـ قسنطينية ـ ١٩٦٧.

(٣) عبد الكريم الكرمي ـ ديوان أبي سلمى ـ ص ٣٩ ـ دار العودة بيروت ١٩٧٨.

أعجزتهمْ مجموعةً فاستعانوا بسلاحِ التقسيمِ والتفريقِ
يا كتاباً تُطوى بهِ صحفُ العز ةِ والمجدِ والفخارِ العريقِ
نقلَ الكاذبونَ عنكِ كثيراً من فصولِ الهُراءِ والتنميقِ
قل لهمْ إنَّ فلسطين شعباً عربياً من هاشمٍ في فروقِ[1]

وقال الشاعر عبد الغني الخضري[2] محتجاً على التقسيم ومبيناً ظلم التقسيم واستئثار اليهود بالأراضي الخصبة دون العرب فهو يستنهض العرب للدفاع عن فلسطين بعد ما ظهرت نوايا المستعمر في التقسيم:

يا أُمَّة الرافدينِ استنْجِدي العَرَبا واستنهضي السيفَ لا الأقلامَ والكتبا
أضحى تراثُ بني قحطانَ مقْتَسَماً وفيئُهم قدْ غَدا للغربِ منْتهبا
هذي فلسطينُ قد عاثَ العدوُّ بها كما تعيثُ ذئابٌ في قطيعِ ظِبا
هذي فلسطين ما أَبْقَوْا بها لكمُ داراً ولا تركوا فيها لكم نَشَبا
قد قسّم الظلمُ باسمِ العدلِ ملكَكُمُ والظلمُ والعدلُ في كفِّ الذي استَلبَا
البيدُ والخطبُ والجرداءُ حَقُّكُمُ وحقُّ صهيونَ منها كلُّ ما خَصِبَا[3]

محاولات لإيقاظ ضمير بريطانيا بعد تورط اليهود في عمليات ضدها

ولما انقلب اليهود على بريطانيا بعد صدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ وعندما خططوا لكسب الولايات المتحدة والإلتجاء إليها في تنفيذ وعد بلفور عملوا على ضرب المصالح البريطانية في فلسطين وعلى اغتيالِ عددٍ من الضباطِ

---

(١) ابراهيم الدباغ ـ ديوان الطليعة ـ جـ ١ .
(٢) عبد الغني الخضري شاعر ولد بالنجف عام ١٩٠٧ عالم جليل وأديب له ديوان (الخضري) مؤسس جمعية التحرير الثقافي ومديرها.
(٣) محمد حسين الصغير ـ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ـ ص ١٧٩ ـ دار الصادق ـ ١٩٦٨ .

والجنود الإنكليز وَهُنَا لم يُخْفِ بعض الشعراء شماتتهم ببريطانيا التي مكنت اليهود من فلسطين ثم انقلبوا عليها فقال محمد العدناني[1]:

إبْسُمي انكلترا واغْتَبطي ... كادَ من أنقذتِ أن يُرديكِ كادا
لم يجدْ غيرَكِ من يُورَىٰ به ... لهبُ الحقدِ فأصبحتِ الوقادا
إمنحي صهيونَ وُدّاً خالصاً ... وأحِلّيهِ من العينِ السوادا
وتغاضَيْ عن أذاه واحذري ... أن تُصيخي إنْ تداعيت انتقادا
فعسى تهوي قريباً بكما ... دولةٌ أتْخَمَتِ الدنيا فسادا[2]

هل أدى الشعر وظيفته في هذه الحقبة..؟

ورغم كل ما قدمنا من شعر على هذه الحقبة من الصراع العربي مع الإنكليز واليهود في فترة الإنتداب فإن الإنتاج الشعري والأدبي كان قليلاً جداً في هذه الفترة إذا ما قيس بحجم الكارثة ولقد شكا من قلة هذا الإنتاج عدد من المهتمين بهذه القضية من الناحية الأدبية فقد نقل كامل السوافيري عن مجلة الآداب اللبنانية انتقادها لقلة الإنتاج في هذه المأساة فقالت «فهل أنتجت هذه الثورات أثراً أدبياً رئيسياً في جميع نتاجنا الحديث ثم نتاءل مرة أخرى هل في تاريخ العرب الحديث فاجعة أروع من ضياع فلسطين ومن نكبة لاجئي فلسطين ومع ذلك فهل هناك إلا ملحمة أو ملحمتان شعريتان قصيرتان وبضع قصائد وأقاصيص متفرقة تصور هذه النكبة وتلك الفاجعة؟».

ورد عليه عيسى الناعوري فقال: «إن نكبة فلسطين قد هزت العرب والفكر العربي هزة لم يسبق أن عرفها تاريخ الأمة العربية إلا مرة واحدة..

---

(١) محمد العدناني: اسمه قبل عام ١٩٣٦ محمد خورشيد لكنه انتسب إلى عدنان جد الأسرة القديم.. ولد في جنين عام ١٩٠٣.. عمل في التدريس بعد النكبة في دمشق وفي الأردن له عدة دواوين (اللهيب) (الوثوب).. أخرجها في أجزاء فاللهيب هو الجزء الأول والوثوب الجزء الثاني..

(٢) محمد العدناني ـ ديوان اللهيب ـ ص ٥٨ ـ جـ ١ المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ـ ١٩٥٤.

ثم يقول: والواقع المؤلم يا أخي أنك قد صورت الحقيقة في الإنتاج الأدبي في لبنان خاصة وإلى حد ما في مصر أيضاً ولكنك لم تصور إلا جزءاً ضئيلاً من حقيقة الواقع الأدبي في الأردن وسورية والعراق حيث لا تزال مأساة فلسطين هي الملهم الأول والأهم للإنتاج الأدبي. .» ثم يرد الكاتب على الناعوري ويقول:

«أين هو هذا الإنتاج؟ وما هي قيمته الأدبية؟ هل في هذه الآثار الضئيلة التي ذكرها أثر رئيسي هام يصور النكبة الهائلة التي أصابت الأمة العربية بضياع فلسطين»[1].

وكانت هذه التساؤلات مطروحة على صفحات هذه المجلة عام **١٩٥٣** م من هذا نفهم أننا سنواجه صعوبة في جمع شعر النكبة خصوصاً إذا كنا سنختار الشعراء الإسلاميين فقط ومع ذلك فإن أملنا كبير جداً في أن يغطي البحث حقه من الشواهد المضيئة التي تظهر بوضوح وظيفة الشعر الإعلامية.

مقارنة بين إنتاجين من الشعر

وقبل أن أختم هذه المقدمة وأبدأ بالفصل الأول فإنني أرى أن أقارن بين إنتاجين من الشعر لمستهما من خلال جمع الشعر لهذه المقدمة ألا وهما:

١ ـ الشعر الصادر عن الشعراء الفلسطينيين (داخل فلسطين).

٢ ـ الشعر الصادر عن الشعراء في الأقطار المجاورة (خارج فلسطين).

أما الشعر الأول فهو شعر صادق يمتاز بشعور عميق ومرارة تعتلج النفوس فتشف عن صور تشعر بوجود كارثة قريبة. لذلك نجد أن شعراء فلسطين قد تكلموا عن أشياء لم يتكلم عنها غيرهم من شعراء الأقطار المجاورة وكلما بعد القطر عن فلسطين كلما وجدنا في هذا الشعر ميلاً إلى العموميات وهذا يدل

---

(١) كامل السوافيري ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ ص ١٨ ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٩٦٣.

بجلاء على عدم وضوح الرؤية عن فلسطين عند هؤلاء الشعراء وكل ما كتبوه هو على السماع «فما راءٍ كمن سمعا».

أما الشعر الثاني فقد كان فيه تعاطف ظاهر مع الأشقاء ولكن لم يكن ينظر إلى ما يجري على الساحة في فلسطين نظرة عميقة بل كانت كل النظرات بشكل عام سطحية لا تتوقع المأساة بل كانت تنذر وتوعد وتهدد اليهود بالنكال والتشريد من جديد.. ولكي تتضح هذه المقارنة لا بد لنا من الشواهد التي تؤيد ذلك..

فقد قال إبراهيم طوقان الذي عاش الأحداث ومثل وضوح الرؤية:

ربِ لطفاً فقد أتانا نذيرٌ ... بوباءٍ منْ بعدِ هذا الوَبَالِ
وجرادٌ وكلُّ آتٍ قريبٌ ... أو بعد الإمحالِ منْ امحالِ
ربِ إنَّ الكروبَ تترى علينا ... حسبُنا لربِ هجرةٍ واحتلالِ

وقال:

اذهبوا في البلادِ طولاً وعرضاً ... وانظروا ما لِخَصْمِكمْ منْ جهودِ
والمَسُوا باليدينِ صرحاً منيعاً ... شادَ أركانَهُ بعزمٍ وطيدِ
كلُّ هذا استفادهُ بين فوضى ... وشقاقٍ وذلةٍ وهجودِ

وقال:

أمامك أيها العربي يوماً ... تشيب لهوله سودُ النواصي

وقال:

ولئن ساءَ حالُنا فكفانا ... أنكمْ عندنا بأحسنِ حالةْ
أجلاءٌ عن البلادِ تريدون؟ ... فنجلوا أمْ محقَنا والإزالةْ

وقال:

مصيرُكَ باتَ يَلْمَسُهُ الأداني ... وسارَ حديثُهُ بينَ الأقاصي

فـلا رَحْبُ القُصورِ غـدا بـبـاقٍ لـسـاكِنِها ولا ضيقُ الخَصَـاص

وقال برهان الدين العبوشي:

هذا الدخيلُ لقدْ تَـربّصَ أن يرى فينـا الشقـاقَ ليستَبـدَّ ويـظلمـا
فَلِمَ التنـابـذُ والشقـاقُ وأُفْقنـا من جهلنـا أضحى علينـا مُـظلمـا
ضاعَ الذي قد ضاعَ فليْبْقَ الـذي يـؤوي حفيـدَكُمُ إذا مـا يُـتْمـا

وقال عبد الرحيم محمود:

يـا شعبُ يـا مسكينُ لـمْ تُنْكَبْ بِنَكْبَتِـكَ الشعـوبْ
قـلدتَ أمـرَكَ مَـنْ بـهـمْ لا يَـرْجِـعُ الحقُّ الغَصِيبْ
لـهـفي عـليـكَ ألا تـرى يـا شعبُ حولَـكَ ما يَـرِيبْ

وقال الكرمي:

يا حَادِ بينَ على الضَّعِيفِ رُوَيْدَكمْ تـاريخُكمْ في صفحتيـه العـارُ
فهنـا تَجُـرُّونَ القيـودَ دواميـا وهنـاكَ في أيـديكمُ الأزهـارُ
وهنا الشياطينُ استجارتْ منكمُ وهنـاكَ أنتـمْ قبـةٌ ومـزارُ
لا تذكروا حق الضعيف فكلُّكم مستعمـرون وكلُّه استعمـارُ[1]

كما ظهرتْ قصائد كثيرة كما قدمنا عن بيع الأراضي والسماسرة والهجرة وشهداء فلسطين وكلها فريدة مختصة بشعراء فلسطين الذين عاشوا وشهدوا مراحل الإنتداب حتى نهايته أما شعراء **الأقطار** المجاورة فلم تكن قصائدهم عن بيع الأراضي ولا عن السماسرة والهجرة وأشكالها بل كانت كما ذكرنا عامة لذلك سارت الأحداث كما توقعها شعراء فلسطين لا كما توقعها غيرهم فقد كان شعر الأقطار المجاورة مقتصراً على النواحي التالية فقد قال بدر الدين الحامد (سوري) عام ١٩٣١:

(١) عبد الكريم الكرمي - ديوان أبي سلمى - ص ٢٨ - دار العودة - بيروت ١٩٧٨.

ومن عجبٍ أنْ زاحَمَ الصلُّ أُمّةً ... لها الحقُ وضاحاً فباتتْ تُزاحمُه
يجوسُ خلال الدارِ وهو بزعمِهِ ... سيملكُ مَغْنَى الدارِ خابتْ مزاعمه
حرام علينا أن تذوق عيونُنَا ... مناماً وأقصانا تُحزُّ قوائمه
فلا كانَ فوق الأرضِ فردٌ واحدٌ ... يعيشُ وبيتُ الله يَسْعَدُها دمه

وهنا كان الشعر عاماً من باب التهديد بالقول واستثارة المسلمين[1] وقال عبد اللطيف النشار (مصري)[2]:

فلسطينُ هذي لا يتيهُ بها الخَنَى ... فبشر بذلٍ كلَّ خدٍ مصعَّرِ[3]
ومستضعفٍ فيها قليلٌ نصيرُهُ ... يعودُ على الدنيا بنصرٍ مُؤزَّرِ
فلسطين هذي تنكر البأسَ أرضُها ... وما هو في أرضٍ سواها بمنكر
رأيت بها الأمواتَ تحيا فَجَاءة ... أأرضُ فناءٍ تلك أمْ أرضُ مَحْشَرِ
فلسطين هذي لا يتيه بها الخنى ... فبشرْ بذلٍ كلُّ خدٍ مُصَعَّرِ

وقال أحمد محرم (مصري) عام ١٩٣٨:

بلفرورُ لَبئس الوعدُ وعدُكَ للأُلى ... جَعَلُوكَ للأَمَلِ المُخَيَّب سُلَّمَا
خَدَعُوكَ حينَ أَطَعْتَهمْ وَخَدَعْتَهمْ ... إذْ طاوَعُوكَ وتلكَ مَنْزِلَةُ العَمَى
لسنا وُلاةَ الحَقِّ إنْ لمْ يندموا ... وَلأَنتَ أولى أنْ تَتُوبَ وَتَنْدَمَا

ولم يكن هناكَ أي خداع من الطرفين بل نفذ الوعد ولم يفعل العرب شيئاً لمنع تنفيذه..

---

(١) بدر الدين الحامد ـ شاعر العاصي ـ جـ ٢ ص ٣٣٨ ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٥.

(٢) الشاعر عبد اللطيف النشار ـ ولد بدمياط وورث العلم عن أبيه الشاعر محمد حمدي النشار كانت ولادته عام ١٨٩٥ له عدة دواوين (جنة فرعون) (نار موسى) ترجم رباعيات الخيام شعراً ـ توفي عام ١٩٧٢.

(٣) عبد اللطيف النشار ـ ديوان عبد اللطيف النشار ـ ص ٢٦ ـ الهيئة المصرية العامة ١٩٧٨.

وقال محمد عبد الغني حسن[1] (مصري) عام ١٩٣٨ :

إنَّ بالشرقِ يـا فلسطينُ جُرْحَاً كـلُّ جـرحٍ عليـك دامٍ ثخينُ
لا تُـراعي ففي العـرينِ أسـودٌ وعـزيـزٌ على الأسـودِ العـرينُ
نحنُ في الهَمِّ أخـوةٌ جمعتنـا فـكـرةٌ حـرةٌ وقـربى وديـنُ

وقد بيعت فلسطين ولم يتحرك الأسود. . بل باعها الأسود. . !"[2]

وقال بشارة الخوري (لبناني) :

يـا فلسـطينُ الـذي كـدنـا لمـا كـابَـدَتْـهُ مِنْ أسىً ننسى أسـانـا
نحنُ يـا أختُ على العهد الـذي قـد رضعنـاهُ من المَهـدِ كـلانـا

فأين العهد؟

وقال محمد محمود الزبيري (يمني) :

فيـا بريـطانيا عـودي بمخمصـةٍ إنّ العـروبـةَ لا شـاءٌ ولا نَعَمُ
إنَّ العـروبـة جسمٌ إنْ يئنُ لـه عضوٌ تداعتْ له الأعضاء تنتقم

فـأيـن هـذا الـكـلام من الحقيقة على أرض فلسطين وما جاورها. وأين الأنتقام؟

وقال خير الدين الزركلي (سوري) :

يا نابضاً فيه عـرقٌ مِنْ بني مُضَرٍ أسـرجْ جيادكَ ولْتُـطلِقْ لها اللُجُمُ
واشحـذْ غَرارك لا يعلقْ بـه صدأ فـإنْ يُجَـرِّحْكُمُ فـالصـارمُ الحَكَمُ
كفكفْ دمـوعَ فلسـطينٍ وجـارتهـا بيروتَ واكففْ يداً في بسطِها النِقَمُ

---

(١) محمد عبد الغني حسن: شاعر وأديب مصري له عدة مؤلفات درس في أوروبا التربية وعلم النفس توفي في الكويت عام ١٩٨٠ له ديوان (من نبع الحياة).

(٢) محمد عبد الغني حسن ـ من نبع الحياة ـ ص ١٠٠ ـ دار المعارف مصر ١٩٥٠.

أقوال يبدو فيها الإنفعال دون سبر الأعماق وبيان الخطر المحدق بفلسطين.

وقال أحمد الموسوي[1] (عراقي):

بني صهيونَ لا تمضي الليالي ... مطالاً أو تَنَالَ لكم ديونا
سفاهٌ أنْ تَغُرَّكُمُ وعودٌ ... وتسلمُكُمْ إذا شهدوا المَنُونا

فهل انتصفنا؟ وهل أسلمهم لنا أهل وعد بلفور.. إنهم ياندونهم حتى هذه الساعة.

ومن هذه المقارنة السريعة نؤكد المثل القائل (أهل مكة أدرى بشعابها) فأهل فلسطين هم خير من وصفوا لنا عهد الإنتداب ومآسيه أصدق وصف بينما نجد أن من كان خارج فلسطين قد تجاوب مع صرخة أهل فلسطين تجاوباً عاطفياً غير مدروس فهدد وتوعد وذكر الأمجاد ولكنه لم يشهد الحقيقة على أرض فلسطين التي أدت إلى النكبة.

(١) الشاعر أحمد الموسوي ولد بالنجف عام ١٩٠٧ (ذكر سابقاً)..